قام الطالب بتصحيح الأخطاء التي لوحظت عليه اثناء المناقشة
سليمان دنيا

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



الموحدون في الإسلام

بحث مقدم
الى قسم الدراسات العليا الشرعية
جامعة ام القرى بمكة المكرمة

لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
مسلم ناسوتيون

إشراف الدكتور
سليمان دنيا

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



الاهـــــــداء

الى النبى والرسول والمعلم محمد صلى الله عليه وسلم ،صاحب أول نـداء دعانـى الى التوحيد فأجبتــــه . .

ثم الى من ربيانى صغيرا ،وتحملا فى سبيل تعليمى الجهد والمشقة . . الى هذين الشخصين الكريمين أبى وأمـــى . .

ثم الى أساتذتى الذين أسهموا فى تعليمى ،وأشرفوا على تهذيبى . . . أهدى ثمرة كفاحى المتواضع والمتمثل فى هذه الرسالة ،راجيا من الله العلـــىّ القديـر التوفيـق والرضـــوان .

مسلـــم ناسوتيـــــــــون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله الذى أحلنا محلة الفهم وحلانا بحلية العلم ، وملكنا عقال العقل ، وزيننا بزينة المنطق ، وأصلى وأسلم على من أوتى جوامع الكلم النبى الأمى المبعوث بالهدى الى أعقل الأمم ، وعلى جميع آله وأصحابه وأتباعه والسائرين فى منهاجه ، صلاة وسلاما يليقان بمقامه الشريف .

أما بعد : فان الأصل الأول من الأصول الاعتقادية هو توحيد الله تعالى وهذا الأصل هو أساس الأصول الاعتقادية والعملية ، وعليه مدار الاسلام ، وهو لب القرآن ، ولا نبالغ اذا قلنا أن القرآن كله حديث عن التوحيد ، وما هو من مقتضيات التوحيد .

اننا نستطيع أن نقول ان التوحيد بالنسبة لبقية الأصول والفروع كجذر الشجرة بالنسبة للسوق والفروع ، فهو أصل الأصول ، وقاعدة الدين ، وكلما كان حظ المرء من التوحيد عظيما كان حظه فى الاسلام كبيرا .

وقد استخرت الله تعالى فى أن يكون بحثى لنيل درجة الماجستير فى مباحث العقيدة بعنوان : التوحيد فى الاسلام .

وكان لهذا الاختيار أسباب هى :

أولا : امتثال أمر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بالتفقه فى الدين ، وهذا التفقه يشمل العقائد والأحكام ، والتفقه فى العقائد أهم من التفقه فى الأحكام .

ثانيا : ان الاسلام لا يركز على الايمان بوجود الله تعالى لاعتباره ذلك ضرورة فطرية ودلت عليه العقول الرشيدة ، ولكنه يركز غاية التركيز على عقيدة أخرى ، ضل

الناس فى شأنها ضلالا بعيدا ، وتلك هى عقيدة التوحيد التى من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

ثالثا :

ان من مهمة الطالب الذى يدرس فى ميدان العقيدة التعود على المواقف التى تكسبه القدرة على منازعة الخصوم ، وافحام المعاندين ، واثبات توحيد الله عز وجل موقف هام بين هذه المواقف ، فأردت أن أخوضه لأكتسب خبرة فى هذا المجال ، خاصة وان بلادى - اندونيسيا - مرتع خصب لغزو فكرى أجنبى يراد به اضعاف عقيدة المسلمين فيها واستئصال دينهم من جذوره ، ولعلى بعد انتهاء دراستى أستطيع - بتوفيق الله - أن أؤدى خدمة لبلادى فى هذا المجال ، لقول الله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١) .

رابعا :

أن أكثر من بلاد العالم الاسلامى اليوم فى جهالات مطبقة أكثر مما كان عليه الحال قبل الاسلام ، فكثرت الأزمات ، والمنازعات ، والحروب ، وغيرها من المشكلات كما أنه فى القرون المتأخرة صار أكثر العالم الاسلامى تحت سيطرة الكافرين ، ويرجع ذلك كله الى ضعف عقيدة التوحيد بالله عز وجل فى نفوس المسلمين . ولعل هذه الرسالة تساهم فى تقوية الايمان فى قلوب المسلمين وربطهم بالله عز وجل حتى يعود المسلمون الى ما كان عليه آباؤهم الأولون السابقون ، خير أمة أخرجت للناس ، لأن عقيدة التوحيد هى سبيل النجاح فى الدنيا والآخرة .

كان ذلك من دواعى اختيارى لهذا الموضوع ، وهو وان كان صعبا بالنسبة لغير الناطق باللغة العربية ، فاننى لم أبخل عليه بمجهود ، مستعينا بربى سبحانه

---

(١) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

وتعالى ، معتمدا على فضله ،لكى يمدنى بعونه ويمنحنى مزيدا من قوته ،سائلا اياه التوفيق والسداد .

منهجـــى فـــى البحـــث

هذا وقد سرت فى كتابة هذه الرسالة على الطريقة التالية :

أولا : الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ،وان كان هناك مجال للاستدلال بالآثار أو آراء العلماء أو بالأدلة العقلية استعملت تلك الأدلة فيما أحتاج اليه .

ثانيا : الابتعاد عن الاختلافات والمجادلات الكلامية -كما كان عليه حال من كتب فى هذا الموضوع -لكنى أحاول بقدر المستطاع أن أسبرو أختبر الآراء ، جاعلا مذهب السلف هو الأساس الذى أرد الآراء كلها اليه .

ثالثا : أناقش الآراء ثم أختار الرأى الذى أقتنع به وهومذهب السلف الصالح

رابعا : وضع النصوص المنقولة بين القوسين .

خامسا : الاعتماد على المصادر المطبوعة طبعة واحدة ،الا اذا اضطررت الى استعمال طبعة أخرى .

سادسا : ترجمة الأشخاص الموجودين فى الرسالة ،وتخريج الأحاديث الموجودة فيها بقدر ما وسعنى ذلك .

تخطيـــط البحـــث

وسأوضح للقارئ الكريم هنا المخطط العام الذى وضعته لهذا البحث ، حتى

يكون على بينة من ترتيبه وطريقتي فيه قبل الخوض في غماره .

وقد رتبت البحث بعد المقدمة على أربعة أبواب :

الفصل الثالث : وحدة الوجود مناقضة للتوحيد وليست منه .

الفصل الرابع : الحلول ينافى التوحيد وليس منه .

ثم تأتى فى أعقاب هذه الأبواب الأربعة خاتمة صغيرة أوجزت فيها أهم ما انتهيت اليه خلال رحلتى فى هذا البحث وأوضحت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها .

وانى لأرجو أن يكون بحثى هذا اسهاما منى فى جميع شتات هذا الموضوع يضاف الى ما كتبه السابقون فى هذا المجال .

والله يعلم أن ارضاء ربى كان نصب عينى وأنا أسطر مباحثه ، وليس معنى ذلك أن ما فى هذه الرسالة صواب كله ، فالقلم قد ينبو ، والعقل قد يشت ، والفكر قد يحار ، وليس من معصوم الا المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وما دام فى العمر بقية فأنا سأراجع ما كتبت مستفيدا من كل ما يقدم اليّ من نقد .

وفى الختام أتضرع الى الله تعالى أن ينظر الى ما بذلته من الجهد فى هذا السبيل بالقبول ، وأن يذخر لى منه ذخرا أجده أمامى يوم يقوم الناس لرب العالمين ، واسأل الله العلى القدير أن يثبتنا جميعا على الحق ، وأن يوفقنا ويختم حياتنا بالصالحات ، انه ولى التوفيق .

شكـــــر وتقديــــــــر

هذا واني لأجد لزاما عليّ هنا أن أبادر فأسجل شكري الخالص لأستاذي العلامة الجليل : فضيلة الدكتور سليمان دنيا، اذ أضاف يدا الى أياديه السالفة فتكرم بقبول الاشراف على اعداد هذا البحث ومنحني خلال ذلك الكثــــير من وقته الثمين وتوجيهاته العلمية الدقيقة وملاحظاته القيمة العميقة، راجيا من اللــه أن يمد في عمره وأن ينفع بعلمه وأن يزيد من درجاته وأن يجزل له من فضله .

كما أقدم خالص شكري وتقديري لجميع الأساتذة الأفاضل والاخــــوان الاعزاء، ولكل من كانت له يد بيضاء عليّ في الماضي والحاضر ولكل من أسهم فـي اتمام هذه الرسالة .

كما أقدم شكري لأسرة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعــــة أم القرى وأسرة ادارة مكتبة جامعة أم القرى المركزية ومكتبة مركز البحث العلمـي جامعة أم القرى بمكة المكرمة وغيرهما من المكتبات، الى جميع هؤلاء أهدي لهـم جزيل شكري وعظيم تقديري، سائلا الله تعالى العلي القدير أن يجزيهم خيـــر الجزاء انه سميع مجيب .

فهـــــــرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحة

البـــــاب الأول

التوحيد وأنواعـــــه

قبـل كل شيئ وطبقا لعنوان الرسالة ينبغى لي أن أتكلم فى أول هذا الباب عن معنى التوحيد ، ثم عن مضمون الشهادتين باعتبارهما عنوانا علـى التوحيد ، وبعد ذلك أتعرض لأنواع التوحيد الثلاثة ، وهى توحيـــد الربوبية ، وتوحيد الالهية وتوحيد الأسماء والصفات .

ولهذا فان هذا الباب يشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالتوحيـد .

الفصل الثانى : الشهادتان عنوان التوحيد .

الفصل الثالث : توحيد الربوبيـــة .

الفصل الرابـع : توحيـد الآلهيـــة .

الفصل الخامس : توحيد الأسماء والصفات .

الفصل السـادس : العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة .

الفصل الأول

التعريف بالتوحيد

سأبين في هذا الفصل ما هو معنى التوحيد في اللغة ، ثم ماهو مدلولاته الاصطلاحية عند علماء العقيدة .

وقصدي من عرض هذه المدلولات هو الوصول الى المدلول الحق ، لآخذ به وأؤيده ، وأميزه عن غيره من المدلولات الأخرى .

١- كلمة " التوحيد " لغة :

" التوحيد " أصله من (وحّد يوحّد تَوْحِيدًا) (١)

~~قال القاضي عبد الجبار (٢) (التوحيد في أصل اللغة : عبارة عما يصير الشيء واحدا) (٣)~~

---

(١) العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب (بيروت دار الصادر ، ١٩٧٤م) جـ ٣ مادة " وحد " ص٤٤٦

(٢) وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادى ، أبو حسين : قاضي ، أصولي . كان شيخ المعتزلة في عصره ، وهم يلقبونه قاضي القضاة ، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . ولي القضاء بالري ، ومات فيها سنة ٤١٥ هـ . له تصانيف كثيرة ، منها شرح أصول الخمسة (الاعلام لخير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة ، جـ ٣ ص ٢٧٣) .

(٣) القاضي عبد الجبار ، شرح أصول الخمسة ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، (القاهرة : مكتبة وهبة) ص ١٢٨ .

والواحد مفتتح العدد . يقال واحد ، اثنان ، ثلاثة . ويكون بمعنى جزء من الشيء فالرجل واحد من القوم أى فرد من أفرادهم.(١)

وقيل : (ان الواحد هو الذى لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثيل) .(٢)

وكلمة " الواحد " قد تطلق على الله وقد تطلق على غيره ، خلافـــا لـ " الأحد " فانه لا يوصف شيء بالأحدية غير الله .(٣)

وذكر أحمد بن محمد الفيومى(٤) ان كلمة " أَحَد " مرادف لكلمة " واحِد " فقال :

(ويكون " أحد " مرادفا لـ " واحد " فى موضعين سماعا : أحدهما وصف اسم البارى تعالى . فيقال هو " الواحد " وهو " الأحد " لاختصاصه بالأحدية ، فلا يشركه فيها غيره ، ولهذا لا يُنْعَتُ به غير الله تعالى ، فلا يقال رَجُلٌ أَحَدٌ ولا درهم أَحَدٌ ...)(٥)

---

(١) أنظر أحمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، تحقيق الدكتـــور عبد العظيم الشناوى (دار المعارف ، ١٩٧٧م) ص ٦٥٠

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، مادة " وحد " ص ٤٤٦

(٣) المصدر نفسه ، وفى نفس المكان .

(٤) هو العلامة أحمد بن محمد بن على الفيومى ، ثم الحموى ، أبو العباس. اشتهر بكتابه المصباح ، نشأ بالفيوم (بمصر) ، واتصل بالعلامة أبى حيان الغرناطى المتوفى بالقاهرة ٧٤٥هـ . مقدمة المصباح المنير ، ص هـ.

(٥) أحمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٦٥٠

والجويني[1] ذكر أن كلمة " التوحيد " تحتمل عدة معان :

(وقد يراد بها فصل شيئ من شيئ وافراده عنه وانضمامه اليه ،

فيقال للمفرق بين جوهرين : قد وحد كل واحد منهما .

وقد يراد بالتوحيد ، الاتيان بالفعل الواحد على التفريد - أى على انفراد - وقد يراد بالتوحيد : اعتقاد الوحدانية ...)[2]

من هذا كله يتضح أن كلمة " التوحيد " فى معناه اللغوى ، أخذ الشيئ واحدا ، اما بالجعل ، أو بالاعتقاد . وهذا الواحد المأخوذ قد يكون الله وقد يكون غيره ، فذلك كله توحيد .

٢- كلمة " التوحيد " اصطلاحا :

وقال محمد بن الطيب الباقلانى[3] : (التوحيد هو الاقرار بأن الله

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى ، أبو المعالى ، ركن الدين الملقب بامام الحرمين . أعلم المتأخرين ، من أصحاب الشافعى . ولد سنة ٤١٩ هـ فى جوين (من نواحى نيسابور) ورحل الى بغداد ثم المدينة ، فأفتى ودرس ، جامعا طرق المذاهب ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ (الاعلام ، لخير الدين الزركلى جـ ٤ ص ١٦٠ .

(٢) عبد الملك بن عبد الله الجوينى ، الشامل فى أصول الدين ، (منشورات منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٩م) ص ٣٥١

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر : قاضى ، من كبار علماء الكلام ، انتهت اليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة ، ولد فى بصرة سنة ٣٣٨ هـ ، وسكن بغداد فتوفى فيها سنة ٤٠٣ هـ ، الاعلام لخير الدين الزركلى ، جـ ٦ ص ١٧٦

ثابت موجود واله معبود ليس كمثله شيء)[1] .

والشهرستاني[2] فسر التوحيد بقوله (هو الاعتقاد بأن الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له)[3] .

وشيخ الاسلام ابن تيمية[4] يرى أن (التوحيد .. أن يشهد أن لا اله الا هو ، ولا يعبد الا هو ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يوالي الا له ، ولا يعادي الا فيه ، ولا يعمل الا لأجله ، واثبات ما أثبت الله لنفسه من الأسماء

---

(١) محمد بن الطيب الباقلاني ، الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، (القاهرة : دار الكاتب العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٧م) ص ٢٣

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني ، من فلاسفة الاسلام . كان اماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة . يلقب بالأفضل . ولد في شهرستان وانتقل الى بغداد سنة ٥١٠ هـ ، فأقام ثلاث سنين ، وعاد الى بلده وتوفي بها . الاعلام ، لخير الدين الزركلي ، جـ ٦ ص ١٤٤ .

(٣) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، نهاية الأقدام في علم الكلام ، حرره وصححه الفرد جيوم ، (بدون ذكر الطبعة والسنة) ص ٩٠ و ٩٢ .

(٤) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم النميري الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، تقي الدين ابن تيمية : الامام ، شيخ الاسلام . ولد في حران وتحول به أبوه الى دمشق فنبغ واشتهر . كان كثير البحث في فنون الحكمة ، داعية اصلاح في الدين . =

والصفات ...)[1]

ان الاعتقاد بوجود الله تعالى ووحدانيته فقط ، لا يكفي في كون المرء موحدا حقيقيا ، ولكن يجب عليه أن يقر بالشهادتين ، وأن لا يعبد الا هو ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يوالي الا له ، ولا يعادي الا فيه ، ولا يعمل الا لأجله ، واثبات ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات ، لأن الله سبحانه اعتبر الذين قالوا بأن الله هو وحده خالق هذا الكون ، ولم يقروا بالشهادتين ولم يثبتوا ما أثبت الله تعالى لنفسه ، أو ما أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ مشركين .

هذا هو التوحيد الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، وجاء به من قبله من اخوانه النبيين ، والذي لأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

ويقول أحمد بن علي المقريزي[2] موضحا حقيقة التوحيد :

(ان التوحيد له قشران : الأول : أن تقول بلسانك لا اله الا الله ، ويسمى هذا القول توحيدا . وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى .

= آية في التفسير والأصول ، فصيح اللسان ، قلمه ولسانه متقاربان . أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين . وله مؤلفات تبلغ ثلاث مائة مجلد . وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . الاعلام ، لخير الدين الزركلي ، جـ ١ ص ١٤٤

(١) ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم (مطبعة دار الكتب ١٩٧١م) جـ١ ص ٢٢٣

(٢) هو أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقريزي ، أصله من بعلبك . ولد سنة ٧٦٦ هـ ، ومات في =

وهذا التوحيد يصدر أيضا من المنافق الذى يخالف سره جهره .

والقشر الثانى : أن لا يكون فى القلب مخالفة ولا انكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به . وهذا هو توحيد عامة الناس .

ولباب التوحيد : أن يرى الأمور كلها لله تعالى ، ثم يقطع الالتفات الى الوسائط ، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره) . (١)

والامام الغزالى (٢) قسم التوحيد الى أربع مراتب ، فقال : -

(فالمرتبة الأولى من التوحيد هى أن يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له ، كتوحيد المنافقين .

والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام .

والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو

= القاهرة سنة ٨٤٥ هـ . وولى فيها الحسبة والخطابة والامامة مرات . الاعلام ، لخير الدين الزركلى ، ج ١ ، ص ١٧٧

(١) عبد الله حجاج " اعداد وتقديم " عقيدة الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) (القاهرة : دار الوحى ، ١٤٠٠هـ) ص ٨٢

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ، أبو حامد ، حجة الاسلام : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتى مصنف . ولد فى سنة ٤٥٠هـ ، وتوفى سنة ٥٠٥ هـ فى الطابران (قصبة طوس بخراسان) . رحل الى نيسابور ثم الى بغداد ، فالحجاز ، فبلاد الشام ، فمصر ، وعاد الى بلدته . ومن كتبه " احياء علوم الدين " و " تهافت الفلاسفة " . الاعلام ، لخير الدين الزركلى جـ ٧ ص ٢٢

مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار .

والرابعة : أن لا يرى فى الوجود الا واحدا ، وهى مشاهدة الصديقين ، وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد ، لأنه من حيث لا يرى الا واحدا ، فلا يرى نفسه أيضا ، واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده) . (١)

والامام ابن قيم الجوزية (٢) قسم التوحيد الى نوعين نظرا لحقيقة ذلك التوحيد ، فيقول : (التوحيد نوعان : نوع فى العلم والاعتقاد ، ونوع فى الارادة والقصد . ويسمى الأول التوحيد العلمى ، والثانى التوحيد القصدى الارادى ، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة ، والثانى بالقصد والارادة . وهذا الثانى أيضا نوعان : توحيد فى الربوبية وتوحيد فى الالهية ،

---

(١) أبو حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، (دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه) جـ ٤ ، ص ٢٤٠

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، من أركان الاصلاح الاسلامى ، وأحد كبار العلماء . ولد سنة ٦٩١ هـ ، وتوفى فى دمشق سنة ٧٥١ هـ . تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله ، بل ينتصر له فى جميع ما يصدر عنه ، وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه فى قلعة دمشق ، وأطلق بعد موت ابن تيمية . وكان حسن الخلق محبوبا =

فهذه ثلاثة أنواع . فأما توحيد العلم ، فمداره على اثبات صفات الكمال ، وعلى نفى التشبيه والمثال ، والتنزيه عن العيوب والنقائص ...)(١)

بهذا القدر يتضح لنا أن أهل السنة والجماعة لا يختلفون في المدلول الحقيقى لمعنى " التوحيد " اصطلاحا ، وان اختلفت عباراتهم .

يقول ابن حجر العسقلانى(٢) :

(وأما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفى التشبيه والتعطيل)(٣)

٥٥٥٥

واتماما للبحث أرى أن أذكر بعض آراء من خالفوا أهل السنة والجماعة في معنى " التوحيد " ، لأن ذلك يزيد مذهب أهل السنة والجماعة وضوحا ، كما قيل " وبضدها تتميز الأشياء " ، وذلك كمذهب المعتزلة والفلاسفة ووحدة الوجود الصوفية .

= عند الناس ، أغرى بحب الكتب ، فجمع منها عددا عظيما ، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا - الاعلام ، لخير الدين الزركلى ج ٦ ص ٥٦

(١) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، تحقيق ، محمد حامد الفقى (بيروت: دار الكتاب العربى ١٩٧٢م-١٣٩٢هـ) ج١/ص ٢٤ - ٢٥

(٢) هو أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، أبو الفضل ، شهاب الدين ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان (بفلسطين) . ولد سنة ٧٧٣ هـ ، وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ ، ولع بالأدب والشعر ، ثم أقبل على الحديث ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه ، وأصبح حافظ الاسلام فى عصره . وله مصنفات كثيرة منها : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى وتهذيب التهذيب . الاعلام ، لخير الدين الزركلى ج ١ ص ١٧٨

(٣) شهاب الدين ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى =

معنى "التوحيد" عند المعتزلة[1] :

روى محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[2] مذهب المعتزلة في التوحيد فقال :

(ان الله تعالى واحد في ذاته ، لا قسمة ، ولا صفة له ، وواحد في أفعاله

لا شريك له ، فلا قديم غير ذاته ، ولا قسيم له في أفعاله ، ومحال وجـود

قديمين ، ومقدور بين قادرين وذلك هو التوحيد)[3] .

وبهذا أدخلت المعتزلة مسألة الصفات في نص عقيدة التوحيد ،

وجعلوا نفي الصفات داخلا في عقيدة التوحيد ، وجعلوا التوحيد مقتضيا لها ،

فلا يكون من المعتزلة من لا يعتقد نفي الصفات . يقول ابن تيمية[4] (فالجهمية

من المعتزلة وغيرهم يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي جميع الصفات)[5]

= تصحيح وتحقيق : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية) جـ ١٣ ص ٣٤٤

(١) يسمون بالمعتزلة لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم ان الفاسق من أمة الاسلام لا مؤمن ولا كافر ، وذلك بعد أن حدث خلاف بين الحسن البصري وواصل بن عطاء في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين أنظر : عبد القاهرة البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ، مكتبة المدني) ص ٢٠ - ٢١ ولمعرفة ما اتفقوا عليه من الاعتقاد ، أنظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل جـ ١ ص ٤٣ - ٤٦

(٢) أنظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٣) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل جـ ١ ص ٤٢

(٤) أنظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٥) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، نقض المنطق ، تحقيق : محمد بن عبد الرزاق وسليمان بن عبد الرحمن الصنيع (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٠ هـ) ص ١٢٣

ويقول شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (١) : (وقد سمى المعتزلة أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الالهية ، لاعتقادهم ان اثباتها يستلزم التشبيه ، ومن شبه الله بخلقه أشرك) (٢)

وتأثرت بفكرة المعتزلة هذه ، الخوارج ، وبعض المرجئة وغيرهم من بعض المتكلمين (٣) .

وهذا الاعتقاد الذى ذهب اليه المعتزلة مناقض لما ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية من أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات الكمالية وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال جل شأنه (أنزله بعلمه) (٤) فأثبت لنفسه علما ، فلم أنكروها ؟ وقالوا ان الله ليس له صفات ، مع ان الله تعالى أعلم بنفسه من غيره .

٥ ٥ ٥ ٥ ٥

---

(١) أنظر ترجمته ص ٩ من هذا البحث .
(٢) شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، فتح البارى في شرح صحيح البخارى ، جـ ١٣ ، ص ٣٤٤ .
(٣) أنظر : أبا الحسن على بن اسماعيل الأشعرى ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م) جـ ١ ، ص ١٨٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ .
(٤) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية رقم ١٦٦

معنى " التوحيد " عند الفلاسفة :

والفلاسفة تعني بالتوحيد ما تعنيه المعتزلة وزيادة حتى يقولوا ليس لله الا صفة سلبية أو اضافية أو مركبة منهما . فالله سبحانه وتعالى عندهم واجب الوجود ، ولو كان له صفات لكان مركبا ، ولو كان مركبا لكان مؤلفا ومحتاجا ، ولو كان مؤلفا لم يكن واحدا . ولو كان محتاجا لما كان واجبا .(١)

ولهذا لم يثبتوا أى صفة لله تعالى ، هذا هو التوحيد عندهم .(٢)

فتوحيدهم هذا يعني انكار لصفات الكمال الثابتة لله . فالله عندهم لا سمع له ، ولا بصر ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا ارادة ، ولا كلام ، ولا وجه ، ولا يدين ... الخ .

ان هذا التوحيد مناقض لما هو ثابت في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة . فكلها يثبت ان لله تعالى صفات الكمال ، لا يشاركه فيها شيء .

يقول ابن تيمية :(٣)

---

(١) أنظر : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، نقض المنطق ، ص ١٢٣

(٢) أنظر : سيف الدين الآمدى ، غاية المرام في علم الكلام ، (القاهرة : طبعه باشراف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٣٩١ هـ) ، ص ١٥١

(٣) أنظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصف به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث) (١)

ومما استدل به (لأن الذات المجردة عن الصفة لا توجد الا فى الذهن ، فالذهن يقدر ذاتا مجردة عن الصفة ، ويقدر وجودا مطلقا لا يتعين . وأما الموجودات فى أنفسها فلا يمكن فيها وجود ذات مجردة عن كل صفة ، ولا وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص) (٢)

ولذلك كان (مذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، لا سيما اذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق فى بيان العلم، وأفصح الخلق فى البيان والتعريف والدلالة والارشاد) (٣)

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى وابنه محمد ، (بيروت : مطابع دار العربية ، ١٣٩٨هـ) جـ ٥ ، ص ٢٦

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٣٢٦

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٦

ان التوحيد الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتضمن ما اعتقدته المعتزلة والفلاسفة وغيرهم وانما تضمن اثبات الالهية لله وحده ، وذلك يتضمن اثبات ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات أو ما أثبته به رسوله صلى الله عليه وسلم .(١)

ooo

معنى "التوحيد" عند أهل وحدة الوجود الصوفية :

التوحيد عند هؤلاء هو الاعتقاد (ان الاله هو الوجود المطلق الثبوت فى الأعيان ، وأنه عينها لا غيرها ، وانه ليس ثم عبد ورب ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب) .(٢)

ويعنون به : ان الله تعالى موجود وهو كل شيئ ، وليست الأشياء الا مظاهر له .

وهذا الاعتقاد عند التأمل معناه اثبات وجود الكائنات ونفى وجود الله تعالى .

---

(١) أنظر أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، جـ ١ ، ص ٢٢٤

(٢) أحمد بن ابراهيم بن عيسى ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الامام ابن القيم ، (بيروت ، المكتب الاسلامى ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ) ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦

وهذا باطل ، لأنه ليس من المعقول أن نقول عن الحجر انه الله ، أو نقول عن الله انه حجر . فكل شيء له حقيقته الخاصة ، لا يشترك معه فيها غيره . فالحجر له حقيقة خاصة ، والخشب له حقيقة خاصة ، تميزه عن غيره ، والله له حقيقة خاصة تختلف عنهما ... وهكذا .

ooo

معانى أخرى لكلمة التوحيد :

وهناك معان أخرى تستعمل فيها كلمة " التوحيد " منها :

" علم التوحيد "، وهذا المعنى شائع معروف عند المسلمين . يقول محمد عبده :[1] (سمى هذا العلم - أى علم التوحيد - به - أى بالتوحيد - تسمية له بأهم أجزائه ، وهو اثبات الوحدة لله فى الذات والفعل فى خلق الأكوان ، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد)[2] .

---

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركمانى . ولد سنة ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩م وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ ، مفتى الديار المصرية ، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد فى الاسلام. الاعلام ، لخير الدين الزركلى ج ٦ ، ص ٢٥٢

(٢) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، (بيروت : دار احياء العلوم ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) ص ٤٣

وهناك من سمى دين الاسلام " توحيدا " وذلك لأن مبناه وأساسه : ان الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له ، ولا يستحق العبادة سواه .

والى هذا الحد انتهى الكلام في معنى كلمة " التوحيد " ســـــواء من الناحية اللغوية والاصطلاحية والعرف العام .

---o---

الفصل الثانــى

الشهادتان عنوان التوحيد

وقد انحرف الناس فى الجاهلية عن الحق ، وساروا الى عقائد فاسدة .

من ذلك ما حكاه الله تعالى لنا فى قوله : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا . فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) (١)

روى ابن كثير (٢) عن ابن عباس (٣) رضى الله عنهما فى تفسير الآية :

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٣٦

(٢) هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشى البصروى ثم الدمشقى ، أبو الفداء ، عماد الدين ، حافظ مؤرخ فقيه . ولد سنة ٧٠١ هـ فى قرية من أعمال بصرى الشام . وتوفى بدمشق سنة ٧٧٤ هـ . تناقل الناس تصانيفه فى حياته . ومن كتبه منها : البداية والنهاية ، وتفسير القرآن العظيم ، وطبقات الفقهاء الشافعيين . الاعلام لخير الدين الزركلى جـ ١ ص ٣٢٠

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، أبو العباس ، حبر الأمة ، الصحابى الجليل ، ولد بمكة سنة ٣ قبل الهجرة ، وتوفى بالطائف سنة ٦٨ هـ . ونشأ فى بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة ، وشهد مع علىّ الجمل وصفين ، وكفّ بصره فى آخر عمره ، فسكن الطائف وتوفى بها . الاعلام ، لخير الدين الزركلى جـ ٤ ص ٩٥

(ان أعداء الله كانوا اذا حرثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا . فما كان من حرث أو ثمرة أو شيئ من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه ، وان سقط منه شيئ فيما سمى للصمد ردوه الى ما جعلوه للوثن ، وان سبقهم الماء الذى جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن ، وان سقط شيئ من الحرث والثمرة الذى جعلوه لله فاختلط بالذى جعلوه للوثن قالوا هذا فقير ، ولم يردوه الى ما جعلوه لله . وان سبقهم الماء الذى جعلوه لله فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن . وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة (١) والسائبة (٢) والوصيلة (٣) والحام (٤) فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله) (٥) .

---

(١) البحيرة : قيل اذا نتجت الناقة خمسة أبطن من غير تقييد بالاناث شقوا أذنها وحرموا ركوبها . (محمد بن على الشوكانى ، فتح القدير ، بيروت ، دار المعرفة ، جـ ٢ ص ٨٢) .

(٢) الناقة تسيب ، أو البعير يسيب ، نذر على الرجل ان سلمه الله من مرض أو بلغه منزلة ، فلا يحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبه أحد (أنظر نفس المصدر) .

(٣) هى الناقة اذا ولدت انثى بعد أنثى ، وقيل هى الشاة كانت اذا ولدت انثى فهى لهم ، وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم (أنظر المصدر نفسه)

(٤) هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة ، قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء وماء (أنظر المصدر نفسه)

(٥) اسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه) جـ ٢ ص ١٧٩

روى عبد الملك بن هشام (١) عن بداية عبادة الأصنام في الجاهلية ، فقال :

(ويزعمون ان أول ما كانت عبادة الأحجار في بني اسماعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم ، التمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ في ذلك بهم الى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلف الخلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من الضلالات) (٢) .

فانتشرت الأوثان ، واتخذ كل دار في مكة صنما يعبدونه . فاذا أراد الرجل منهم سفرا ، تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره ، واذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخله على أهله (٣) .

---

(١) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين : مؤرخ ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب . ولد ونشأ في البصرة ، وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ . وأشهر كتبه " السيرة النبوية " . الأعلام لخير الدين الزركلي ، جـ ٤ ، ص ١٦٦

(٢) عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، (مصر : الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥ هـ) جـ١ ص ٧٧

(٣) أنظر اسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ، (بيروت ، الطبعة الأولى مكتبة المعارف ١٩٦٦) جـ ٢ ، ص ١٩٢

هكذا انحرفوا فى الجاهلية عن الحق الى الباطل .

ومن حكمة الله تعالى ورحمته أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليزيل تلك الانحرافات ، ويعطى للناس قضية واضحة فى شأن الالهية والاعتقاد .

٥٥٥٥٥

لا اله الا الله محمد رسول الله عنوان التوحيد :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والناس على هذه الحال من الفساد .

فجاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم بـ " لا اله الا الله " . جاء مبينا بأن الاله هو الله تعالى وحده ، هو المالك ، والرازق ، والمسيطر على الكون كله ... الخ ، وهو المستحق للعبادة .

والعرب يعرفون جيدا المدلول الحقيقي لدعوة " لا اله الا الله " . يعرفون أن الالهية تعني الحاكمية العليا ، وان افراد الله وتوحيده معناه نزع السلطان من غير الله ورده كله الى الله تعالى . وهذا يخالف معتقدهم ، ولذلك رفضوه ، وأبوا الأخذ به .

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل للايمان وللاسلام بابا يدخل منه اليهما ، وهذا الباب هو الاقرار بالشهادتين ، شهادة أن " لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله " . فمن ولج من هذا الباب لا يخرج منه الا صدر

منه ما يخالفه . قال ابن أبي العز (١) :

(ان أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا اله الا الله ، لا النظر ولا القصد الى النظر ، ولا الشك ، كما هي أقوال علماء الكلام بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان) (٢)

والرسول صلى الله عليه وسلم لما دعا الناس الى التوحيد أدخلهم من هذا الباب ، لا بالمجادلة العقلية ولا النظر ولا عرض الأدلة . ومما يلي نرى بعض الحوادث التي تشير الى أن الشهادة هو الطريق الصحيح الى التوحيد .

---

(١) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز . الحنفي الدمشقي ، فقيه . كان قاضي القضاة بدمشق ، ثم بالديار المصرية ، ثم بدمشق . الاعلام ، لخير الدين الزركلي ج ٤ ، ص ٣١٣

(٢) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، الطبعة الخامسة ، تحقيق ومراجعة : جماعة من العلماء ، تخريج : محمد ناصرالدين الألباني ، توضيح زهير الشاويش ، (بيروت : المكتب الاسلامي ١٣٩٩ هـ) ص ٧٥

روى الامام أحمد (١) : (عن ربيعة بن عباد الديلي (٢) وكان جاهليا أسلم

فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذى المجاز

يقول : يأيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ويدخل فى فجاجها والناس

متقصفون عليه ، فما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت يقول : أيها الناس

قولوا لا اله الا الله تفلحوا . . .) (٣)

وروى ابن عباس (٤) رضى الله عنهما قصة اسلام أبا ذر الغفارى (٥) فقال :

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله ، الشيبانى الوائلى : امام المذهب وأحد الأئمة الأربعة . ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، نشأ منكبا على طلب العلم . وصنف " المسند " ستة مجلدات يحتوى على ثلاثين ألف حديث ، وغير ذلك من مصنفاته . الاعلام لخير الدين الزركلى ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) من بنى الديل بن بكر بن كنانة ، مدنى . روى عنه ابن المنكدر ، وأبو الزناد وغيرهم ، يعد فى أهل المدينة ، وعمر عمرا طويلا ، لا أقف على وفاته وسنه . الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق : على محمد البجاوى (مصر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) ج ٢ ص ٤٩٢

(٣) رواه أحمد بن حنبل ، أنظر مسند الامام ، (بيروت ، المكتب الاسلامى ودار الصادر ج ٣ ص ٤٩٢

(٤) أنظر ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٥) اختلف فى اسمه ، والمشهور : هو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صغير بن حرام بن غفار . كان من كبار الصحابة ، قديم الاسلام . يقال أسلم بعد أربعة ، فكان خامسا . توفى بالربذة سنة احدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين . الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، أبو عمر ابن عبد البر ج ٤ ص ١٦٥٢ - ١٦٥٦ .

(... حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال : والذى نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ...) (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن معاذا (٢) قال (٣) : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى اليمن - فقال : (انك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله . فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ...) (٤) .

---

(١) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، دار احياء التراث العربى ، ١٣٩٢هـ) ج ١٦ ص ٣٤

(٢) أنظر ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمر بن أوس الأنصارى الخزرجى ، أبو عبد الرحمن ، صحابى جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام . وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . أسلم وهو فتى . وشهد العقبة مع الأنصار السبعين . وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه بعد غزوة تبوك قاضيا ومرشدا لأهل اليمن . توفى عقيما بناحية الأردن سنة ١٨ هـ . الاعلام لخيرالدين الزركلى ج٧ ص ٢٥٨

(٤) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (١) (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه . قال عمر بن الخطاب (٢) : ما أحببت الامارة الا يومئذ . قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب (٣) فأعطاه اياها وقال : أمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك . قال فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) (٤)

---

(١) اختلف في اسمه قبل الاسلام . قيل عمير بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف . وقيل اسمه عبد الشمس ، أو عبد عمرو ، أو عبد غنم ، وأما بعد الاسلام فاسمه عبد الله أو عبد الرحمن . ويكنى أبا هريرة لما قال : كنت أحمل هرة يوما في كمي ، فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : ما هذه ؟ قلت : هرة . فقال : يا أبا هريرة . توفي سنة ٥٧ هـ أو ٥٩ هـ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٤ ص ١٧٦٨

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص : ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل . أسلم قبل الهجرة بخمس سنين . توفي بالمدينة المنورة سنة ٢٣ هـ . الاعلام لخير الدين الزركلي جـ ٥ ص ٤٥ .

(٣) أبو الحسن : أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين وابن عم النبي وصهره . أول الناس اسلاما بعد خديجة . وولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان . توفي سنة ٤٠ هـ . الاعلام لخير الدين الزركلي جـ ٤ ص ٢٩٥

(٤) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص ١٧٦ - ١٧٧

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (١) :

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله) (٢) .

تلك الأحاديث وغيرها تدل على أن الدخول في دين الله وتوحيده لا يكون الا بالشهادتين . والاقرار بهما معناه دخول في الاسلام. واذا دخل فيه وآمن بالله الواحد وبالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر – ومن كتبه القرآن – ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، عرف التوحيد الحقيقي ، ولا يوجد توحيد خالص في الوقت الحاضر في غير الاسلام.

واهتماما بهذه القضية استمر نزول القرآن بمكة ثلاثة عشر عاما ، يحدث الناس عنها ، ويقدم فيها أدلته الجازمة بطرق شتى لاقناع العقل الانساني .

ان الشهادة تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق ، وألوهيته وربوبيته . لأنها تقتضي تنزيهه عن كل مالا يليق به ، كما أنها تقتضي توحيده في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله . فالناطق بالشهادتين يخرج من جميع اعتقاداته الباطلة حول الخالق سبحانه وتعالى ويدخل الى ساحة التوحيد مع ما فيها من المتطلبات عملية كانت أو اعتقادية .

---

(١) أنظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث

(٢) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم ، بشرح النووي جـ ١ ص ٢١٠

يقول سيد قطب (١) :

(والقلب المؤمن المسلم هو الذى تتمثل فيه هذه القاعدة بشطريها ، لأن كل ما بعدهما من مقومات الايمان وأركان الاسلام ، انما هو مقتضى لها ، فالايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وكذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ثم الحدود والحل والحرمة والمعاملات والتشريعات والتوجيهات الاسلامية انما تقوم كلها على قاعدة العبودية لله وحده ، كما أن المرجع فيها كلها هو ما بلغه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ...

ومن ثم تصبح شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها ، فلا تقوم هذه الحياة قبل أن تقوم هذه القاعدة ، كما أنها لا تكون حياة اسلامية اذا قامت على غير هذه القاعدة ...) (٢)

---

(١) وهو سيد بن قطب بن ابراهيم : مفكر اسلامى مصرى ، من مواليد قرية " موشا " فى أسيوط . تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ ، وعمل فى جريدة الأهرام . انضم الى الاخوان المسلمين ، وترأس قسم نشر الدعوة سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤م . ولد سنة ١٣٢٤هـ وتوفى سنة ١٣٨٧ هـ . الأعلام لخيرالدين الزركلى جـ٣ ص ١٤٧

(٢) سيد قطب ، معالم فى الطريق ، الطبعة السادسة ، (بيروت ١٣٩٩هـ) ص ٨٣

واذا قيل ان الظواهر الكونية وغيرها من مخلوقات الله هي مدخل التوحيد بمعنى أنها تحمل الانسان على الاعتراف بوجود الله تعالى ووحدانيته .

قلت ان ذلك ممكن لكنه ليس مدخلا شرعيا يترتب عليه الحكم بتوحيد الموحد وايمان المؤمن شرعا .

فالشهادة مدخل شرعي ، والمرء اذا لم ينطق بها لا يكون موحدا حتى لو عبد الله تعالى . كما دل عليه قول جل شأنه (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (١) يعنى أنه اذا قيل لهم : من خلق السموات والأرض، ومن خلق الجبال والدواب . . . الخ ، قالوا : " الله " وهم مشركون به غيره في العبادة .

والرسول صلى الله عليه وسلم نهى المقداد بن الأسود (٢) عن قتل من نطق بالشهادة .

فعن المقداد بن الأسود انه قال : (يا رسول الله أرأيت ان لقيت رجلا من الكفار ، فقاتلني ، فضرب احدى يديّ بالسيف فقطعها ، ثم لاذ

---

(١) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، آية ١٠٥

(٢) نسب الى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري . واختلف في نسبه . كان قديم الاسلام ، ولم يقدر على الهجرة ظاهرا . وكان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . توفي وهو ابن سبعين سنة . ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ٤ ص ١٤٨٠ .

منى بشجرة فقال : أسلمت لله (١) ، أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتله . قال فقلت يا رسول الله انه

قد قطع يدىّ ثم قال ذلك بعد أن قطعها ، أفأقتله ؟ قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا تقتله ، فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وانك

بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال (٢)) .

وعن أسامة بن زيد (٣) أنه قال : (بعثنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم الى الحرقة (٤) من جهينة ، فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل

من الأنصار رجلا منهم . فلما غشيناه قال لا اله الا الله ، فكف عنه الأنصارى ،

وطعنته برمحي حتى قتلته .

قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى :

يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ قال قلت يارسول الله انما كان

---

(١) وفى رواية : فلما أهويت لأقتله قال : لا اله الا الله . . أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٩٨ - ٩٩

(٢) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٢ ص ٩٨

(٣) ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى . انه صار بعد مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . اختلف فى سنه يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم فقيل ابن عشرين سنة . مات بالجرف فى آخر خلافة معاوية سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ . الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر جـ ١ ص ٧٥

(٤) بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف . أنظر شرح النووى جـ ٢ ص ١٠٢

متعوذا . قال ، فقال : أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ قال فما زال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم).(١)

وقال النووى(٢) عن هذا الحديث : (فأحسن ما قيل فيه وأظهره ما قاله الامام الشافعى(٣) وابن القصار المالكى(٤) وغيرهما أن معناه : فانه معصوم الدم محرم قتله بعد قول لا اله الا الله)(٥) .

فالشهادة أخرجته من ساحة جواز القتل الى ساحة الامتناع ، لأنه دخل فى ساحة التوحيد مع الموحدين المسلمين .

ـــهـــ

---

(١) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٠

(٢) هو يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى ، النووى ، الشافعى ، أبو زكريا ، محى الدين : علامة بالفقه والحديث . مولده فى نوا بسورية سنة ٦٣١ هـ . وتوفى سنة ٦٧٦ هـ وله مؤلفات كثيرة منها : المنهاج فى شرح صحيح مسلم ، وتهذيب الأسماء واللغات . الاعلام ، لخيرالدين الزركلى جـ ٨ ص ١٤٩ .

(٣) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمى القرشى المطلبى . أبو عبد الله : أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . واليه نسبة الشافعية كافة . ولد فى غزة (بفلسطين) سنة ١٥٠ هـ . وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ . الأعلام ، لخيرالدين الزركلى جـ ٦ ص ٢٦

(٤) هو حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابور ، أبو صالح : صوفى ، كان عالما فقيها . توفى سنة ٢٧١ هـ . الأعلام لخيرالدين الزركلى جـ ٢ ص ٢٧٤

(٥) يحى بن شرف النووى ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ١٠٦

الفصل الثالث

توحيد الربوبية

١- كلمة " رب " في اللغة :

ذكر ابن فارس (١) ان كلمة " رب " يدل على أصول :

(فالأول : اصلاح الشيئ والقيام عليه . فالربّ . المالك ، والخالق ، والصاحب . والرب : المصلح للشيئ : يقال : رَبَّ فلان ضَيْعَتَه ، اذا قام على اصلاحها . . . والله جل ثناؤه الرب ، لأنه مصلح أحوال خلقه ..

والأصل الآخر : لزوم الشيئ والاقامة عليه ، وهو مناسب للأصل الأول . يقال : أربت السحابة بهذه البلدة اذا دامت .

والأصل الثالث : ضم الشيئ للشيئ ، وهو أيضا مناسب لما قبله ، ومتى أنعم النظر كان الباب كله قياسا واحدا . يقال للخِرْقَة التي يُجعل فيها القداح رِبَابَة . . .) (٢)

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكرياء : القزويني الرازي ، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب . ولد سنة ٣٢٩ هـ ، وتوفى في الريّ سنة ٣٩٥ هـ. ومن تصانيفه : مقاييس اللغة ، المجمل ، وغير ذلك . الأعلام ، لخير الدين الزركلي جـ ٣ ص ١٩٣

(٢) أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م) جـ ٢ ص ٣٨١ - ٣٨٢

وقال ابن أبي العز (١) : (" الرب " يقتضي معاني كثيرة ، وهي : الملك والحفظ والتدبير والتربية ، وهي تبليغ الشيء كماله بالتدريج) (٢)

وقال الألوسي (٣) : (" الرب " في الأصل مصدر بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء الى كماله بحسب استعداده الأزلي شيئا فشيئا ... والظاهر أنه من مبالغة اسم الفاعل ، أو هو اسم فاعل وأصله " راب " فحذفت ألفه كما قالوا : رجل بار وبر ...

ويطلق أيضا على الخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح والمعبود والصاحب ، الا أن المشهور كونه بمعنى التربية) (٤)

---

(١) أنظر ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٢) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٤٢

(٣) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء مفسر ، محدث ، أديب ، من المجددين ، من أهل بغداد . مولد فيها سنة ١٢١٧ هـ ، وتوفي فيها سنة ١٢٧٠ هـ . كان سلفي الاعتقاد ، مجتهدا . ومن كتبه " روح المعاني " في التفسير ، وغرائب الاغتراب وغيره . الأعلام لخير الدين الزركلي جـ ٧ ص ١٧٦

(٤) محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، (بيروت : ادارة الطباعة المنيرية ، دار احياء التراث العربي) جـ ١ ، ص ٧٧

ويمكن جمع هذه المعانى فيما قاله الطبرى[١] :

(فان " الرب " فى كلام العرب متصرف على معان : فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا ... ، والرجل المصلح للشئ يدعى ربا ... ، والمالك للشئ يدعى ربه .

وقد يتصرف أيضا معنى " الرب " فى وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثة .

فربنا جل ثناؤه السيد الذى لا شبه له - كذا - ولا مثل فى سودده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والأمر)[٢]

وقيل أنه لا يجوز استعمال كلمة " الرب " أى بالألف واللام للمخلوق، اذا كان بمعنى المالك ، لأن اللام للعموم ، والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات[٣] .

ooooo

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الامام . ولد سنة ٢٢٤ هـ ، وتوفى فى بغداد سنة ٣١٠ هـ . ومن كتبه : جامع البيان فى تفسير القرآن . الأعلام جـ ٦ ص ٦٩

(٢) محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، (بيروت : دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م) مجلد ١ جـ ١ ص ٤٧

(٣) أنظر أحمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٢١٤

٢ـ المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبيـة :

وتوحيد الربوبية هو (الاقرار بأنه ـأى الله ـ خالق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان فى الصفات والأفعال) [1] يعنى ولا أكثر من ذلك.

وبعبارة أخرى : (الاقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق فى الكون ، بالخلق والتدبير ، والتغيير والتسيير ، والزيادة ، والنقص ، والاحياء ، والاماتة ، وغير ذلك من الأفعال ، لا يشاركه أحد فى فعله سبحانه وتعالى) [2]

وابن قيم الجوزية [3] جمع معنى توحيد الربوبية فى قوله :

(يشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه ، يدبر أمر عباده وحده ، فلا خالق ولا رازق ، ولا معطى ولا مانع ، ولا مميت ولا محي ، ولا مدبر لأمر المملكة ـ ظاهرا وباطنا ـ غيره ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . لا تتحرك ذرة الا باذنه ، ولا يجرى حادث الا بمشيئته ، ولا تسقط ورقة الا

---

(١) ابن أبى العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٦ . وأنظر : البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد ، الطبعة الثانية ، (رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ، ١٣٩٨هـ) ص ١٤ . وعبد الله حجاج ، عقيدة الفرقة الناجية ، ص ١٣٠ .

(٢) محمد نعيم ياسين ، الايمان أركانه حقيقته نواقضه ، الطبعة الأولى ، (عمان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م) ص ٧

(٣) أنظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

بعلمه ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا أحصاها علمه ، وأحاطت به قدرته . ونفذت بها مشيئته . واقتضتها حكمته) . (١)

لهذا كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد من خلقه .

فهذا التوحيد هو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى ، لأن الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بالعبادة والخشوع والخضوع ، وهو المستحق وحده للحمد والشكر والذكر والدعاء والرجاء والخوف وغير ذلك .

قال الله تعالى : (قل ان صلاتى ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين) (٢)

وقال الله تعالى : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) (٣) وقال الله تعالى : (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) (٤)

---

(١) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، جـ ٣ ، ص ٥١٠

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٦٢

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آيـة ٧١

(٤) القرآن الكريم ، سورة الجاثية ، آيـة ٣٦

كما أن هذا التوحيد لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الاقرار به . قال الله تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ...) (1)

ooo

٣- أدلة توحيد الربوبية :

لقد دلت الأدلة النقلية والعقلية والفطرية على وحدة الرب وتفرده عما سواه بخلق هذا الكون كله . وسأقدم فيما يلي أدلة من هذه الأنواع الثلاثة : -

أولا : دلالة النقل :

وهذه الدلالة تنقسم الى : أ - القرآن الكريم ب - الأحاديث النبوية .

(أ) القرآن الكريم :

وقد اهتم القرآن الكريم كثيرا بهذا الأمر ، وكرر البراهين عليه بمختلف الأساليب ليقنع عقل الانسان وفكره انه هو الخالق وحده .

ولكثرة الآيات القرآنية في هذا الموضوع اكتفى بذكر بعضا منها .

---

(1) القرآن الكريم ، سورة ابراهيم ، آية ١٠

* ما يتعلق بخلق الانسان ::

قال الله تعالى : (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير . خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير) (١) .

وقال الله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (٢) .

وقال الله تعالى : (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنشرون) (٣) .

وقال الله تعالى : (أفرءيتم ما تمنون . أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) (٤) .

فهذه الآيات وغيرها بيان لأدلة توحيد الربوبية .

* ما يتعلق بخلق الحيوان :

كما بين الله تعالى أنه خالق الانسان ، فكذلك بين أنه خالق الحيوانات.

قال الله تعالى : (والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة التغابن ، آية ٢- ٣

(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٧٨

(٣) القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية ٢٠

(٤) القرآن الكريم ، سورة الواقعة ، آية ٥٨ - ٥٩

ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيئ قدير) (١) .

وقال الله تعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق مالا تعلمون) (٢) وغير ذلك .

ooooo

* ما يتعلق بخلق النباتات :

قال الله تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (٣)

وقال الله تعالى : (أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النور ، آية ٤٥

(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٥ - ٨

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٩٩

ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ،أ اله مع الله ، بل هم قوم يعدلون) (١) .

وقال الله تعالى : (أفرأيتم ما تحرثون . أأ نتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) (٢) وغير ذلك .

ooooo

* ما يتعلق بخلق الماء :

قال الله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٣)

وقال الله تعالى : (أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولا تشكرون) (٤) وغير ذلك .

ooooo

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النمل ،آية ٦٠

(٢) القرآن الكريم ، سورة الواقعة ،آية ٦٣ - ٦٥

(٣) القرآن الكريم ،سورة الروم ،آيــة ٢٤

(٤) القرآن الكريم ،سورة الواقعة ،آية ٦٨ - ٧٠

* **ما يتعلق بخلق السموات والأرض والأشياء الأخرى :**

قال الله تعالى : (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين . هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) (١) .

وقال الله تعالى : (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده ، قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ، فأنى تؤفكون) (٢) .

وقال الله تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٣)

وقال الله تعالى : (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ، ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ذلكم الله ربكم خالق كل شيئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون) (٤)

وقال الله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) (٥) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة غافر ، آية ٦٤ - ٦٥
(٢) القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية ٣٤
(٣) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٥٤
(٤) القرآن الكريم ، سورة غافر ، آية ٦١ - ٦٢
(٥) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، آية ٣٧

وقال الله تعالى : (قل من رب السموات والأرض قل الله ، قل أفأتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) (١)

وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

ooooo

* احتجاج القرآن الكريم على المشركين :

ولما وجد من يجعل لغير الله سلطانا يشارك به مع الله فى الخلق ، ويستحق به عندهم الربوبية ، اهتم القرآن الكريم بمناقشتهم والرد عليهم .

قال الله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون) (٢) .

فهذه الآية قد نفت أن يكون لله ولد يتقرب اليه بعبادة ، ثم نفت أن يكون هناك آلهة أخرى معه ، لأن هذا ممتنع لما يؤدى اليه من الاختلاف والتنازع (٣) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الرعد ، آية ١٦

(٢) القرآن الكريم ، سورة المؤمنون ، آية ٩١

(٣) سيأتى بحث لهذا فى هذا الفصل .

وقال الله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (١) .

وقال الله تعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءآلله خير أما يشركون . أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أءله مع الله ، بل هم قوم يعدلون) (٢) .

وهكذا ، يقول القرآن الكريم فى كثير من آياته ، " أءله مع الله " ؟ أى هل هناك آلهة أخرى مع الله فعلت هذا ؟

والاستفهام فى الآية للانكار ، والمقصود منه نفى أن يكون مع الله آلهة أخرى ، والاستهزاء بمن قال بهذا .

ومن هذه الآيات وغيرها نعرف أن الذى يربينا ويصلح شأننا ويوصل الينا الخيرات ، ويدفع عنا المكروهات هو الله سبحانه وتعالى وحده . يقول الله تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٣) . ويقول محمد بن جرير الطبرى (٤) فى تفسير الآية :

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء آية ٢٢

(٢) القرآن الكريم ، سورة النمل آية ٥٩ - ٦٠

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٥٤

(٤) أنظر ترجمته ص ٣٢ من هذا البحث .

(ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، كل ذلك بأمره ، أمرهن الله ، فأطعن أمره ، ألا لله الخلق كله ، والأمر الذى لا يخالف ، ولا يرد أمره دون ما سواه من الأشياء كلها ، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر ، تبارك الله معبودنا الذى له عبادة كل شيء رب العالمين) .(١)

ooooo

(ب) الأحاديث النبوية :(٢)

وهناك أحاديث تدل على توحيد ربوبية الله تعالى . ولكيلا نطيل اقتصر على بعض منها : -

---

(١) محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، مجلد ٥ جـ ٨ ص ١٤٦ .

(٢) " وقد وردت نصوص كثيرة تدل على وجوب الأخذ بحديث الآحاد ، والاحتجاج بها فى اثبات العقائد منها : -

١ - قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) سورة التوبة ، ١٢٢

فهذه الآية فيها حث للقبائل والعشائر وأهل النواحى والأقطار المختلفة من المؤمنين على أن ينفر من كل منهم طائفة ليتفقهوا فى دينهم ثم يرجعوا الى قومهم فينذروهم . والطائفة فى لغة العرب تطلق على الواحد فما فوق . والتفقه فى الدين يشمل =

. . . .

= العقائد والأحكام ، بل التفقه في العقائد أهم من التفقه في الأحكام ، ولذا اطلق الامام ابو حنيفة رحمه الله على وريقات كتبها في العقائد ، " الفقه الأكبر " : ففي الآية دليل صريح على وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ، والا ما جاز للطائفة ان تنذر .

٢- قوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" سورة الحجرات ٦ . وفي القراءة الأخرى " فتثبتوا " فانها تدل على أن من لم يكن فاسقا بأن كان عدلا اذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به ، وانه لا يجب التثبت بل يؤخذ حالا .

٣- وقد ورد في السنة ما يوضح قوله تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة . . ." فقد روى البخاري في صحيحه عن مالك بن الحويرث قال : " أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده نحوا من عشرين ليلة ، وكان بنا رحيما ، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا ، سألنا عمن تركنا بعدنا ، فأخبرناه ، قال : ارجعوا الى أهليكم فأقيموا فيهم ، وعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي . - أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٢٣١- فقد أمر كل واحد من هؤلاء الشباب أن يعلم كل واحد من أهله . والتعليم يعم العقيدة ، بل هي أول ما يدخل في العموم ، فلو لم يكن خبر الآحاد مما تقوم به العقيدة لم يكن لهذا الأمر معنى .

٤ - وفي صحيحي البخاري ومسلم أيضا أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام . فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : هذا أمين هذه الأمة .

فلو لم تقم الحجة بخبر الواحد لم يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم أبا عبيدة وحده ، وكذلك يقال في بعثه صلى الله عليه وسلم في نوبات مختلفة والى بلاد متفرقة غيره من الصحابة : كعلي بن أبي =

عن ابن عباس[١] رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب : (لا اله الا الله العليم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم)[٢]

وعن عبد الله بن مسعود[٣] رضى الله عنه قال : (سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ..)[٤] والندّ بالكسر أى المثل .

= طالب ، ومعاذ بن جبل ، وأبى موسى الأشعرى ، وأحاديثهم فى الصحيحين وفى غيرها .

ولا ريب أن هؤلاء كانوا يعلمون العقائد فى جملة ما يعلمون . فلو لم تكن الحجة قائمة بهم عليهم لم يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرادا . قال الامام الشافعى رحمه الله فى كتابه الرسالة : (وهو لم يبعث بأمره الا والحجة للمبعوث اليهم وعليهم قائمة بقبول خبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قادرا على أن يبعث اليهم فيشافههم أو يبعث اليهم عددا فبعث واحدا يعرف بالصدق). عمر سليمان الأشقر ، العقيدة فى الله ، الطبعة الثانية ، (الكويت: مكتبة الفلاح ، مايو ١٩٧٩) ص (٥١ - ٥٢

(١) تقدمت ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، أنظر صحيح البخارى (القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ أكتوبر ١٩٥٨ م) ج ٩ ص ١٥٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ٤٧

(٣) أبو عبد الرحمن ، صحابى . من اكابرهم فضلا وعقلا وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من أهل مكة ، ومن السابقين الى الاسلام . =

وعن ابن عباس (١) رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو من الليل : (اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ، لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ...) (٢)

والامام البخارى جعل فى صحيحه بابا بعنوان ((٣) باب قول الله تعالى : والله خلقكم وما تعملون ، انا كل شيء خلقناه بقدر ، ويقال للمصورين أحيوا ما خلقتم ، ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٤)

وعن أبى هريرة (٥) رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

= توفى بالمدينة سنة ٣٢ هـ . وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة .
الأعلام ، لخير الدين الزركلى جـ ٤ ص ١٣٧

(٤) رواه البخارى ، انظر صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٨٦

(١) تقدمت ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٢) رواه البخارى ، أنظر صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٤٣

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى ، أبو عبد الله : "حبر الاسلام ، والحافظ لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، صاحب الجامع الصحيح " المعروف . ولد فى بخارى سنة ١٩٤ هـ . قام برحلة طويلة فى طلب الحديث ، وجمع نحو ستة مائة ألف حديث اختار منها فى صحيحه ما وثق برواته . الأعلام لخيرالدين الزركلى جـ ٦ ص ٣٤ .

(٤) انظر صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٩٦

(٥) أنظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث

(لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليَعْزِمْ فى الدعاء ، فان الله صانع ما شاء لا مكره له) (1)

وروى الامام مسلم (2) أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى كلاما أقوله ، قال : (قل لا اله الا الله وحده لا شريك له - الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا سبحان الله رب العالمين ، لا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم ..) (3)

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الله وحده خالق كل شيء ومدبره .

٥٥٥٥٥٥

ثانيا - دلالة العقل على وحدانية الربوبية :

وأقسم هذه الدلالة الى : (أ) التمانع (ب) دلالة وحدة المصنوعات على وحدة الصانع .

---

(1) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٧

(2) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، أبو الحسين ، حافظ ، من أئمة المحدثين ، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، توفى بظاهر نيسابور سنة ٢٦١ هـ . وأشهر كتبه " صحيح مسلم " جمع فيه اثنى عشر ألف حديث ، وهو أحد الصحيحين المعول عليها عند أهل السنة فى الحديث ، وقد شرحه كثيرون . الأعلام لخيرالدين الزركلى جـ ٧ ص ٢٢١

(3) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ١٩

(أ) التمانع :

ومن أظهر دلالة العقل على وحدانية ربوبية الله تعالى ما سماه العلماء بدليل التمانع (١). يقول سعد الدين التفتازاني : (ان صانع العالم واحد ، لا يمكن أن يصدق مفهوم واجب الوجود الا على ذات واحدة .. ، والمشهور في ذلك بين المتكلمين برهان التمانع) (٢).

ويقول ابن أبي العز (٣) : (انه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيرا من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في اثبات هذا المطلوب وتقريره ... والمشهور عند أهل النظر اثباته بدليل التمانع) (٤).

والمراد بالتمانع : اما منع وقوع تعدد واجب الوجود أو صانع العالم أو استحالة وقوعه . وتمانع ارادتي الالهين وتعارضهما اذا اختلفا .

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق . ولد بتفتازان سنة ٧١٢ هـ ، وتوفي بسمرقند سنة ٧٩٣ هـ . ومن كتبه : تهذيب المنطق ، وشرح العقائد النسفية ، وغير ذلك . الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٧ ص ٢١٩

(٢) سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية . (بغداد ، مكتبة المثنى) ص ٦٢

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٤) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٨

وهذا الدليل هو :

* (لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما ، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما احياءه والآخر اماتته : فاما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أولا يحصل مراد واحد منهما ، والأول يمتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع ، ويستلزم أيضا عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون الها . واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا - أى الذى حصل مراده - هو الاله القادر ، والآخر - أى الذى لم يحصل مراده - عاجزا لا يصلح للالهية) .(١)

* ومن دليل التمانع ما قاله سعد الدين التفتازاني (٢) :

(لو أمكن الهان لأمكن بينهما تمانع ، بأن يريد أحدهما حركة زيد ، والآخر سكونه ، لأن كلا منهما في نفسه أمر ممكن . وكذلك تعلق الارادة بكل منهما ، اذ لا تضاد بين الارادتين ، بل بين المرادين ، وحينئذ اما أن يحصل الأمران فيجتمع الضدان ، أولا فيلزم عجز أحدهما) .(٣)

---

(١) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٨

(٢) أنظر ترجمته ص ٤٧ من هذا البحث .

(٣) سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ص ٦٣

* وفخر الدين الرازي[1] قدم حجته عن امتناع تعدد الخالق سبحانه وتعالى بقوله : (لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات ، فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد ، وهو محال ، لأن استناد الفعل الى الفاعل لامكانه ، فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد ، فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع ، فيستحيل اسناده الى هذا - يعني لأنه صار واجبا لتعلق ارادة الأول به - لكونه حاصلا منهما جميعا ، فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال)[2] .

* وأثبت ابن قيم الجوزية[3] استحالة تعدد صانع العالم بقوله :

(فان الاله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا ، يوصل الى عابديه النفع ، ويدفع عنهم الضر ، فلو كان معه سبحانه اله لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى شركة الاله الآخر معه ، بل ان قدر على قهره والتفرد بالالهية دونه فعل ، وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه ، وذهب به ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم ، اذا لم يقدر المنفرد على قهر

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي : الامام المفسر . أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . ولد في الري سنة ٥٤٤ هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ . ومن تصانيفه ، مفاتيح الغيب في تفسير القرآن ، وغيره . الأعلام لخيرالدين الزركلي جـ ٦ ص ٣١٣

(٢) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، الطبعة الثانية =

الآخر ، والعلو عليه . فلابد من أحد أمور ثلاثة : اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه . واما أن يعلو بعضهم على بعض . واما أن يكونوا كلهم تحت قهر واحد ، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه . فيكون وحده هو الاله الحق ، وهم العبيد المربوبون المقهورون .

وانتظام أمر العالم العلوى والسفلى وارتباط بعضه ببعض ، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ، ولا يفسد ، من أدل دليل على أن مدبره واحد ، لا اله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد ، لا رب غيره .

فذلك تمانع فى الفعل والايجاد ، وهذا تمانع فى الغاية والألوهية .

فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له الهان معبودان)(١)

واكتفى بهذا القدر من الأدلة العقلية المنطقية فى اثبات وحدة الخالق رب العالمين .(٢)

٥٥٥٥

= (طهران ، دار الكتب العلمية) جـ ٢٢ ص ١٥١

(٣) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث

(١) ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، جمعه : محمد أويس الندوى ، تحقيق محمد حامد الفقى ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ) ص ٣٧١

(٢) ولمزيد من البحث سأتكلم فى الفصل القادم . أنظر ص٩٤٧ من هذا البحث .

(ب) دلالة وحدة المصنوعات على وحدة الصانع :

وطريق البحث في الموجودات يتأدى بنا أيضا الى اثبات الربوبية لله تعالى . فبواسطة مشاهدة المخلوقات يصل العقل الى القطع بأن المخلوق لابد له من خالق ، والمصنوع لابد له من صانع ، والحادث لا بد له من محدث، لاستحالة حدوث الحادث بنفسه . يقول ابن أبي العز (1) : (وانتظام أمر العالم كله وأحكام أمره ، من أدل دليل على أن مدبره اله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا اله للخلق غيره ، ولا رب لهم سواه) (2) .

وما شاهدنا من التناسق الموجود في الكون كله يؤكد ويدل على وحدانية الله تعالى . (فالأرض والنبات والحيوان والانسان عناصرها كلها واحدة ، وكذلك الهواء والماء عناصرهما هي بعض عناصر الانسان ، بل ان عناصر الشمس والنجوم والأفلاك كلها من عناصر واحدة ، فكأن الوجود كله عناصره واحدة ، الأمر الذي يؤكد أن أصله واحد ، وقد وصل العلم الى هذه الحقيقة العلمية المؤكدة وهي أن أصل هذا الكون واحد الأمر الذي يؤكد أن خالقه واحد) (3)

ولذلك يوجه القرآن الكريم الى النظر في شئون الكون ، لادراك أن خالقه واحد هو الله جل شأنه . فيقول : (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . .) (4)

---

(1) تقدمت ترجمته ص ٢١ من هذا البحث.
(2) ابن ابي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٦
(3) عبدالرزاق نوفل ، الشهادة أول ركن من أركان الاسلام ، (القاهرة - دار الشعب) ص ٣١
(4) القرآن الكريم ، سورة الأعراف آية ١٨٥

فيقول : (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ...) (١)

ويقول : (أو لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) . (٢)

ويقول : (وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي اتقن كل شيئ ، انه خبير بما تفعلون) (٣)

وغير ذلك من الآيات القرآنية التي توجه الانسان الى النظر والتفكر في نفسه وما حوله من عوالم ليهتدي الى الحق .

٥٥٥٥٥٥

ثالثا : دلالة الفطرة على وحدة الخالق :

ان الانسان مفطور على الشعور بسلطة عليا يخضع لها كل ما في هذا الكون ، وتدفعه الحاجة - بناء على هذا الشعور - الى طلب العون منها . وهذه السلطة العليا هي سلطة الله تعالى . يوضح ذلك القرآن الكريم بقوله :

(هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) (٤)

---

(١) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية ١٩
(٢) القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية ٣٧
(٣) القرآن الكريم ، سورة النمل ، آية ٨٨
(٤) القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية ٢٢

فهذه الآية مع أنها دليل على وجود الخالق هي أيضا تدل على وحدانيته ، (لأن الانسان حين تجرد من العوامل الطارئة ورجع الى خالص فطرته ، لم يتجه بدعائه ساعة الشدة والأزمة الى الصنم أو الوثن ، بل اتجه الى الله وحده ربه ورب كل شيئ) (١) .

والمشركون في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يدركون بفطرتهم ربوبيته تعالى ، وأنه خالقهم ومدبر أمرهم ، ولم يكونوا يعتقدون أن الأصنام مشاركة لله في خلق العالم ، بل هم يتوسلون بها الى الله . وقد حكى الله تعالى ما قالوا ، فمنه :-

قوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ...) (٢) .

وقوله تعالى : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ...) (٣)

وقوله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله ...) (٤)

---

(١) يوسف القرضاوي ، حقيقة التوحيد ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) ص ١٠

(٢) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، آية ٨٨

(٣) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية ٦٣

(٤) القرآن الكريم ، سورة المؤمنون ، آية ٨٤ - ٨٥

ان الانسان اذا ترك لفطرته يجد نفسه متجها الى قوة عليا فوق الانسان وفوق الكون بأسره ، ولا سيما عندما تعصف به الكروب.

يقول ابن أبي العز[1] : (فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر في الفطر ، معلوم بصريح العقل بطلانه)[2]

ooooo

وبناء على ما تقدم من اثبات وحدة ربوبيته تعالى بالأدلة النقليـــة والعقلية وبأدلة الفطرة ، يتضح خطأ أفكار من يجادلون في الحق بعد ما تبين من : -

١ - النصارى الذين قالوا : (نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء ، وصانع كل ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شيء من أجلنا . . .)[3]

أى أثبتوا الها غير الله تعالى وهو المسيح عليه السلام وروح القدس.

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٢) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٦

(٣) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، (القاهرة : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م) جـ ٢ ص ٢٨

٢ - الثانوية الذين (يثبتون الهين : أحدهما حليم يفعل الخير ، والثانى سفيه يفعل الشر) (١) .

٣ - المجوس الذين (أثبتوا أصلين اثنين ، مدبرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد ، يسمون أحدهما : النور والآخر الظلمة) (٢) .

٤ - عبدة الشمس الذين (زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ، ولها نفس وعقل . ومنها نور الكواكب وضياء العالم ، وتكون الموجودات السفلية ، وهى ملك الفلك ، فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء ..الخ) (٣)

٥ - الماركسيون الذين قالوا (٤) : (اننا لا نؤمن بالاله .. ان البحث عن الله لا فائدة منه ، ومن العبث البحث عن شيئ لم يخبأ وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك اله ، لأنك لم تخلقه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وانما تخلق ...) (٥) فهم لا يؤمنون بوجود اله مدبر وخالق لهذا الكون .

وغير هؤلاء ممن لا يعترفون بوجود الله تعالى ، أو ممن يشركون مع الله آلهة أخرى .

---

(١) فخر الدين الرازى ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، جـ ٢ ص ١١٢

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٧

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٣ ص ١٠٣

(٤) عبد الرحمن عميرة ، المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، (بدون سنة ومطبعة) ص ١٤٠

(٥) المصدر نفسه ص ١٤١

الفصل الرابع

توحيد الالهية

١- دلالة كلمة " الاله " في اللغة :

تفيد اللغة أن كلمة " الاله " من (أَلِهَ يأله من باب تَعِبَ، الاهة بمعنى عبد عبادة . وتألّه تعبّد ، والاله المعبود) (١) .

وقيل " الاله " من (يألهه القلب عبادة واستعانة واجلالا واكراما وخوفا ورجاء .) (٢) كما قال ابن قيم الجوزية (هو الذى يؤله فيحبه محبة وانابة واجلالا واكراما) (٣) .

وبيّن فخر الدين الرازي (٤) في تفسيره أن لكلمة " الاله " عدة معان منها :

- قد تكون بمعنى " المعبود " سواء عبد بحق أو بباطل ، ثم غلب في عرف الشرع على المعبود الحق . (٥)

---

(١) أحمد بن على الفيومى ، المصباح المنير ، ص ١٩

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل ، تخريج وتعليق السيد محمد رشيد رضا ، (لجنة التراث العربى) ج ١ ص ٥٦

(٣) ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق ومراجعة عبد الله بن ابراهيم الأنصارى ، (الدوحة ، مطابع الدوحة الحديثة) ص ٦٦ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث.

(٥) أنظر فخر الدين الرازى ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، جـ١ ص ١٥٨

- وقد تكون بمعنى " السكينة " كقولك : ألهت الى فلان ، أى سكنت اليه .(١)

- وقد تكون الاله من (أله الرجل يأله اذا فزع من أمر نزل به فألهه أى أجاره ، والمجير كل الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه وتعالى)(٢)

وكلمة " الاله " تطلق على كل معبود بحق أو باطل . والاله الحق هو الله سبحانه وتعالى ، ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله .(٣)

وأما كلمة " الله " فقد روى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنـــه الذى يألهه كل شيئ ويعبده كل الخلق فقال : (الله ذو الألوهيـــــة والمعبودية على خلقه أجمعين) .(٤)

فكما بينت أن التأله معناه التعبد ، والمألوه معناه المعبود ، فينبغى لى أن أبين معنى العبادة .

ooooo

---

(١) أنظر فخر الدين الرازى ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير جـ ١ ص ١٥٩ .

(٢) أنظر المصدر نفسه ، جـ ١ ص ١٦١

(٣) أنظر أحمد بن على الفيومى ، المصباح المنير ص ١٩

(٤) من كلام ابن عباس ، أنظر محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيـــان فى تفسير القرآن ، تحقيق : محمود شاكر ، (مصر : دار المعارف) جـ ١ ص ١٢٢

* العبادة في اللغـــة :

والعبادة هي (الانقياد والخضوع) (١)

وقيل : العبادة (الذل ، يقال بعير معبد ، أي مذلل . وطريق معبد : اذا كان مذللا قد وطئته الأقدام) (٢) .

وقيل : معناها (الخضوع والتذلل ، أي استسلام المرء وانقياده لأحد غيره انقيادا لا مقاومة معه ولا عدول عنه ولا عصيان له ، حتى يستخدمه هو حسب ما يرضى وكيف ما يشاء .. ومن هذا الأصل اللغوي نشأت في مادة هذه الكلمة معاني العبودية والاطاعة والتأله والخدمة والقيد والمنع) (٣)

٥٥٥٥

* حقيقة العبادة في الشرع :

العبادة في الشرع : (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين ... ، وأمثال ذلك من العبادة . وكذلك

---

(١) أحمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٣٨٩

(٢) أحمد بن ابراهيم ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، ج٢ ص ٢٥٨

(٣) أبو الأعلى المودودي ، المصطلحات الأربعة في القرآن ، الطبعة السادسة ، (كويت ، دار القلم ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م) ص ٩٥-٩٦

حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والانابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه والشكر لنعمه . . . الى غير ذلك ، فالدين كله داخل فى العبادة)[1]

وقيل : (ان العبادة كمال الحب مع كمال الخضوع)[2] أى أن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل . ولذلك فان العبادة (كلمة تتضمن معنيين امتزج أحدهما بالآخر فصارا شيئا واحدا . وهما نهاية الخضوع مع نهاية الحب . فالخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل هو معنى العبادة . فأما حب بلا خضوع ، أو خضوع بلا حب ، فلا يحقق معنى العبادة ، وكذلك بعض الخضوع مع بعض الحب لا يحقق معنى العبادة ، بل لا بد من كل الخضوع مع كل الحب)[3] .

وهذا الحب يتضمن أيضا حب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وطاعته ، كما يدل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين)[4] .

---

(١) أحمد بن ابراهيم ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الامام ابن القيم جـ ٢ ص ٢٥٩

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يوسف القرضاوى ، حقيقة التوحيد ، ص ٢٤

(٤) رواه البخارى ،أنظر فتح البارى جـ ١ ص ٥٨

وقد استعملت كلمة " العبادة " فيمن اتخذ الها غير الله وتقرب اليه ، فقيل عابد الوثن وعابد الشمس ، وقال الله تعالى (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا)(١) فسمى الله عمل المشركين عبادة .

وبعد توضيح معنى " الاله " ومعنى " العبادة " من حيث اللغة والاصطلاح ، فما هو توحيد الالهية ؟

٥٥٥٥

٢- حقيقة توحيد الالهية :

وقد جمع ابن قيم الجوزية(٢) معنى توحيد الالهية في قوله :

(وأما جمع توحيد الالهية ، فهو أن يجمع قلبه وهمه وعزمه على الله ، وارادته ، وحركاته على أداء حقه تعالى ، والقيام بعبوديته سبحانه . فتجتمع شئون اراداته على مراده الديني الشرعي)(٣)

وتوحيد الالهية يقال له توحيد العبادة ، لأن المألوه معناه المعبود .

يقول ابن أبي العز : (وتوحيد الالهية .. هو عبادة الله وحده لا شريك له)(٤).

---

(١) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٧٦

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٣) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ٣ ص ٥١٠

(٤) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٩

فحقيقة هذا التوحيد : أن يعبد الله وحده ولا يشرك بعبادته أحد أو شيء من خلقه ، سواء في الأفعال أو الأقوال أو المحبة أو الخوف أو التوكل ... الخ .

يقول ابن تيمية (١) : -

(وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون" (٢) .

وقال تعالى : " واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون " (٣) . وقال تعالى : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (٤) (٥))

وكما يقول ابن تيمية :

(والتوحيد الذى جاء به الرسول .. انما تضمن اثبات الالهية لله وحده ، بأن يشهد أن لا اله الا هو ، ولا يعبد الا اياه ، ولا يتوكل الا عليه

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٢٥

(٣) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، آية ٤٥

(٤) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٣٦

(٥) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ، ج ١ ، ص ٣٥

ولا يوالى الا له ، ولا يعادى الا فيه ، ولا يعمل الا لأجله ...)(١) .

هذا هو حقيقة توحيد الالهية .

ooooooo

٣- **أدلة توحيد الالهية :**

وتنقسم هذه الأدلة الى ثلاثة أقسام :-

أولا : توحيد الالهية فى القرآن الكريم .

ثانيا : توحيد الالهية فى الأحاديث النبوية .

ثالثا : اثبات توحيد الالهية عقلا .

أولا : توحيد الالهية فى القرآن الكريم :

ولما كان توحيد الالهية مناط الايمان بالله ورسوله ، ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الانسان والجان ، بينه القرآن الكريم بكل وضوح وافصاح ، وضرب لذلك الأمثال والعبر حتى يقول ابن تيمية (٢) :

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، جـ١ ص ٢٢٤

(٢) أنظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(والقرآن من أوله الى آخره ، وجميع الكتب والرسل ، انما بعثوا بأن يعبد الله وحده لا شريك له)[1] فكل سورة من سور القرآن الكريم تشير الى هذا التوحيد .

وقد سلك القرآن الكريم عدة طرق لاثبات الالهية لله وحده . منها :-

(أ) ثبوت الربوبية مستلزم لثبوت الالهية :

فالآيات القرآنية التي تستدل على توحيد الربوبية في الوقت نفسه تدل على توحيد الالهية ، وهذه كثيرة في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :-

(أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ،أ إله مع الله)[2] .

فبسياق الاستفهام " أ إله مع الله " الذى هو بمعنى التوبيخ والتهكم[3] أثبت الله سبحانه وتعالى لنفسه أنه خالق السموات والأرض وجميع أنواع النباتات التى صارت حدائق وبساتين جميلة ، فليس أحد يستطيع أن يفعل ذلك . ثم بنفس الطريق رد عبودية خلقه له وحده . فقوله " أ إله مع الله " أى هل

---

(١) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ،مجموعة الرسائل والمسائل جـ١ ص ٥٥
(٢) القرآن الكريم ، سورة النمل ،آية ٦٠
(٣) أنظر ، محمد على الشوكانى ، فتح القدير جـ ٤ ص ١٤٦

هناك معبود مع الله حتى يقرن به ويجعل شريكا له في استحقاق العبادة ، مع أنه لا يخلق شيئا ؟

اذن ، اذا ثبت أن غير الله لا يقدر على خلق هذه الأشياء ، فلا يجوز لذلك الغير مشاركته في استحقاق العبادة ، فالعبودية مستحقة لله وحده .

ههههه

وقوله تعالى : -

(يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون .) (١)

بين أن الله الذى خلق الانسان ، وأوجده من العدم الى الوجود ، وأنعم على الناس بأن جعل لهم الأرض مفروشة ، والسماء سقفا لهم مع نزول المطر منها وغير ذلك . تلك كلها تدل على ربوبية الله تعالى وحده في هذا العالم .

ثم في نفس الوقت قال الله تعالى " اعبدوا ربكم " وقال : " فلا تجعلوا

---

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٢١ - ٢٢

لله أندادا " فالأول أمر بعبادته ، والثانى نهى عن الاشراك فيها .

بهذا ، أوجب الله على الناس العبودية له وحده بعد أن قدم لهم آيات وشواهد على ربوبيته . يقول اسماعيل بن كثير [1] (أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ، ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره) [2]

٥٥٥٥

وقوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) [3] .

فقوله تعالى " فطر السموات والأرض " يدل على ربوبية الله تعالى ، بأنه هو الذى خلق السموات والأرض . فبمقتضى معرفة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربه ألزم نفسه بالعبودية له وحده وقصد اليه ولم يشرك به شيئا ، كما حدث لقومه الذين عبدوا الأصنام .

ثم ان قوله : " انى وجهت وجهى " وقوله " وما أنا من المشركين " توحيد للالهية .

فالآية كما تدل على ربوبية الله تعالى . فى نفس الوقت تثبت الهيته .

٥٥٥٥

---

(١) أنظر ترجمته ص ١٧ من هذا البحث
(٢) اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ص ٥٧
(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٧٩

وقوله تعالى : -

(والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون . الهكم اله واحد) . (١)

ان الأصنام التي عبدها الكفار والمشركون لا تخلق شيئا وليست حية . ولذلك ليس لها من صفات الربوبية شيء أصلا . فاذا كانت كذلك فلِمَ عبدوها مع أن المستحق للعبادة هو الخالق المدبر المتصرف الذي استحق وحده صفات الكمال والربوبية .

فالآية لما نفت الخالقية عن غير الله تعالى نفت أيضا استحقاق العبادة لذلك الغير .

وفي القرآن آيات كثيرة مماثلة لهذه الآيات .

٥٥٥٥٥

(ب) استعمال قياس الأولى :

وقد استعمل القرآن الكريم أمثلة مستمدة من أحوال الناس ليوضح على ضوئها ما ينبغي أن يكون عليه حالهم مع خالقهم على نحو ما في الآيات الآتية :

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٢٠ - ٢٢

قال الله تعالى : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ..) (١)

احتج القرآن الكريم على المشركين بهذه الآية ، فكأنه يقول لهم : هل أنتم ومملوككم سواء في حق تملك وتصريف أموالكم ؟ هل ترضون بهذا ؟ لا شك أنهم لا يرضون بذلك . لأن من المعروف أن مملوك الانسان ليس شريكه .

فاذا بطلت الشركة بين السادة والعبيد فيما يملكه السادة بطلت الشركة بين الله وخلقه بالأولى " ولله المثل الأعلى " لأنهم كلهم عبيد لله تعالى ومنهم الأصنام ، فكيف اشتركوا في حق استحقاق العبادة معه ؟

ooooo

وقال الله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ...) . (٢)

ان المشركين قالوا : انه ليس لمن يدعونهم آلهة مشاركة في السموات والأرض مع الله تعالى ، لا في الخلق ولا في الملك ولا في التصرف ، كما

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية ٢٨

(٢) القرآن الكريم ، سورة سباء ، آية ٢٢ - ٢٣

حكى الله تعالى عنهم : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله ...) (١) أى أن الله تعالى انفرد وحده بالخلق، والابداع والتدبير . ولهذا وجهت الآية لهم الأسئلة التالية : -

- هل الذين عبدتم من دون الله يملكون مثقال ذرة فى السموات والأرض على سبيل الاستقلال ، أو على سبيل الشركة مع الله فى أمر من الأمور سواء من نفع أو ضر ؟
- هل أحد منهم تعاون مع الله فى ابداع السموات والأرض وخلق الأشياء؟

فاذا كان مَنْ من دون الله لا يخلقون شيئا ولا يقدرون على التصرف فى السموات ولا فى الأرض ، فلماذا عبدتموهم ، وجعلتم لهم حقا مثل حق الله ، وهو حق استحقاق العبادة ، مع أن الله تعالى هو الخالق والمبدع والمتصرف والمالك ؟

فبينت الآيات أن الله تعالى أولى باستحقاق العبادة دون غيره ممن المخلوقات . ومثل هذه الآيات فى القرآن كثير .

(ج) ارسال الرسل لأجل توحيد الالهية :

بين القرآن الكريم أن جميع رسل الله وأنبيائه من أولهم الى آخرهم

---

(١) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ،آية ٦١

بعثوا لدعوة الناس الى توحيد الله تعالى ، أى تخصيصه بالعبادة . فمن ذلك :-

قوله تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١) .

وقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) (٢) .

وقوله تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) (٣) .

وحكى جل شأنه قول نوح عليه السلام لقومه : (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (٤) .

وحكى جل شأنه قول هود عليه السلام لقومه : (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (٥) .

وحكى جل شأنه قول صالح عليه السلام لقومه : (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (٦)

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٣٦
(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٢٢
(٣) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، آية ٤٥
(٤) القرآن الكريم ، سورة المؤمنون ، آية ٢٣
(٥) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٦٣
(٦) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٧٣

وحكى جل شأنه قول شعيب عليه السلام لقومه : (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (١) .

وحكى جل شأنه ما كان من ابراهيم مع قومه قال : (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) (٢) .

وقال جل شأنه : (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل ان لا تعبدوا الا الله) (٣) .

وقال جل شأنه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين) (٤) . وقال له : (قل الله أعبد مخلصا له ديني) (٥)

واجمال ذلك كله قول الله تعالى : (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (٦) .

ooooooo

(د) الشهادة والاخبار :

وفي القرآن الكريم وردت شهادة من الله تعالى وملائكته وأولى العلم على الهيته تعالى تعليما لعباده . قال الله تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٨٥
(٢) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية ١٦
(٣) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٨٣
(٤) القرآن الكريم ، سورة الزمر ، آية ١١-١٢
(٥) القرآن الكريم ، سورة الزمر ، آية ١٤
(٦) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٩٢

والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم)[1] فهذه الشهادة هي ان الله تعالى منفرد بالالهية ، وان جميع المخلوقات عبيد له .
وهذه الشهادة من الله تعالى ، وهو أعدل الشاهدين وأصدق القائلين .

وكذلك علم الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يرفض الشهادة بوجود شريك لله . وفي تعليم الله لرسوله تعليم لنا . قال الله تعالى : (قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحد ، وانني برئ مما تشركون)[2] .

هذا ، لأن المشركين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعدلوا الى رب غير الله تعالى من الأوثان والأصنام ، فنهى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن أن يشهد معهم أن مع الله آلهة أخرى ، أو أن يستحق العبادة أحد معه .

ثم أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ مما اعتقده المشركون في الأصنام والأوثان ، وأن يعلن انه لا اله الا الله .

وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهد أن مع الله آلهة أخرى ،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١٨

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٩

وهو الذى جاء بالتوحيد ، وانما القصد بيان بطلان عقيدة الشرك ، وانها أبعد من أن يقول بها أحد ممن يعتد بقوله .

ه ه ه ه ه

ومن الاخبار قوله تعالى : (والهكم اله واحد ، لا اله الا هو الرحمن الرحيم) (١) .

فأخبر الله تعالى عن نفسه بأنه هو الاله الواحد المتصف بالرحمن الرحيم .

والاله الواحد هو المنفرد عن جميع المخلوقات بالربوبية والالهية والصفات التى لا يشبهه فيها شيئ ولا يشاركه أحد . يقول محمود الألوسى (٢) :

(واعادة لفظ " اله " وتوصيفه بالوحدة لافادة ان المعتبر الوحدة فى الألوهية واستحقاق العبادة ، ولولا ذلك لكفى " والهكم واحد " .) (٣)

ه ه ه ه ه

ومن الاخبار قوله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام :

(اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ...) (٤)

فأخبر الله تعالى انه هو الاله الواحد المستحق للعبادة ، فلا يصلح

---

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ١٦٣

(٢) أنظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث

(٣) محمود الألوسى ، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، جـ ٢ ص ٢٩

(٤) القرآن الكريم ، سورة طه ، آية ١٤

لها ولا يستحقها غيره ، ولذلك أمر موسى عليه السلام بأن يخلص عباداته لله تعالى ، ولا يتخذ شيئا شريكا لله فى عباداته.

ه ه ه

ومن الاخبار قوله تعالى : (هو الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس..) (١)

قبل هذه الآية ضرب الله للناس مثلا ، كيف يكون حال الجبل من الخشوع والتصدع لو أنزل عليه القرآن .

ثم أخبر الناس جميعا ان الاله هو الله الواحد ، لاغير ، وهو متصف بالعلم ، يعلم غيب السموات والأرض ويشاهد ما يجرى فيهما ظاهرا وباطنا . ومن صفاته أيضا أنه الملك القدوس ، فهو مالك جميع الموجودات ، وله جميع صفات الكمال . ولذلك فلا تنبغى العبادة والالهية الا له .

ومثل هذه الآيات فى القرآن كثير .

(هـ) الأوامر والنواهـــى :

وفى القرآن الكريم أيات كثيرة تأمرنا على سبيل القطع بأن نوحد الله فى جميع عباداتنا وتنهانا أن نشرك به شيئا . فمن تلك الأوامر :

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحشر ، آية ٢٢

قوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)[1] فمعنى الآية أن الله تعالى أمر عباده بأن يعبدوه حق العبادة ، وهى توحيده فى الالهية ، بأن يخضعوا ويذلوا له ، ويطيعوه ، ولا يعظموا شيئا كتعظيمهم لله تعالى .

٥ ٥ ٥

وقوله تعالى : (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين)[2] .

فقوله " فاعبد الله مخلصا له الدين " أمر للنبى صلى الله عليه وسلم باخلاص العبادة لله تعالى ، لا يشركه فيها بشيئ من خلقه ، وبافراده بالالهية فلا يجعل له فى عبادته شركاء كما فعل المشركون ، وأمر النبى محمد صلى الله عليه وسلم أمر لنا .

٥ ٥ ٥

وقوله تعالى : (... ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيئ فاعبدوه ..)[3]

فقوله " فاعبدوه " أمر بالعبادة . والعبادة المأمورة بها هى الخضوع والطاعة ولا تتأتى بالتشريك . فلا تصح العبادة الا لله ، لأنه الخالق لكل

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٣٦
(٢) القرآن الكريم ، سورة الزمر ، آية ٢
(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٠٢

شيئ والصانع لكل شيء . فحق المخلوق والمصنوع أن يفرد خالقه وصانعه بالعبادة .

ويقول محمد بن جرير الطبري (١) في معنى قوله تعالى " فاعبدوه " أي (فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة واخضعوا له) (٢) .

٥ ٥ ٥

وأما النواهي فمنها قوله تعالى :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا) (٣) .

والتحريم في الآية النهي الجازم (٤) . ومعناه : أن الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد قل للذين عدلوا عن عبادة ربهم وعبدوا الأوثان والأصنام ، تعالوا أقرأ عليكم ما حرم ربكم : وهو أن لا تشركوا بالله شيئا من خلقه ، ولا تتخذوا غيره الها كما تفعلون مع الأوثان والأصنام أو غيرها .

٥ ٥ ٥

وقوله تعالى : (قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ..) (٥)

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٢ من هذا البحث
(٢) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، مجلد ٥ جـ٧/١٩٩
(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٥١
(٤) أنظر ، محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، مجلد ٥ ، ٨/٦٠
(٥) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ٦٤

كأن الآية تقول : يا محمد قل لهم هلموا الى الكلمة الحق والعدل التى تليق بنا وبكم ، وهى أن لا نعبد الا الله ، نوحده ونبرأ من كل معبود سواه . فالله سبحانه لا شريك له .

وأما قوله : "ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا " فهو نفى بمعنى النهى عن اتخاذ أحد غير الله تعالى كمشرع مطاع فى معصية الله . وهذا النهى شامل لليهود والنصارى وغيرهم .

ه ه ه

وقوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) (١) .

فالآية تتضمن نهيا عن اتخاذ غير الله شريكا له ، لأن ذلك افتراء وكذب على الله . فمن فعل هذا فقد ارتكب اثما عظيما . يقول محمود الألوسى (٢) :

(قوله : ومن يشرك بالله ، استئناف مشعر بتعليل عدم غفران الشرك ، واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لادخال الروعة ، وزيادة تقبيح الاشراك ، وتفظيع حال من يتصف به) (٣) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٤٨

(٢) أنظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

(٣) محمود الألوسى ، روح المعانى ، جـ ٥ ص ٥٣

ثانيا : توحيد الالهية في الأحاديث النبوية :

وتوجد أحاديث صحيحة كثيرة تدل على اختصاص الله بالالهية ، وأنه لا شريك له في الالهية واستحقاق العبادة . فمن تلك الأحاديث :

عن عبد الله بن مسعود [1] قال : (سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال أن تجعل لله ندّا وهو خلقك ...) [2]

وذكر الامام البخاري في صحيحه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [3] : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) [4] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معاذ [5] تدري [6] ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٤٤ من هذا البحث .

(٢) رواه البخاري ، أنظر صحيح البخاري ، جـ ٩ ص ١٨٦

(٣) أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية . كان جريئا جهيرا . نشأ في الاسلام ، وهاجر الى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة . ولد سنة ١٠ ق هـ ، وتوفي سنة ٧٣ هـ . أفتى الناس في الاسلام ستين سنة ، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة/ الأعلام لخير الدين الزركلي جـ ٤ ص ١٠٨

(٤) رواه البخاري ، أنظر فتح الباري جـ ٣ ص ٤٠٨

(٥) تقدمت ترجمته ص ٢٣ من هذا البحث .

(٦) وفي رواية : " أتدري " و " هل تدري " . أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣١

يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ..) (١)

وحين بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل (٢) الى اليمن قال له : (انك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل ...) (٣) أي الى توحيد الالهية ، واختصاصه سبحانه وتعالى بالعبادة .

وحين جاء وفد عبد القيس (٤) الى النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن أمور الدين ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأربع منها : (.. اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ...) (٥)

وعن عبادة بن الصامت (٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا) (٧) .

---

(١) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ٢٣٢

(٢) أنظر ترجمته ص ٢٣ من هذا البحث .

(٣) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ١٩٩

(٤) هؤلاء تقدموا قبائل عبد القيس من حي ربيعة للمهاجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رئيسهم الأشج العصري ، وكانوا أربعة عشر راكبا . / أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ١٨١ ، ١٨٢

(٥) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١ ص ١٩٠

(٦) تقدمت ترجمته ص من هذا البحث .

(٧) رواه البخاري ، أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ ١ ص ٦٤

وحديث أركان الاسلام المشهور وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم :

(بني الاسلام على خمس ، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) (١) . فعبادة الله وحده هي الأساس الأول في عمل كل مسلم .

وهناك غير ذلك من الأحاديث .

٥ ٥ ٥

ثالثا : اثبات توحيد الالهية عقلا :

بعد أن تكلمت فيما سبق عن أدلة توحيد الالهية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، فالآن أقدم الأدلة العقلية على اثبات الالهية لله تعالى وحده . ومن هذه الأدلة ما يلي :-

(أ) اذا كانت كل الموجودات مربوبية لله تعالى - كما ثبت في فصل توحيد الربوبية - فليس من المعقول أن نجعل منها آلهة مع أنها مفتقرة الى الله سبحانه وتعالى ، لأن هذه الموجودات ليس لها مقدرة على تصريف أحوال الكون وأموره ، وليس عندها استطاعة على تدبير شئونه .

اذن ، بطل القول أن من المخلوقات آلهة ، وبذلك تعين أن يكون

---

(١) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ١ ص ١٧٧

الخالق الحق هو الاله المعبود بالحق وهو الله سبحانه وتعالى .(١)

(ب) اذا كانت السلطة بيد الحاكم الواحد ، وليس لأحد معه فيها شيئ ، فالالهية تكون مخصوصة به وخالصة له دون غيره لا محالة ، فليس هناك شريك له فيما يملك وفيما يدبر ويتصرف ، وهذا الحاكم الواحد هو الله سبحانه وتعالى ، فهو الاله المعبود ، لا غيره .(٢)

(ج) ان الله تعالى مختص بكمالات لا يشركه فيها سواه ، فهو القدير ، السميع ، البصير ، الرحيم ، اللطيف ... الخ . وقد عرفنا هذه الصفات من النظر في مخلوقاته ، واذا كان كذلك فهذه الكمالات تقتضي من العباد الخضوع له بالقلوب والجوارح وتعظمه وتحبه وتطيعه .(٣)

٥ ٥ ٥

٤ـ مقتضى توحيد الالهيــة :

وقد أسلفت القول بأن توحيد الالهية معناه توحيد العبادة لله تعالى وحده .

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، الطبعة الثامنة ، (دار الفكر ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م) ص ١٩

(٢) أبو الأعلى المودودي ، المصطلحات الأربعة في القرآن ، ص ٣٠

(٣) أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، ص ١٩

وقد أخذ الله العهد على بني الانسان بهذا التوحيد منذ القدم، وغرسه في فطرتهم. يقول الله تعالى : (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين ، وان اعبدوني هذا صراط مستقيم) (١)

ثم بين الله تعالى هذا العهد بقوله : (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم . قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) (٢) .

ولذلك كان المقصود الأعظم من ارسال الرسل وانزال الكتب تذكير الناس بذلك العهد ، وازالة ما عند الناس من الشرك في عباداتهم لله تعالى ، فكان أول دعوة من كل رسول الى قومه : اعبدوا الله مالكم من اله غيره.

والاسلام لما حارب الأصنام كاللات والعزى وغيرها ، لم يحاربها لأجل ذاتها المادية ، ولكن حاربها لأن تلك الأصنام لها مكانة مثل مكانة الله في قلوب المشركين . أخبر الله عن اعتقادهم هذا بقوله :

(ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله . . .) (٣) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة يس ، آية ٦٠ - ٦١

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٧٢ - ١٧٣

(٣) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ١٦٥

وأخبر الله تعالى عما سيحدث فى الآخرة بين الذين عبدوا من دون الله ومعبودهم ، اعترفوا بخطئهم وضلالهم ، لأنهم جعلوا لغير الله مكانة مثل مكانة الله ، فقال الله تعالى : -

(... وبرزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود أبليس أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون . تالله ان كنا لفى ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين .) (١)

ثم ان الأصنام ليست محصورة فى الأشياء المشهورة التى عبدها المشركون ، ولكن كل ما يصرف القلوب عن الله تعالى فى العبادة صنم أيضا ، واذا كان لشيء ما فى قلب انسان من المنزلة والمكانة مثل ما لله ، فذلك الانسان مشرك وان أقر بتوحيد الربوبية . يقول ابن أبى العز (٢) : -

(فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية .. وهو مع ذلك ان لم يعبد الله وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه كان مشركا من جنس أمثاله من المشركين) (٣) .

والآن نريد أن نعرف مقتضيات توحيد الالهية حتى نحققها فى عباداتنا بأنواعها المختلفة وفى معاملاتنا كلها . ومن هذه المقتضيات هى : -

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، آية ٩١ - ٩٨
(٢) أنظر ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .
(٣) ابن أبى العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٣

أولا : اخلاص العبودية لله تعالى :

ان أرفع درجات الانسانية وأعلى معانيها ليس في سعة العلم أو الأدب أو الثقافة أو المال ، أو النفوذ والسلطان ، ولا في قوة الجسم أو حسن التصرف في المجتمع ، وانما هو في تحقيق معنى العبودية لله تعالى في نفس الانسان ، قال الله تعالى : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) .

وتحقيق هذه العبودية مبنى على اخلاص العبادة لله تعالى وحده في ظاهرها وباطنها ، بحيث لا يكون في شيء منها لغير الله نصيب. بهذا يستطيع الانسان أن يجعل كل ماله من الطاقات مصروفة لما يرضى الله تعالى وحده .

ولما كان الاخلاص هو روح العبادة الصحيحة المقبولة ،فكان لا بد من بيانه .

حقيقة الاخلاص :

يقول أبو حامد الغزالي(٢) : (والاخلاص يضاده الاشراك . فمن ليس مخلصا فهو مشرك ، الا أن الشرك درجات . فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، آية ١٣

(٢) أنظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

والشرك منه خفي ومنه جلي ، وكذا الاخلاص . والاخلاص وضده يتواردان على القلب ، فمحله القلب ، وانما يكون ذلك في القصود والنيات .. ، فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمى الفعل الصادر عنه اخلاصا) (١) .

ويقول محمد بن علي الشوكاني (٢) : (الاخلاص أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه) (٣) .

اذن ، فاخلاص العبادة لله تعالى ، هو افراد الله بالعمل والنية وابعادهما عن الشركة . فالاخلاص لله تعالى في المحبة والخوف والدعاء والرجاء والطاعة وسائر الأعمال هو أساس لتكون مقبولة عند الله تعالى . قال الله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (٤) .

ولتحقيق اخلاص العبادة لله تعالى لابد من أمور : -

---

(١) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٤ ص ٣٦٧

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، من أهل صنعاء . ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣ هـ ، ونشأ بصنعاء ، ومات بها سنة ١٢٥٠ هـ . له ١١٤ مؤلفا ، منها : نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، وفتح القدير ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع وغيرها . / الأعلام لخير الدين الزركلي جـ ٦ ص ٢٩٨

(٣) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، جـ ٤ ص ٤٤٨

(٤) القرآن الكريم ، سورة البينة ، آية ٥

الأول : ألاّ يكون هناك رب يعبد ويعظم غير الله تعالى :

قال الله تعالى : (قل أغير الله أبغى ربّا وهو رب كل شيء) (١) .

ونهى الله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ أرباب من دون الله . قال الله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ...) (٢) .

ان الله سبحانه وتعالى واحد فى آلهيته ، فلا يكون لغيره حق فى العبادة ، أو للخوف منه والرجاء فيه ، فلا خشية الا من الله تعالى ، ولا اعتماد الا عليه ، ولا انقياد الا لحكمه ، وغيره عباد مخلوقون لله تعالى ، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، قال الله تعالى : (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو) (٣) .

وقال تعالى : (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) (٤) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٦٤

(٢) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ٦٤

(٣) القرآن الكريم ، سورة فاطر ، آية ٣

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٤

ان الله سبحانه وتعالى وحده هو المنفرد بالربوبية والالهية فى هذا العالم . فأى شيء يتخذه الانسان ربا ، سواء كان من المادة المشهودة كحجر أو حيوان أو انسان ، أو غير المشهودة كملك أو شيطان أو غيرهما ، يعبده وحده ، أو مع الله ، كان ذلك اشراكا لخلو عبادته من الاخلاص لله تعالى .

ه ه ه

الثانى : أَلَّا يتخذ غير الله تعالى محبوبا مثله :

ان مقتضى توحيد الالهية ، أن يكون حب المرء لله فى أعلى مقامات الحق ، ولا يتخذ غيره وليا محبوبا كحب الله .

وقسم ابن بطال (١) والقاضى عياض (٢) المحبة التى تكون بين الناس ثلاثة أقسام :-

---

(١) هو على بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن ، عالم بالحديث ، من أهل قرطبة . توفى سنة ٤٤٩ هـ . له شرح البخارى ، ولم يطبع بعد . الأعلام لخير الدين الزركلى ، جـ ٤ ص ٢٨٥

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى ، أبو الفضل : عالم المغرب وامام أهل الحديث فى وقته . كان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم . مولده سنة ٤٧٦ هـ ، توفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ . ومن تصانيفه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، الاعلام بحدود قواعد الاسلام ، وغيره / الاعلام لخير الدين الزركلى جـ ٥ ص ٩٩

محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة الناس بعضهم لبعض.(١)

وأما حب الله تعالى فهو الحب الكامل الذى يكون بجميع القلب ولا التفات فيه الى غير الله . يقول ابو حامد الغزالى(٢) (وكمال الحب فى أن يحب الله عز وجل بكل قلبه . وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره . فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله)(٣) .

ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى تكون بطاعته وترك مخالفته(٤) ، لأن فعل ما يرضى به المحبوب يدل على حبه ، ومخالفته تدل على نقص المحبة له . فمن أحب غير الله تعالى كان فى حبه لله تعالى نقص . ومن نقص حبه لله ، نقص توحيده له ، لأن من كمل حبه لله تعالى لا يحب سواه .

واخلاص العبادة لله تعالى يقتضى اخلاص الحب له ، ولا يتخذ غيره محبوبا .

وقد ذم الله تعالى الذين اتخذوا اندادا لله يحبونهم كحبه ، يقول الله تعالى : -

---

(١) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٢ ص ١٥

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٣) أبو حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٤ ص ٣٠٧

(٤) أنظر ، صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٢ ص ١٣

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ، يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ..) (١) والأنداد في الآية أعم من الأصنام كما هو واضح من عبارات القرآن الكريم ، وهو ما يشغل عن الله تعالى . والمراد بالمحبة : التعظيم والطاعة ، أي أنهم يسوون بين الله تعالى وبين الأنداد ، فيعظمونهم ويطيعونهم كما يعظمون الله ويطيعونه .(٢)

وبقوله : " والذين آمنوا أشد حبا لله " بين الله تعالى أن محبة المؤمنين لله تعالى ليست كمحبة المشركين . فان المشركين جعلوا الأصنام وأشباهها التي أحبوها في مقام الله ، يعبدونها مع الله ويحبونها كحبهم لله . فالمشركون يتوجهون الى الله باخلاص حينما يصابون بالشدائد . كما يحبون الصنم مرة ويعبدونه ، ثم يتركونه مرة أخرى .

يقول الله تعالى حاكيا عنهم : -

(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجّاهم الى البر اذا هم يشركون) .(٣)

ويجب على العباد أن يحبوا الله تعالى ، لأنه مصدر الوجود والنعم ،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ١٦٥

(٢) أنظر محمود الألوسي ، روح المعاني ، جـ ٢ ص ٣٤

(٣) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية ٦٥

ومصدر الرحمة في الكون كله ، ولأن الله تعالى كامل الكمال المطلق الذى لا يناظره كمال آخر .

وقد توعد الله تعالى من يجعل حب غير الله أشد من حب الله بالعذاب والمقت الشديدين ، قال الله تعالى : (قل ان كان أباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين) .(١)

من هذا كله يتضح أن من أحب شيئا غير الله تعالى حبا من نوع حب المخلوق للخالق صار عبدا له ، لأن المحب منعطف نحو محبوبه ومشغول به . والمحب لا بد أن يطيع محبوبه فيما يريده منه ويرضاه .

والرسول صلى الله عليه وسلم سمى محب الدنانير ، الحريص على جمعها وحفظها بـ " عبد الدينار "(٢) . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال : (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، ان أعطى رضى ، وان لم يعط لم يرض) .(٣) فيسمى هؤلاء الذين ان أعطوا رضوا ، وان منعوا سخطوا عبيدا لهذه الأشياء ، لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم اليها ، وتكون هذه المحبوبات آلهة لهم ،(٤) كما قال الله تعالى : -

---

(١) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ٢٤
(٢) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث.
(٣) رواه البخاري ، أنظر ابن حجر العسقلاني ، فتح البارى ج ١١ ص ٢٥٣
(٤) المصدر نفسه وفي نفس المكان .

(أرأيت من اتخذ الهه هواه)[1] .

ثم ان المحبة لغير الله تعالى تتناقض مع معنى "لا اله الا الله" لأن لا اله الا الله معناها : لا معبود ولا محبوب الا الله . يقول أبو حامد الغزالي[2] : (معنى قولك "لا اله الا الله" أى لا معبود ولا محبوب سواه ، فكل محبوب فانه معبود)[3]

ويقول محمد الغزالي[4] : (واذا رأيت المرء يحب غير الله أكثر مما يحب الله ، ويخاف غير الله أكثر مما يخاف الرب . . ، فاعلم ان هذا الشخص قد أشرك)[5] .

اذن ، لتكون العبادة خالصة لله تعالى ينبغى أن لا يكون هناك محبوب أكثر من حب الله ، فمحبة الله تعالى تمنع الشرك فى العبادة .

حب الأنبياء والصالحين :

وبعد محبة الله تعالى ، لابد أن يكون هناك محبة لأنبيائه عليهم

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الفرقان ، آية ٤٣

(٢) أنظر ترجمته ص ٧ من البحث

(٣) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٤ ص ٣٠٧

(٤) ولد عام ١٩١٧م ، تخرج فى الأزهر عام ١٩٤١م ، ألف ٣٦ كتابا ، وهو أحد رواد الدعوة الاسلامية الحديثة . / مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ، محمد الغزالي ، جمادى الآخر ١٤٠٢هـ (الغلاف الأخير)

(٥) محمد الغزالي ، عقيدة المسلم ، (القاهرة ، مطبعة حسان ١٩٧٦م) ص ٧٧

الصلاة والسلام ولعباده الصالحين . يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم :
(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (١) .

لأنه لولا هداية نبينا محمد صلي الله عليه وسلم لضل الناس وما عرفوا السعادة الحقيقية . فيلزم محبة النبي صلى الله عليه وسلم آكد وأكثر من كل الأقرباء من الأب والابن وغيرهما من الناس.

وكذلك محبة جميع الأنبياء والصالحين ،لأنهم محبوبون لله . وحب محبوب الله يرجع الى حب الله . يقول ابن تيمية (٢) : -

(وانما تحب الأنبياء والصالحون تبعا لمحبته - أي محبة الله - فان تمام حبه - أي حب الله - حب ما يحب ، وهو يحب الأنبياء والصالحين (٣) ..) فحب الأنبياء والصالحين وكل ما أحبه الله حب لله .

ولكن من أحب شخصا لغير الله ،كمن يحب المرء لا لأمر يرجع الى حب الله ، فهذه المحبة خارجة عن المحبة التي أوصانا بها الاسلام . يقول ابن تيمية (٤) : (ان أهل الايمان أصل حبهم هو حب الله) (٥) .

---

(١) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ص ١٥

(٢) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، ج ١٠ ، ص ٦٠٧

(٤) أنظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ج ٨ ص ٣١٦

والعبادة مع المحبة الخالصة لله تعالى تؤدى الى سعادة واطمئنان .

يقول الله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (١) لأن من أشرك مع الله غيره حرمه من لقائه بالآخرة .

يقول أبو حامد الغزالي (٢) : (أسعد الخلق حالا فى الآخرة أقواهم حبا للـه تعالى ، فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائـه ، وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه ...) (٣)

فالدين الحق هو اخلاص العبادة لله من كل وجه ، وهو يؤدى الـى كمال الحب له ، والى حب من أحبه الله ، وبمقدار المحبة لله يكون الاخلاص له فى العبادة ، وبقدر نقص المحبة ينقص الاخلاص فى العبادة ، وبقـدر تحقق الاخلاص تتحقق العبودية .

٥ ٥ ٥

الثالث : ألاّ يحكم بغير ما أنزل الـلـه :

ان الله تعالى هو الذى يعلم أحوال عباده كلها فى كل أمورهم الدنيوية والأخروية . والعلم بهذه الأحوال هو أساس التشريع الذى شرعه الله لعباده ، تحقيقا لسعادة الدارين ، ولذلك فمن مستلزمات توحيد الالهية ارجاع الأمر

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الكهف ، آية ١١٠

(٢) أنظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٣) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٤ ص ٣٠٧

والنهي والحكم والقضاء الى الله تعالى . يقول الله تعالى : (ان الحكم الا لله)[1] . ويقول الله تعالى : (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)[2] .

وقد وجه الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين : (أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا)[3] أى أ أطلب غير الله تعالى حاكما فى أمرنا وقد أنزل الكتاب مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من المواعظ والعبر . فهذا رد على من يريد تحكيم غير ما أنزل الله .

ولذلك فمن مقتضى العبادة لله عدم انكار ما أنزل الله كلا أو بعضا ، فليس من التوحيد قبول المرء بعض شريعة الله تعالى ورفض البعض الآخر ، أو أخذ غير الله عز وجل حاكما له فى أمور حياته كلا أو بعضا . يقول سيد قطب : (ان توحيد الألوهية وتفرد ها بخصائص الألوهية . . . ان هذا معناه ومقتضاه : ألا يتلقى الناس الشرائع فى أمور حياتهم الا من الله)[5] .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، آية ٤٠ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٦٢

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١١٤

(٤) أنظر ترجمته ص ٢٦ من هذا البحث .

(٥) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، الطبعة الشرعية السادسة ، (بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) ص ٢٣١

فكل مؤمن بالله يجب عليه أن يعتقد أنه لا حاكم الا الله ، ولا مشرع الا هو ، ولا منظم ولا موجه لحياته الا الله سبحانه وحده .

وقد صرح الله تعالى بأن الذين يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ممن يدّعون الايمان بما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله هم عرضة للهلاك . يقول الله تعالى : (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) .(١)

والطاغوت معناه الأصلي : الصنم أو الكاهن أو الشيطان .(٢)

ولكن الطاغوت في اصطلاح القرآن معناه : (كل دولة أو سلطة ، وكل امامة أو قيادة تبغي على الله تعالى وتتمرد ، ثم تنفذ حكمها في أرضه ، وتحمل عباده على طاعتها بالاكراه ، أو بالاغراء ، أو بالتعليم الفاسد) .(٣)

فالآية تبين أن الله سبحانه وتعالى لم يعتد بايمان من يتحاكم الى الطاغوت ، لأنهم لو كانوا مؤمنين صادقين لم يتحاكموا الى غير ما انزل

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٦٠

(٢) أنظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة " طغى " ، ص ٩

(٣) أبو الأعلى المودودي ، المصطلحات الأربعة في القرآن ، ص ١٠١

الله . وقد ثبت أن من يتحاكم الى الطاغوت يكون كافرا . يقول الله تعالى :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(١) .

هذه الآية نزلت في اليهود ، ولكن حكمها شامل لكل الناس ، لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وكذلك ادخال لفظ " من " في معرض الشرط يحقق العموم(٢) . ولا معنى لحمل الكفر في الآية على كفر النعمة لأن السياق يأباه .

ه ه ه

الحكم بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته من أمور الدين :

ومن تحقيق اخلاص العبادة لله تعالى أن يطيع طاعة كاملة ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال والتقارير .

وهذا معناه اتباع كل أوامره ونواهيه وسننه صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)(٣) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٤٤

(٢) أنظر فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، جـ ١٢ ، ص ٥

(٣) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٦٥

ثم ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى طاعة لله نفسه ، يقول الله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (١) . ويقول الله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (٢) .

والرسول صلى الله عليه وسلم صرح بأنه لا يكمل ايمان المرء حتى يكون هواه تابعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) (٣) . فلو تعارض هواه وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وترك هواه .

والصحابة رضى الله عنهم كانوا متمسكين بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلوا أهوائهم تبعا له ، فقاتلوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنفقوا أموالهم فى سبيل الله ، وبعضهم تركوا أسرهم وأقربائهم طلبا لرضا الله ورسوله .

فتمام اخلاص العبودية لله تعالى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فمن لم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان توحيده ناقصا بقدر ما تركه مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن فعل ضد ما جاء به الرسول صلى الله

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٨٠ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٦٤

(٣) قال النووى حديث حسن صحيح . أنظر متن الأربعين النووية ، للحافظ يحيى بن شرف الدين النووى ، (القاهرة ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده ١٣٥٠ هـ) ص ٤٦

عليه وسلم. كان متبعا لهواه ، يقول ابن أبي العز (١) :

(ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده ،فانه يقول برأيه وهواه ، ويقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله ، فينقص منه توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ...) (٢) .

وقد بشر الله الذين أطاعوا الله ورسوله بأنهم مع الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والصالحين . قال الله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ..) (٣)

أي أن من يطيع الله والرسول بالتسليم لأمرهما ، واخلاص الرضا بحكمهما ، والانتهاء الى أمرهما ، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه ، وفي الآخرة اذا دخل الجنة (٤) .

٥ ٥ ٥

الحكم بغير ما أنزل الله مناقض لتوحيد الالهية :

ان مقتضيات توحيد الالهية افراد الله تعالى بالتحكم والتشريع وتنظيم حياة البشر، وما بينهم من علاقات وارتباطات ، فليس لأحد غيره حق

---

(١) أنظر ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٢) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٢٢

(٣) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٦٩

(٤) أنظر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، مجلد ٤ جـ ٥ ص ١٠٣

في توجيه منهج الحياة ونظام المعيشة ، وبيان ميزان الخير والشر . فمن جعل هذا الحق كلا أو بعضا لغير الله تعالى فقد ناقض توحيد الالهية ، لأن ذلك الحق خاص بالله عز وجل .

وقد أثبت الله تعالى أن اليهود والنصارى كانوا مشركين حينما جعلوا أحبارهم مشرعين لهم ، يحلون لهم ويحرمون ، لأن ذلك وظيفة من يكون ربا والها . فقال الله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) (١) .

وفي سياق تفسير هذه الآية روى أن عدى بن حاتم الطائي (٢) قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رئيسا في قومه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدى صليب من فضة (٣) وسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... " (٤) . قال : فقلت له انا لسنا نعبدهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه . قال فقلت بلى . قال

---

(١) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ٣١
(٢) هو عدىّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو وهب وأبو طريف : أمير ، صحابي ، من الأجواد العقلاء . كان رئيس طيء في الجاهلية والاسلام . وقام في حرب الردة بأعمال كبيرة . وكان اسلامه سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي . ومات بالكوفة سنة ٦٨ هـ ، عاش أكثر من مئة سنة .
الاعلام ، لخير الدين الزركلي جـ ٤ ص ٢٢٠
(٣) وهذا قبل اسلامه (؟)
(٤) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ٣١

فتلك عباداتهم إياهم .(١)

فهذا يوضح أن العبادة ليست خاصة بالسجود والصلاة والذكر والدعاء ... الخ ، ولكن طاعة الأوامر والنواهى كانت عبادة أيضا .

فإذا كانت الطاعة لغير الله تعالى ، فتلك عبادة له ، وان كانت الطاعة لله وحده ، فتلك عبادة لله وحده ، وقد قال الله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) .(٢)

ولأهمية قضية التحليل والتحريم والحكم بما أنزل الله دون اتباع غيره فى التشريع أود أن أقدم ما قاله ابن تيمية(٣) فى هذا الموضوع . قال فيه :

(وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين :

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل ، فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وان لم

---

(١) ذكر هذه الرواية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الايمان ، تصحيح وتعليق : محمد خليل هراس (القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ص ٥٨ ، وذكرها اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص٣٤٨

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ٣١

(٣) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين ، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا ، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ...

ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام ان كان مجتهدا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع ، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه ، ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول ، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لاسيما ان تبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول ، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه ، لهذا اتفق العلماء على أنه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه ، وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال وان كان عاجزا عن اظهار الحق الذي يعلمه ، فهذا يكون كمن عرف أن دين الاسلام حق وهو بين النصارى . فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ ما عجز عنه ...

وأما لمن كان المتبع للمجتهد عاجزا عن معرفة الحق على التفصيل ، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد ، فهذا لا يؤاخذ ان أخطأ كما في القبلة ، وأما ان قلد شخصا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق ، فهذا من أهل الجاهلية ، وان كان متبوعه مصيبا لم يكن عمله صالحا ، وان كان متبوعه مخطئا كان آثما كمن قال في القرآن برأيه ، فان أصاب فقد أخطأ ، وان أخطأ فليتبوأ مقعده من النار ، وهؤلاء من جنس مانع الزكاة ... ، فان ذلك لما أحب المال حبا منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبدا له ، وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك أصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك ...) (١)

وبعد هذا كله ، فان من رضي بأي مبدأ أو مذهب قديم أو جديد مناقض لمبادئ الاسلام وهو يعلم ذلك كان مشركا . وكذلك من عظمه أو قدّسه أوقدمه على الاسلام كان مشركا أيضا ، لأن ذلك مناقض لتوحيد الالهية ، يقول ابن تيمية (٢) :

(فمن استكبر عن بعض عباداته سامعا مطيعا في ذلك لغيره لم يحقق قول

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الايمان ، ص ٦١ - ٦٢

(٢) أنظر ترجمته ص ٥٠ من هذا البحث .

" لا اله الا الله ..") .[1]

ولا خلاص هذه الطاعة ينبهنا أبو حامد الغزالي[2] لباعث الطاعة في الأعمال فيقول : -

(ونيات الناس في الطاعات أقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار . ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء ، وهو الرغبة في الجنة . وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه ، فهو من جملة النيات الصحيحة ، لأنه ميل الى الموعود في الآخرة ، وان كان من جنس المألوفات في الدنيا)[3]

ولذلك يجب علينا العمل بكل اخلاص وطاعة كاملة لله تعالى حتى يكون عملنا مقبولا عند الله ، لأنه لا يقبل الطاعة بدون اخلاص .

ه ه ه

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الايمان ، ص ٦٠

(٢) أنظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث

(٣) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٤ ص ٣٦٣

ثانيا : اجتناب الشرك والحذر منه :

ومن مقتضى توحيد الالهية ابعاد الأعمال والعبادات من كل شائبة الشرك والحذر من كل مداخله في جميع الأعمال والعبادات .

ولهذا نرى القرآن الكريم يأمر باجتناب الأوثان والطاغوت ، وكل ما يؤدى الى الشرك . يقول الله تعالى (... فاجتنبوا الرجس من الأوثان .)(١)

ومن الأوثان (ما يعبده الناس ويقدمون له الولاء ، وان لم يسموه وثنا أو الها أو ربّا ، ولم يسموا ما يقدمونه اليه عبادة ، ولكن العبرة بالمقاصد لا بالألفاظ)(٢) فهو ليس مخصوصا بالمرئيات الظاهرة أمام الناس .

ولسد منافذ هذا الشرك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرياء ، بل عده من الشرك . قال عليه الصلاة والسلام : (ان يسير الرياء شرك)(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (الرياء شرك)(٤) .

ويعد أبو حامد الغزالى(٥) الرياء من مشوشات الإخلاص وأظهرها حيث يقول :

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحج ، آية ٣٠ .

(٢) يوسف القرضاوى ، العبادة فى الاسلام ، الطبعة السادسة ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) ص ١٤٥

(٣) رواه ابن ماجه ، أنظر سنن ابن ماجه ، ج ٢ ص ١٣٢٠ ، رقم ٣٩٨٩

(٤) رواه الترمذى ، أنظر سنن الترمذى ، ج ٣ ص ٤٦

(٥) أنظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء)(١) . ويقول الفضيل بن عياض(٢) : (والعمل من أجل الناس شرك)(٣) .

فالرياء خطر على العبادة ، ولذلك يجب أن تكون العبادة خالصة لله تعالى وأن تكون منزهة من الرياء ، لتكون مقبولة عند الله تعالى .

ه ه ه

ومما يدخل فى هذا الباب تحذير المسلم أن يذبح لغير الله ، لأن ذلك يعنى وضع غير الله فى مقام الله من تقديس وتعظيم . يقول النبى صلى الله عليه وسلم : (لعن الله من ذبح لغير الله)(٤) . ويقول النووى(٥) فى شرح هذا الحديث : (فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى ، كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما ، أو للكعبة ونحو ذلك ، فكل هذا حرام)(٦) . فهذا يوقع صاحبه فى الشرك .

---

(١) أبو حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج ٤ ص ٣٧٠

(٢) هو أبو على بن مسعود ، التميمى ، شيخ الحرم المكى ، من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة فى الحديث . ولد فى سمرقند سنة ١٠٥ هـ وتوفى فى مكة سنة ١٨٧ هـ ، الاعلام لخير الدين الزركلى ج ٤ ص ١٥٣

(٣) ذكره أبو حامد الغزالى ، أنظر احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٧٠

(٤) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ص ١٤١

(٥) أنظر ترجمته ص ٢٩ من هذا البحث .

(٦) رواه مسلم ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ، ص ١٤١

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله سبحانه وتعالى ، لأن ذلك تعظيما لغير الله في غير موضعه . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم) (١) .

والمشركون في الجاهلية كانوا يحلفون باللات والعزى والآباء تعظيما لهم . ولما يداخل النفس من شرك من جراء هذه العادة حرمها الله ليبقى في قلوبهم ذكر الله تعالى وحده دون ما سواه .

٥ ٥ ٥

كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تقديس القبور أو بناء شيء عليها حتى ولو للعبادة . فعن جابر بن عبد الله (٢) رضى الله عنه قال :

(ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تجصيص القبور أو يبنى عليها أو يجلس عليها أحد) (٣) .

ولأحمد بن حنبل (٤) رواية أخرى يقول النبى صلى الله عليه : (ان من

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، أنظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ ١١ ص ٥٣٠ ، والنووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ١١ ، ص ٣٠٥

(٢) هو ابن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ، صحابي ، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى جماعة من الصحابة . ولد سنة ١٦ قبل الهجرة ، وتوفى سنة ٧٨ هـ . الاعلام لخيرالدين الزركلي ، جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٣) رواه النسائي ، أنظر أبا عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، شرح جلال الدين السيوطي ، (دار احياء التراث العربي ، بيروت) جـ ٤ ص ٨٧

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٢ من هذا البحث .

شرار الناس.. ومن يتخذ القبور مساجد) .[1]

وجاء هذا النهى لئلا يقع الناس فى الشرك بالله ،لأن ذلك يؤدى الى جعل القبور والأضرحة أوثانا . وهذا كله تطبيق لمبدأ سدّ الذرائع كيلا يتورط الناس فى الشرك .

ه ه ه

وهناك وثن خطير فى حياة الانسان ، نبه اليه القرآن الكريم وهو هوى النفس . يقول القرآن الكريم : (أرأيت من اتخذ الهه هواه)[2] . ويقول القرآن الكريم : (.. وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم...)[3] فأشار القرآن الكريم الى الحذر من الهوى واجتنابه لكى لا نقع تحت سيطرته ، لأن العبادة الخالصة لله وحده ، وذلك لا تكون الا بمخالفة هوى النفس .

ه ه ه

ومما يجب الحذر منه أيضا أوثان جديدة ،صورها يوسف القرضاوى[4] بقوله :

---

(١) أحمد ابن حنبل ، المسند ،شرح أحمد محمد شاكر . وقال أحمد محمد شاكر اسناده صحيح . انظر ، أحمد بن حنبل ، المسند ،شرح أحمد محمد شاكر ، (مصر ، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) ج ٥ ص ٣٢٤ ، الحديث رقم ٣٨٤٤

(٢) القرآن الكريم ، سورة الفرقان ، آية ٤٣

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١١٩

(٤) من مواليد مصر سنة ١٩٢٦ ، أكمل تعليمه فى معاهد الأزهر الشريف وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٣ ، من المفكرين الاسلاميين الذين يمتازون بالاعتدال. أنظر الغلاف الأخير من كتاب "الأمة" ٢ ، الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف ، الطبعة الأولى (شوال ١٤٠٢هـ) .

(وفى عصرنا هذا ظهرت أوثان ومعبودات شتى ، وأصبحت تمتلك قلوب الناس ومشاعرهم وولاءهم ، بذكرها يهتفون ، وباسمها يقسمون . وفى سبيلها يجاهدون ويستشهدون . تلك هى أوثان الوطنية والقومية وما شاكلهما .

تدخل المدارس والجامعات . وتشهد المؤتمرات والندوات . وتقرأ الصحف والمجلات . وتسمع برامج الاذاعات. فلا تكاد تسمع لله ذكرا . أو تجد له مكانا ، وانما تجد معبودا آخر . تدور حوله كل الأفكار . وكل المشاعر . وكل الأعمال ، الا القليل . أو أقل من القليل . انه " الوطن" أو القومية - العروبة مثلا - أو المجتمع أو الدولة أو غير ذلك من أصنام هذا العصر) .(١)

فهذه كلها وأمثالها يجب علينا اجتنابها والحذر منها تحقيقا لمقتضى توحيد الالهية الخالصة .

ه ه ه

---

(١) يوسف القرضاوى ، العبادة فى الاسلام ، ص ١٤٦

التوحيد بانسانية الانسان

٥ـ ~~حاجة الانسان الى توحيد الالهية~~ :

ان انحراف الانسان عن توحيد الالهية الصحيحة جعل نفسه خاضعة للباطل ، ممثلا فى عبادة الأوثان الحجرية أو المواد الأخرى .

وانحراف الانسان عن هذا التوحيد الصحيح يحرمه من طيبات الأرض، ويفقده حريته الفكرية ، ويقيد أنشطته العملية كخليفة الله فى الأرض.

ونتيجة هذا الانحراف ما نشاهده اليوم من صراعات واعتداءات وحروب على مستوى الفرد والجماعة والدولة . يقول محمد المبارك (١) :

(ما فائدة هذه الحضارة ومكاسبها اذا لم يصل الانسان الى الأمن والطمأنينة والسعادة ، اذا لم ترتق النفس الانسانية والضمير الانسانى وروح التعاون بين البشر .

لم يستطع أى مذهب من المذاهب العقائدية فى هذا العصر أن يوصل الى هذه النتيجة ، بل ان يقرب الناس منها ، فلا الديموقراطية الغربية وحدها ولا الماركسية بألوانها والوجودية استطاعت أن تخفف المآسى ، بل ربما كانت سببا فى زيادتها . ليفسح المجال للدين أن يسهم فى حل الأزمة وتخفيف

---

(١) هو ابن الشيخ عبد القادر المبارك ، أكمل تعليمه العالى فى جامعة السوربون فى فرنسا ، كان عميدا لكلية الشريعة فى جامعة دمشق ، وكان أستاذا زائرا فى العديد من الجامعات العربية والاسلامية والدولية ، وكان فى الآونة الأخيرة مستشارا فى جامعة الملك عبد العزيز بجدة . توفى ليلة الجمعة ١٨ صفر ١٤٠٢ هـ / مجلة " المسلمون " (تصدرها : الشركة السعودية للأبحاث والتسويق المحدودة ، لندن ، العدد العاشر، ٦ ربيع الاول ١٤٠٢ هـ) ص ١١

قلق الانسان يربط الانسان بالله بدلا من ربطه بآلهة مادية تزيد من شرة غرائزه ، وباشعار الانسان بموقفه من خالقه وبمسئوليته النهائية أمامه بدلا من أن يقيم نفسه لنفسه المسهل ..(١) .

ان البشر كلهم عبيد لله ، ووظيفة العبد أن يقوم بالعبادة لخالقه . فالذى لا يقوم بهذه العبادة ثائر على وظيفته التى خلق لأجلها ، يقول الله عز وجل : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)(٢) . والعبادة الصحيحة لا تكون لغير الله تعالى ، ولا يتطرق اليها خلل الشرك . وهذه المعبودية الخالصة هى غذاء الانسان وصلاحه وقوامه . يقول ابن قيم الجوزية(٣) :

(فاعلم ان حاجة العبد الى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا فى محبته ولا فى خوفه ولا فى رجائه ولا فى التوكل عليه ولا فى العمل له .. أعظم من حاجة الجسد الى روحه والعين الى نورها ، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به ، فان حقيقة العبد روحه وقلبه ، ولا صلاح لها الا بالهها الذى لا اله الا هو ، فلا تطمئن فى الدنيا الا بذكره ، وهى كادحة اليه كدحا فملاقيته ، ولا بد لها من لقائه ، ولا صلاح لها الا بمحبتها وعبودها يتها له

---

(١) محمد المبارك ، نظام الاسلام ، الطبعة الثانية (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠م) ص ١٢ - ١٣

(٢) القرآن الكريم ، سورة الذريات ، آية ٥٦

(٣) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

ورضاه واكرامه لها . ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك ، بل ينتقل من نوع الى نوع ، ومن شخص الى شخص، ويتنعم بهذا في وقت ثم يعذب ولا بد في وقت آخر) (١) .

ولكى تتحقق سعادة الانسان لا بد أن يؤمن بالله وحده . فصلاحه وسعادته فى أن يكون الله معبوده الذى تنتهى اليه محبته وارادته .

وحين يؤمن الانسان حقا بأن لا اله الا الله ، وأنه وحده الذى يكشف الضر ويجلب النفع ، وأنه القاهر فوق عباده ، لا يخرج مخلوق عن حكمه وقدرته ، ولا يفلت من هيمنته وعلمه ، حينذاك يحرر عقله من الخرافة والوهم ، ويحرر نفسه من الخوف والضعف ويرقى الى مستوى رفيع فى حياة البشرية . يقول حسن الترابى (٢) :

(بالتوحيد يتسامى الانسان من أن تعتقل همه الطبيعة المحسوسة فى الأرض والسماء ، بل يتخذها دليلا الى عالم الغيب وسلما الى الله الخالق الواحد القهار ، ولهذا أثر واضح فى موقفه ازاء قواها ومظاهرها .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ٩٨-٩٩

(٢) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه صاحب كتاب " الايمان أثره فى حياة الانسان " دار العلم ، كويت ، وأنه من أحد دعاة البارزين فى السودان فى الوقت الحاضر .

وبه أيضا يستقل المؤمن من حيث هو فرد أن تستعبده بعض الذوات البشرية أو العلائق الاجتماعية فيوقف نفسه عليها ، أو أن يأسره هوى نفسه فيحتبس عليها بتعبد لشهواتها ، ولهذا أيضا أثر مبين فى نهضة الانسان بحياته والترقى بها) (١) .

وهكذا نرى مدى احتياج البشر الى توحيد الالهية فى حياته ..

---

(١) حسن الترابى ، الايمان أثره فى حياة الانسان ،الطبعة الأولى ، (الكويت ، دار القلم ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م) ص ٥١

الفصل الخامس

توحيد أسماء الله تعالى وصفاتــه

١ ـ معنى توحيد الأسماء والصفات :

ان اعتقاد انفراد الله تعالى بجميع صفات الكمال وأن لـه الأسماء الحسنى هو من أنواع التوحيد والايمان . يقول ابن تيمية (١) :

(ومن الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه بـه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف (٢) ولا تعطيل (٣) ومن غير تكييف (٤) ولا تمثيل (٥) .) (٦)

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) وتحريف الكلام امالته عن المعنى المتبادر منه الى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ الا باحتمال مرجوح ، فلابد فيه من قرينة تبين أنه المراد . شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، محمد خليل هراس ، تصحيح وتعليق : فضيلة الشيخ اسماعيل الأنصاري ، ص ٢٠-٢١ .

(٣) والتعطيل مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك . والمراد هنا نفي الصفات الالهية ، وانكار قيامها بذاته تعالى . (المصدر نفسه ص ٢١)

(٤) والتكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا ، أو يسأل عنهـا بكيف . المصدر نفسه ، ص ٢٢

(٥) التمثيل هو اعتقاد أن صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقين . المصدر نفسه ، ص ٢٢

(٦) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، المصدر نفسه ، ص ٢٠ - ٢١

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات : (هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال ، وذلك باثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة) (١) .

وبسياق آخر : (هو الاقرار بأن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه الحي القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، وأنه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، وعلى العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، الى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى) (٢) .

ولذلك كان توحيد الأسماء والصفات يقتضي .

---

(١) عبد العزيز المحمد السلمان ، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، الطبعة العاشرة ،(الرياض ، مطابع النصر الحديثة ، ١٤٠٠ هـ) ص ٣٣

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، الطبعة الرابعة ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٠ هـ) ص ٣٤ . وأنظر : البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد ، ص ١٤

أولا : تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوق وعن أى نقص :

قال الله تعالى :

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [١] .

وقال تعالى : (ولم يكن له كفوا أحد) [٢] أى أن الله تعالى لا يماثله شيء ولا يكافئه أحد .

ان الفطرة تؤمن بذلك وتؤيده بداهة . فخالق الأشياء لا تماثلـــــه الأشياء التى هى من خلقه [٣] . ولهذا اتفق علماء أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

يقول ابن قيم الجوزية [٤] :

(وأهل السنة يقولون : ان تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته ، كما أن اثبات صفات الكمال والحمد واجب له لذاته) [٥] .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الشورى ، آية ١١

(٢) القرآن الكريم ، سورة الاخلاص ، آية ٤

(٣) أنظر ، سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، الطبعة الشرعية الثامنة (بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) جـ ٥ ، ص ٣١٤٦

(٤) أنظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٥) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق وتصحيح وتعليق : محمد حامد الفقى ، (بيروت ، دار المعرفة ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة) جـ ٢ ص ٢٢٨

ويقول القرطبي (١) :

(والذى يُعتقد فى هذا الباب - أى فى أسماء الله وصفاته - ان الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسن أسمائه وعلو صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، ولا يشبه به ، وانما جاء - أى اشتراك الأسماء بينه وبين خلقه - ما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق ، فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى ، اذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق ، اذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك (٢)) .

فالله سبحانه وتعالى (ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة ، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة . وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم (٣)) .

ان توحيد الله تعالى فى صفاته يقتضى تنزيهه عن الزواج واتخاذ الشريك ، وتنزيهه عن الجهل والظلم والنوم والتعب وغير ذلك من صفات النقص.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى ، أبو عبد الله ، القرطبى ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد . من أهل قرطبة . وكان ورعا متعبدا . توفى سنة (٦٧١ هـ ، ومن كتبه الجامع لأحكام القرآن ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة ، وغيرهما ، / الاعلام لخير الدين الزركلى ج٥ ص٣٢٢

(٢) محمد بن أحمد القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، (القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م) ج ١٦ ، ص ٨

(٣) نقله القرطبى عن الواسطى فى المصدر نفسه ، ج ١٦ ، ص ٩

ثانيا : الايمان بالأسماء والصفات الثابتة فى الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص أو الزيادة أو التحريف أو التعطيل :

وقد وردت أسماء الله تعالى وصفاته فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

لهذا ، فلا يسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يوصف الا بما وصف به نفسه أووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى أعلم بنفسه وصفاته وأسمائه .

يقول حنبل (١) : (وصفاته منه وله ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك) (٢) .

فجميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها نمرها صريحة أى على ظواهرها كما أتت عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والتسليم لما اقتضته تلك الأسماء والصفات من كمالات واجلال يليق بعظمته وعلى الوجه الذى ذكره وأراده من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل (٣) . كما كان السلف الصالح من أهل السنة والجماعة (لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه) (٤) .

---

(١) هو حنبل بن اسحاق بن حنبل بن هلال الشيبانى ، أبو على ، من حفاظ الحديث ، كان ثقة ، وهو ابن عم الامام أحمد وتلميذه ، توفى بالواسط سنة ٢٧٣ هـ ، الأعلام جـ ٢ ص ٢٨٦

(٢) ذكره أحمد بن ابراهيم ، فى توضيح المقاصد وتصحيح القواعد جـ ١ ص ٣٢٧

(٣) والمراد بالتحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل ، أنظر ص ١١٢ من هذا البحث

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، شرح العقيدة الواسطية ص ٢٣ ، أنظر المتن .

كل ما نص عليه كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات وجب الايمان به ، فمن أنكره أو ألحد فيه فان مصيره العذاب كما أخبر به الله تعالى بقوله :

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (١) .

يقول الشوكاني (٢) :

(الالحاد : الميل وترك القصد .. ، والالحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه ، اما بالتغيير كما فعله المشركون ، فانهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعزّى من العزيز ، ومناة من المنان ، أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها ، أو بالنقصان منها بأن يدعوه ببعضها دون بعض) (٣) .

ثم ان هذا الالحاد كذب على الله . يقول ابن قيم الجوزية (٤) :

(من فعل ذلك - أي الالحاد - فقد كذب على الله) (٥) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .
(٢) أنظر ترجمته ص ٨٤ من هذا البحث
(٣) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، جـ ٢ ص ٢٦٨
(٤) أنظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث.
(٥) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، جـ ١ ، ص ٣٠

ويجب الايمان بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ولو لم نعرف معناه ، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يتكلم الا حقا ،

يقول ابن تيمية :

(ان ما أخبر به الرسول عن ربه ، فانه يجب الايمان به ـ سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه ـ لأنه الصادق المصدوق) .(١)

وعلى هذا يجب الايمان بما ورد في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات واجراؤها على معانيها الواضحة الظاهرة في لغة العرب ، يقول حنبل :(٢)

(٣)
(سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله تبارك وتعالى ينزل الى سماء الدنيا ، وان الله يُرى ، وان الله يضع قدمه ، وما أشبه هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله :(٤) نؤمن بها ، ونصدق بها ولا كيف ، ولا معنى ، ولا نرد منها شيئا ، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق اذا كانت بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه) .(٥)

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرسالة التدمرية ، تحقيق زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٣٩١هـ) ص ٤٥

(٢) تقدمت ترجمته ص ١١٦ من هذا البحث .

(٣) وهو أحمد بن محمد بن حنبل ، أنظر ترجمته ص ٢٢ من هذا البحث .

(٤) وهو أحمد بن محمد بن حنبل ، أنظر ترجمته ص ٢٢ من هذا البحث .

(٥) ذكره أحمد بن ابراهيم بن عيسى في توضيح المقاصد وتصحيح القواعد جـ١ ص ٢٣٧

ثالثا : اجتناب تكييف صفاته تعالى :

وذلك لأن معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات ، وذات الله تعالى عز وجل لا يدرك كنهها ولا كيفيتها ، ولا يسأل عنها ؛

وكان مذهب السلف ، انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف .

يقول ابن تيمية (١) : (وقد علم أن طريق سلف الأمة وأئمتها اثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل) (٢) .

وهذا لا يعني أن السلف آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ولا اثبات لما تضمنه من الصفات ، بل أمروها كما جاءت بابقاء دلالتها على ما هي عليه من غير تكييف .

ثم ان تصور معنى اللفظ المراد في صفاته تعالى يختلف عن المراد من نفس اللفظ في صفات المخلوقين ، لأن ايراد اللفظ في صفاته تعالى بالتكييف معناه جعل صفاته تعالى كصفات المخلوقين ، وذلك ممنوع ،

يقول ابن أبي العز (٣) :

(فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرسالة التدمرية ص ٧ ، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، جـ ٥ ص ٢٦

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

المذموم)[١].

ولكن الألفاظ الدالة على صفات الله تعالى ، وان اتحدت مع الألفاظ الدالة على صفات البشر ، فان صفات الله تعالى تختلف اختلافا كليا عن صفات البشر .

يقول ابن تيمية[٢] :

(فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لهما من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة لنفسه المقدسة ، المتصفة بما لها من حقائق الصفات ، وتأويل ما أخبر الله به تعالى من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد .

ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه ، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا ، كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا ، وعسلا وخمرا ونحو ذلك ، وهذا يشابه ما في الدنيا لفظا ومعنى ، ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته .

فأسماء الله تعالى وصفاته أولى ، وان كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه ، أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ، ولا حقيقته كحقيقته)[٣] .

---

(١) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٩٩

(٢) أنظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرسالة التدمرية ، ص ٦١

فاذا قلنا : الله عالم ، والعلم صفة لله تعالى ، وقلنا فلان عالم ، والعلم صفة لفلان من الناس ، فلا نقصد فى التركيبين شيئا واحدا . لأن علم الله تبارك وتعالى علم لا متناهى كماله ، ولا يُعَدُّ علم المخلوقين شيئا الى جانبه ، هكذا جميع الصفات .

ولذلك فلا نكلف أنفسنا بمعرفة كيفية صفات الله تعالى ، ولكن يكفينا الايمان بتلك الصفات المنصوص عليها فى الكتاب والسنة من غير سؤال عن الكيفية .

والامام مالك (١) وغيره من السلف لما سئل عن قوله تعالى :

(الرحمن على العرش استوى) (٢) قالوا : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكذلك قال ربيعة (٣) شيخ مالك قبله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ومن الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ وعلينا الايمان) (٤) .

---

(١) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أبو عبد الله ، امام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، واليه تنسب المالكية . مولده سنة ٩٣ هـ ، وتوفى سنة ١٧٩ هـ فى المدينة المنورة ، ومن كتبه : الموطأ ، والوعظ وغير ذلك / الأعلام لخير الدين الزركلى ج٥ ص ٢٥٧

(٢) القرآن الكريم ، سورة طه ، آية ٥

(٣) هو ربيعة بن فروخ التيمى بالولاء ، المدنى ، ابو عثمان ، امام حافظ فقيه مجتهد ، كان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الامام مالك . توفى بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ / الأعلام لخيرالدين الزركلى ٣/١٧

(٤) ذكره ابن تيمية فى الرسالة التدمرية ، ص ٦٢

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا ، وأن السؤال عنه بدعة ، لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات . فنحن لا نعلم حقيقة ذاته تعالى ، ونؤمن أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين .

٢- أسماء الله عز وجل :

وأما أسماء الله عز وجل فهي أعلام عليه مثل : الله ، الحي ، الملك ، العزيز ، الجبار ، وغير ذلك مما أخبرنا بها الله في كتابه والرسول صلى الله عليه وسلم في سنته . قال الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)(١) وقال الله تعالى : (هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى)(٢) .

وأسماء الله تعالى كلها " حسنى " . سميت بذلك لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول .(٣)

والاسم الجامع لمعاني أسماء الله تعالى كلها هو " الله " . ويقال له الاسم الأعظم ، لأنه يتضمن جميع الصفات . يقول ابن قيم الجوزية(٤) : (فاسم " الله " دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا .)(٥)

وهذا الاسم لم يطلق على غيره(٦) ، وأنه دال على الإلهية المتضمنة لجميع

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الحشر ، آية ٢٤ .

(٣) انظر ، عبد العزيز المحمد السلمان ، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، ص ٥١ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٥) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(٦) انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج ١١ ص ٢٢٤ .

معانى الأسماء الحسنى دال عليها بالاجمال .(١) قال الله تعالى : (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .(٢)

فاسم " الله " متضمن لجميع معانى أسمائه تعالى وصفاته العليا طبقا لالهيته وعظمته .

يقول الشوكانى :(٣) (" الله " علم دال على المعبود بحق دلالة جامعة لجميع معانى الأسماء) .(٤)

واختلف العلماء فى اسمه تعالى " الله " هل هو مشتق أم لا .

فبعضهم يرى أنه مشتق ، كما قال الكسائى(٥) والفراء(٦) : (أصله - أى لفظ

---

(١) أنظر ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ١ ص ٣٣

(٢) القرآن الكريم ، سورة الحشر ، آية ٢٢ - ٢٤

(٣) أنظر ترجمته ص ٨٤ من هذا البحث

(٤) محمد بن على الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ص ٥٥

(٥) هو على بن حمزة بن عبد الله الأسدى بالولاء ، الكوفى ، أبو الحسن الكسائى ، امام فى اللغة والنحو والقراءة . من أهل الكوفة . توفى سنة ١٨٩ هـ فى الرى ، وله تصانيف منها : معانى القرآن والمصادر ، وغير ذلك . الأعلام ج ٤ ص ٢٨٣ .

(٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، أبو زكريا ، امام الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب . ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ

" الله " - الاله ، حذفوا الهمزة وادغموا اللام الأولى في الثانية ، وعلى هذا فالصحيح انه مشتق من " اله الرجل " اذا تعبد ، كما قرأ ابن عباس (١) - رضى الله عنهما - ويذرك والهتك " أى عبادتك (٢) .

وأصل " الاله " أى " المعبود " . فحذفت الهمزة التى هى فاء الكلمة ، فالتقت اللام التى هى عينها مع اللام التى للتعريف ، فادغمت احداهما فى الأخرى ، فصارتا فى اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما ، فقيل " الله ") (٣) .

وأما البعض الآخر فيرى أن لفظ " الله " غير مشتق ، وأنه اسم علم لله تعالى يدل على ذاته المخصوصة .

يقول فخر الدين الرازى (٤) : (المختار عندنا أن هذا اللفظ - الله - اسم علم لله تعالى ، وأنه ليس بمشتق البتة ...) (٥) ثم يقول : (لأن هذا الاسم يجرى مجرى اسم العلم في حقه سبحانه ، واذا كان كذلك كان دالا على

= وتوفى فى طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ ، وكان مع تقدمه فى اللغة فقيها متكلما عالما بأيام العرب وأخبارها ، عارفا بالنجوم والطب ، ومن كتبه المعانى ، والمذكر والمؤنث ، وغير ذلك . الأعلام لخير الدين الزركلى ، جـ ٨ ص ١٤٥

(١) تقدمت ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٢٧

(٣) ذكر هذا الكلام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فى تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ، ص ٢٩

(٤) تقدمت ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث

(٥) فخر الدين الرازى ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير جـ ١ ص ١١٥

ذاته المخصوصة) (١)

وأسماء الله تعالى لم تزل كما لم يزل الله عز وجل . فالله سبحانه سمى نفسه بأسمائه الحسنى ، فكانت هذه الأسماء متعلقة ~~بنفسه~~ بذاته التي لم تزل ، فلم يحدث له اسم أو صفة بعد أسمائه وصفاته التي سمى بها نفسه فيما لم يزل .

~~كان الله خالقا منذ القدم وحتى قبل المخلوقين ، وعالما قبل وجود المعلوم ، ورازقا قبل وجود المرزوقين~~ ، يقول الله تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الاجلال والاكرام) (٢) .

وكذلك أسماء الله تعالى وصفاته لا تنتهي ، لأن نفسه تعالى لا نهاية لها . يقول ابن خزيمة (٣) : (ان وجه ربنا القديم لم يزل بالباقي الذي لا يزال فنفى عنه الهلاك والفناء) (٤) .

---

(١) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج ١ ص ١١٥ . وذكر النسفي ان من قال بهذا منهم الخليل والزجاج وغيرهما . أنظر تفسير النسفي ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، (بيروت ، دار الكتاب العربي) ج ١ ص ٤ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الرحمن ، آية ٢٧

(٣) هو محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي ، أبو بكر ، امام نيسابور في عصره ، كان فقيها مجتهدا ، عالما بالحديث ، مولده سنة ٢٢٣ هـ ، ووفاته سنة ٣١١ هـ ، بنيسابور . ومن كتبه التوحيد واثبات صفة الرب ، ومختصر المختصر المسمى بصحيح ابن خزيمة . الاعلام لخير الدين الزركلي ج ٦ ص ٢٩

(٤) محمد بن اسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل =

٣ ـ عدد أسماء الله تعالى :

وأما عدد أسماء الله تعالى فيما رواه البخاري (١) ومسلم (٢) وغيرهما فهو تسعة وتسعون اسما .

روى البخاري عن أبي هريرة (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) قال :

(ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة) (٥)

ولم يرو البخاري (٦) ومسلم (٧) هذه الأسماء التسعة والتسعين ، الا أن

= مراجعة وتعليق : محمد خليل هراس ، (القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م) ص ٢٣

(١) أنظر ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث .

(٢) أنظر ترجمته ص ٤٦ من هذا البحث

(٣) تقدمت ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث.

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث.

(٥) أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ ١٣ ، ص ٣٧٧ . وروى مسلم هذا الحديث في صحيحه ، أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ١٧ ، ص ٥ . وروى الترمذي في سننه ، أنظر سنن الترمذي جـ ٥ ص ١٩٢ . ورواه ابن ماجه ، أنظر سنن ابن ماجه ، جـ ٢ ص ١٢٦٩ . ورواه البيهقي ، أنظر كتاب الأسماء والصفات ، ص ٥ . ورواه الدارمي ، أنظر رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ، في مجموعة عقائد السلف ، ص ٣٦٩

(٦) تقدمت ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث

(٧) تقدمت ترجمته ص ٤٦ من هذا البحث

الترمذى (١) وابن ماجه (٢) والبيهقى (٣) والدارمى (٤) وغيرهم رووا هذه الأسماء التسعة والتسعين .

وأنا اختار واحدة من هذه الروايات وهى ما رواه الترمذى عن صفوان بن (٥) صالح الذى كان ثقة عند أهل الحديث (٦) . والحديث ما يلى : -

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى ، أبو عيسى ، من أئمة الحديث وحفاظه . من أهل ترمذ . ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفى سنة ٢٧٩ هـ . ومن تصانيفه الجامع الكبير أو المسمى بصحيح الترمذى . الاعلام ج ٦ ص ٣٢٢

(٢) هو محمد بن يزيد الربعى القزوينى ، أبو عبد الله ، ابن ماجه ، أحد الأئمة فى علم الحديث . من أهل قزوين . ومن كتبه سنن ابن ماجه ، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة . ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفى سنة ٢٧٣ هـ . الأعلام ج ٧ ص ١٤٤

(٣) هو أحمد بن الحسين بن على ، أبو بكر ، من أئمة الحديث . ولد سنة ٣٨٤ وتوفى سنة ٤٥٨ هـ . نشأ فى بيهق ورحل الى بغداد ثم الى الكوفة ومكة . . ، قال الذهبى لو شاء البيهقى أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علمه ومعرفته بالاختلاف . ومن كتبه السنن الكبرى ، والأسماء والصفات وغير ذلك . الأعلام ج ١ ص ١١٦ .

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمى الدارمى السمرقندى ، أبو محمد ، من حفاظ الحديث . كان عاقلا فاضلا مفسرا فقيها أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند . ولد سنة ١٨١ هـ ، وتوفى سنة ٢٥٥ هـ . ومن كتبه الجامع الصحيح ويسمى سنن الدارمى ، وغير ذلك . الأعلام ج ٤ ص ٩٥ .

(٥) أنظر ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث .

(٦) أنظر ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، الطبعة الأولى ، =

قال الترمذى : حدثنا ابراهيم (١) بن يعقوب (٢) أخبرنا صفوان بن صالح (٣)
أخبرنا الوليد بن مسلم (٤) أخبرنا شعيب بن أبى حمزة (٥) عن أبى
الزناد (٦) عن الأعراج (٧) عن أبى هريرة (٨) رضى الله عنه قال : قال رسول الله

= (بيروت ، دار الصادر ، ١٣٢٥ هـ) ج ٤ ص ٤٢٦

(١) تقدمت ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث.

(٢) أبو اسحاق السعدى الجوزجانى ، الثقة الحافظ . قال النسائى ثقة ، وقال الدارقطنى كان من الحفاظ المصنفين والمخرجين الثقات / تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨١ .

(٣) أبو عبد الملك الدمشقى . قال الترمذى هو ثقة عند أهل الحديث ، ووثقه مسلمة بن قاسم وأبو على الجيانى وغيرهما . توفى سنة ٢٣٧ . / تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، ج ٤ ص ٤٢٦

(٤) أبو العباس القرشى الدمشقى ، عالم الشام . قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث . وقال أبو مسهر ، كان الوليد معتنيا بالعلم ، وقال أيضا : كان من ثقات أصحابنا . وقال العجلى ويعقوب بن شيبة الوليد بن مسلم ثقة . مات سنة ٩٥ هـ . تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ - ١٥٥ .

(٥) سمى دينار الأموى . قال أبو زرعة الدمشقى عن أحمد رأيت كتب شعيب فرأيتها مضبوطة مقيدة . وقال عثمان الدارمى عن ابن معين ثقة . وقال العجلى ويعقوب بن شيبة وأبو حاتم والنسائى ثقة . وقال الخليلى كان كاتب الزهرى وهو ثقة متفق عليه حافظ أثنى عليه الأئمة . مات سنة ١٦٢ هـ . تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٦) عبد الله بن ذكوان القرشى ، أبو عبد الرحمن المدنى المعروف بأبى الزناد . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة . وقال ابن أبى مريم عن ابن معين ثقة حجة . وقال ابن المدينى لم يكن بالمدينة بعد كبار =

صلى الله عليه وسلم :-

(ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحدة من أحصاها دخل[1] الجنة .. هو الله الذى لا اله الا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ،

= التابعين أعلم منه . وقال ابو حاتم ثقة فقيه صالح الحديث صاحب السنة وهو ممن تقوم به الحجة اذا روى عن الثقات . مات سنة ١٢٠ هـ . تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٧) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ابو داؤد المدنى . روى عن أبى هريرة وأبى سعيد وغيرهما . قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث ، قال ابن المدينى هو ثقة . وقال العجلى مدنى تابعى ثقة . وقال أبوزرعة ابن خراش ثقة . مات بالاسكندرية سنة ١١٧ هـ . تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٨) أنظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث

(١) هكذا ورد فى الرواية . أنظر سنن الترمذى جـ ٥ ص ١٩٢ .

المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ،

الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ،

المحى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ،

القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ،

الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ،

ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ،

الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ،

الصبور) . (١)

وقال الترمذى (٢) بعد ذكر الحديث :

(هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح (٣) وهو ثقة عند

أهل الحديث . (٤) وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبى هريرة (٥) عن

النبى صلى الله عليه وسلم ، لا نعلم فى شيئ من الروايات ذكر الأسماء الا فى

هذا الحديث) . (٦)

---

(١) محمد بن عيسى الترمذى ، سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح ، الطبعة الثانية . دار الفكر ١٣٩٤ - ١٩٧٤م ج ٥ ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٢٨ من هذا البحث

(٤) أنظر ص ١٢٨ من هذا البحث (الهامش)

(٥) تقدمت ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث

(٦) محمد بن عيسى الترمذى ، سنن الترمذى ج ٥ ص ١٩٣

وقال ابن حجر العسقلانى[1] عن هذه الرواية :

(وأما رواية الوليد[2] عن شعيب[3] وهى أقرب الطرق الى الصحة وعليها عول غالب من شرح الأسماء الحسنى)[4]

والنووى[5] أثبت أن الحديث الذى رواه الترمذى[6] حديث حسن فقال :

(هذا حديث البخارى[7] ومسلم[8] الى قوله " يحب الوتر " وما بعده حديث حسن رواه الترمذى[9] وغيره)[10] .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٩ من هذا البحث .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٢٨ من هذا البحث .

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٢٨ من هذا البحث.

(٤) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، ج ١١ ، ص ٢١٦

(٥) أنظر ترجمته ص ٢٩ من هذا البحث

(٦) تقدمت ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث .

(٧) أنظر ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث .

(٨) أنظر ترجمته ص ٤٦ من هذا البحث .

(٩) أنظر ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث

(١٠) يحيى بن شرف النووى ، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، دار الكتاب العربى ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م ، ص ٩٤

وكذلك اعتبر الحاكم النيسابوري (١) أن هذا الحديث صحيح ، فقال :

(هذا حديث قد أخرجاه - أي البخاري ومسلم - في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه . والعلة فيه عندهما (٢) أن الوليد بن مسلم (٣) تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره ، وليس هذا بعلة ، فاني لا أعلم اختلافا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق (٤) واحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان (٥) وبشر بن شعيب (٦) وعلي بن عياش (٧) وأقرانهم من

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن حمدوية بن نعيم الضبي ، النيسابوري ، الشهير بالحاكم ، أبو عبدالله ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه مولده سنة ٣٢١ هـ ووفاته سنة ٤٠٥ هـ . وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه . صنف كتابا كثيرة منها المستدرك على الصحيحين والاكليل ، والمدخل ، وغير ذلك . الاعلام ج٦/ ٢٢٧

(٢) أنظر ص ١٢٦ من هذا البحث .

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٢٨ من هذا البحث

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٢٨ من هذا البحث

(٥) هو الحكم بن نافع البهراني الحمصي ، روى عنه البخاري وغيره ، قال أبو حاتم نبيل ثقة صدوق . وقال ابن عمار ثقة . مات سنة ٢٢٢ هـ . تهذيب التهذيب ، ج ٢ ص ٤٤١ - ٤٤٢

(٦) أبو القاسم القرشي الحمصي . روى عنه البخاري في غير الجامع ، وروى له هو والترمذي والنسائي . مات سنة ٢١٣ هـ . تهذيب التهذيب ج١ ص ٤٥١ - ٤٥٢

(٧) أبو الحسن الحمصي ، روى عنه البخاري . قال العجلي والنسائي ثقة ، وقال الدارقطني ثقة حجة . مات سنة ٢١٩ هـ . تهذيب التهذيب ج٧ ص ٣٦٨ - ٣٦٩

أصحاب شعيب) .(١)

فثبت أن الحديث الذى رواه الترمذى السابق صحيح عند العلماء .(٢)

كما أن العلماء اتفقوا على أن قوله صلى الله عليه وسلم " تسعة وتسعين اسما " لا يفيد أنها محصورة في ذلك العدد . قال الخطابى :(٣)

(فى هذا الحديث اثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد وليس فيه منع ما عداها من الزيادة ، وانما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معانى).(٤)

وقد ثبت أن عدد أسماء الله تعالى أكثر مما هى مذكورة فى الحديث السابق . يقول ابن المرتضى :(٥) (وقد ثبت أن أسماء الله تعالى أكثر من

---

(١) محمد بن عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين فى الحديث ، (الرياض ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، ١٩٦٨) جـ١ ص ١٦

(٢) راجع ص ١٢٨- ١٣٠ من هذا البحث

(٣) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب ، أبو سليمان ، فقيه محدث. ولد سنة ٣١٩ هـ وتوفى سنة ٣٨٨ هـ ، ومن تصانيفه معالم السنن ، بيان اعجاز القرآن ،واصلاح غلط المحدثين وغيره . الاعلام جـ٢ / ٢٧٣

(٤) ذكره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى جـ ١١ ص ٢٢٠

(٥) وسمى بابن الوزير . وهو محمد بن ابراهيم بن على بن المرتضى بن المفضل الحسنى القاسمى ،أبو عبد الله ، عز الدين ،من آل الوزير ، مجتهد باحث ، من أعيان اليمن . ولد سنة ٧٧٥ هـ . وتوفى سنة ٨٤٠ هـ بصنعاء . ومن كتبه ايثار الحق على الخلق ، وتنقيح الأنظار فى علوم الآثار ، وغير ذلك. الأعلام جـ ٥ ص ٣٠٠

ذلك المروى بالضرورة والنص ، أما الضرورة فان فى كتاب الله أكثر من ذلك . .

وأما النص فحديث ابن مسعود (١) رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما قال عبد أصابه هم أو حزن : اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى الا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكان حزنه فرحا) (٢) .

ثم يقول : (فلنذكر هنا ما وجدناه منصوصا من الأسماء فى كتاب الله باليقين من غير تقليد (٣) ، فانها أصح الأسماء وأحبها الى الله تعالى ، حيث اختارها فى أفضل كتبه لأفضل أنبيائه ، والذى عرفت منها الى الآن بالنص صريحا دون الاشتقاق فى القرآن مائة وخمسة وخمسون (٤) غير المصادح السلبية كما سيأتى ، وفيها اسم واحد بالمفهوم المعلوم وهو الأعز . .

---

(١) أنظر ترجمته ص ٤٤ من هذا البحث .

(٢) ابن المرتضى ، ايثار الحق على الخلق ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ص ١٦٩ - ١٧٠ . وقال ابن المرتضى : رواه أحمد وأبو عوانة فى صحيحه .

(٣) وقد رجعت الى كتاب الله ، واستخرجت منه الأسماء حسب الجدول الآتى بعد .

(٤) وهذا التقدير الوارد فى الموضعين : الموضع الأول ذكر ابن المرتضى فى صفحة ١٧١ قال : ان فى القرآن مائة وخمسة وخمسين اسما . والموضع =

هو الله الذى لا اله الا هو . الاله . الصمد . الواحد . الأحد .

الرحمن . الرحيم . ذو الرحمة الواسعة . أرحم الراحمين . خير الراحمين .

العفو . الغفور . الغافر . الغفار . واسع المغفرة . أهل التقوى وأهل

المغفرة . خير الغافرين . الحاكم . الحكم . الحكيم . الأحكم . أحكم

الحاكمين . خير الحاكمين . العالم . العليم . الأعلم . علام الغيوب . الرب

البر . الواسع . الموسع . الملك . المليك . المالك . مالك الملك . الرازق .

الرزاق . خير الرازقين . الخالق . الخلاق . أحسن الخالقين . الناصر .

نعم النصير . خير الناصرين . الحافظ . الحفيظ . خير الحافظين . القوى .

الأقوى . ذو القوة . المتين . العلى . الأعلى . المتعال . القادر .

القدير . المقتدر . نعم القادر . العزيز . الأعز . الشاكر . الشكور . قابل

التوب . التواب . المجيب . القريب . الأقرب . الحى . القيوم . القائم على

كل نفس بما كسبت . الفاعل . الفعال لما يريد .

= الثانى فى صفحة ١٧٢ قال انها مائة ونيف وخمسون ، غير صحيح ، لأن العدد الذى ذكره صفحة ١٧١ ، ١٧٢ وصل الى ١٦٦ عند ذكره للأسماء سردا ، غير أن أحد عشر اسما مما ذكره فى صفحة ١٧١ ، ١٧٢ - بين الـ ١٦٦ - لم أجده بالنص فى القرآن وهى : الحاكم ، الحكم ، الأحكم ، الرازق ، الناصر ، خير الحافظين ، الأقوى ، الأعظم ، ذو العرش العظيم ، الرشيد ، الأكبر . فلو فرضنا أن هذا العدد - الأحد عشر اسما - ذكره خطأ ، فطرحه من التقديرين المذكورين يصير العدد الحقيقى هكذا :
١٥٥ - ١١ = ١٤٤ ، هذا بالنسبة للموضع الأول . =

الوارث . خير الوارثين . الكريم . الأكرم . فالق الاصباح . فالق الحب

والنوى . العظيم . الأعظم . الولى . نعم المولى . الشاهد . الشهيد .

الكبير . الأكبر . القاهر . القهار . نعم القادر . نعم الماهد . الكفيل .

نعم الوكيل . المستمع . السميع . البصير . البديع . الرؤوف . الحليم .

الرشيد . السريع . المبين . الخبير . المبرم . الغنى . الحميد . المجيد .

الوهاب. الجامع . المحيط . الكافى . الحسيب . الحاسب . المقيت .

الرقيب. كاشف الضر . الفاطر . الكاتب المبتلى . اللطيف . الصادق .

الحق . الودود . الحفى . المستعان . الفاتح . الفتاح . نور السموات

والأرض . الهادى . رفيع الدرجات . الرافع . المنتقم . الزارع . المنزل .

المنشىء . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . القدوس . السلام .

المؤمن . المهيمن . الجبار . المتكبر . البارىء . المصور . مخرج الحى

من الميت . مخرج الميت من الحى . جاعل الليل سكنا . المنذر . المرسل .

خير الفاصلين . أسرع الحاسبين . خير المنزلين . عدو للكافرين . ولى

= ١٥٩ - ١١ = ١٤٨ ، هذا بالنسبة للموضع الثانى .

وهذان العددان - ١٤٤ ، ١٤٨ - هما من غير شك غير العدد

- ١٦٦ -

المؤمنين . خير الماكرين . المتم نوره . الغالب على أمره . البالغ أمره . ذو الطول . ذو المعارج . ذو الفضل العظيم . ذو العرش العظيم . ذو الانتقام . ذو الجلال والاكرام .

انتهى ما عرفته من الأسماء الحسنى نفعنا الله بها وببركاتها وهى مائة ونيف وخمسون) (١) .

٥٥٥٥٥٥
٥

---

(١) ابن المرتضى ، ايثار الحق على الخلق ، ص ١٧٠ - ١٧٢

جدول يبين مواضع أسماء الله الحسنى فى كتاب الله التى ذكر ابن المرتضى ، أنه استخرجها من كتاب الله ولكنه لم يذكر مواضعها من كتاب الله

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
١	الله لا اله الا هو	الحشر ٢٣	هو الله الذى لا اله الا هو
٢	الاله	البقرة ١٦٣	والهكم اله واحد
٣	الصمد	الاخلاص ٢	الله الصمد
٤	الواحد	ابراهيم ٤٨	وبرزوا لله الواحد القهار
٥	الأحد	الاخلاص ١	قل هو الله أحد .
٦	الرحمن	الرحمن ١	الرحمن .
٧	الرحيم	البقرة ٣٧	انه هو التواب الرحيم
٨	ذو الرحمة الواسعة	الأنعام ، ١٤٧	فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة .
٩	أرحم الراحمين	الأعراف ، ١٥١	وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين
١٠	خير الراحمين	المؤمنون ، ١٠٩	... وارحمنا وأنت خير الراحمين .
١١	العفو	النساء ، ٩٩	وكان الله عفوا غفورا
١٢	الغفور	البقرة ١٩٩	ان الله غفور رحيم

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
١٣	الغافر	غافر ، ٣	غافر الذنب وقابل التوب ..
١٤	الغفار	الزمر ٥	الا هو العزيز الغفار
١٥	واسع المغفرة	النجم ٣٢	ان ربك واسع المغفرة
١٦	أهل التقوى وأهل المغفرة	المدثر ٥٦	..الا ان يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة .
١٧	خير الغافرين	الأعراف ، ١٥٥	وأنت خير الغافرين
١٨	الحاكم (١)		
١٩	الحكم (١)		
٢٠	الحكيم	غافر ٨	انك انت العزيز الحكيم
٢١	الأحكم (١)		
٢٢	أحكم الحاكمين	هود ٤٥	وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين
٢٣	خير الحاكمين	الأعراف ٨٧	...حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .
٢٤	العالم	الرعد ٩	عالم الغيب والشهادة ..

(١) لم أجد هذا الاسم فى القرآن الكريم ، ولكن وجدت ما يشتق منه ، وابن المرتضى ادعى أن هذه الأسماء موجودة فى القرآن بنصها عدا اسم " الأعز " (أنظر ص ١٣٤ من هذا البحث)

	الاسم	السورة والآية	النص القرآنـــــى
٢٥	العليم	البقرة ٢٩	وهو بكل شيء عليم .
٢٦	الأعلم	يوسف ٧٧	والله أعلم بما تصفون
٢٧	علام الغيوب	التوبة ٧٨	.. وأن الله علام الغيوب
٢٨	الرب	الفاتحة ١	الحمد لله رب العالمين
٢٩	البَرّ	الطور ٢٨	انه هو البر الرحيم
٣٠	الواسع	البقرة ، ٢٤٧	والله واسع عليم
٣١	الموسع	الذاريات ٤٧	والسماء بنيناها بأيد وانـــا لموسعون .
٣٢	الملك	طه ١١٤	فتعالى الله الملك الحق
٣٣	المليك	القمر ٥٥	في مقعد صدق عند مليك مقتدر
٣٤	المالك	الفاتحة ٣	مالك يوم الدين
٣٥	مالك الملك	آل عمران ٢٦	قل اللهم مالك الملك

	الاســـم	السورة والآية	النص القرآنـي
٣٦	الرازق (١)		
٣٧	الرزاق	الذاريات ٥٨	ان الله هو الرزاق
٣٨	خير الرازقين	المائدة ١١٤	وارزقنا وأنت خير الرازقين
٣٩	الخالق	الحجر ٢٨	انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون
٤٠	الخلاق	يس ٨١	بلى وهو الخلاق العليم
٤١	أحسن الخالقين	المؤمنون ١٤	فتبارك الله أحسن الخالقين
٤٢	الناصر (٢)		
٤٣	نعم النصير	الأنفال ٤٠	نعم المولى ونعم النصير
٤٤	خير الناصرين	آل عمران ١٥٠	وهو خير الناصرين
٤٥	الحافظ	الأنبياء ٨٢	وكنا لهم حافظين
٤٦	الحفيـظ	هود ٥٧	ان ربى على كل شـيئ حفيظ

(١) لم أعثر عليها .

(٢) لم اعثر الاسم بالنص ولكن هناك آيات مثل قوله تعالى (أهلكناهم فلاناصر لهم) سورة محمد ١٣ . وقوله تعالى (فما له من قوة ولا ناصر) الطارق ١٠ وقوله تعالى (فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) الجن ٢٤ . وليس أمر هذه الآيات واضحا فى استعمال الاسم للدلالة على ذات الله سبحانه .

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
٤٧	خير الحافظين	يوسف ٦٤	فالله خير حافظا (١)
٤٨	القوى	الأنفال ٥٢	ان الله قوى شديد العقاب
٤٩	الأقوى (٢)		
٥٠	ذو القوة	الذاريات ٥٨	ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
٥١	المتين	الذاريات ٥٨	ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
٥٢	العلي	الشورى ٥١	انه علي حكيم
٥٣	الأعلى	الأعلى ١	سبح اسم ربك الأعلى
٥٤	المتعال	الرعد ٩	عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
٥٥	القادر	الأنعام ٦٥	قل هو القادر على أن يبعث عليكم ..
٥٦	القدير	النساء ٤٩	فان الله كان عفوا قديرا
٥٧	المقتدر	القمر ٤٢	... فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر
٥٨	نعم القادر	المرسلات ٢٣	... فقدرنا فنعم القادرون .

(١) لم أعثر على الاسم بالنص ولعل هذه الآية هى التى أرادها ابن المرتضى .

(٢) لم أعثر الاسم فى المصحف .

	الاسم	السورة والآيـة	النص القرآنـي
٥٩	العزيـز	آل عمران ٦	لا اله الا هو العزيز الحكيم
٦٠	الأعـز (١)	المنافقون ٨	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
٦١	الشاكر	البقرة ١٥٨	فان الله شاكر عليم
٦٢	الشكور	فاطر ٣٠	انه غفور شكـور
٦٣	قابل التوب	غافر ٣	غافر الذنب وقابل التوب
٦٤	التواب	النور ١٠	... وأن الله تواب حكيم
٦٥	المجيب	هود ٦١	ان ربى قريب مجيب
٦٦	القريب	البقرة ١٨٦	واذا سألك عبادى عنى فانى قريب
٦٧	الأقـرب	ق ١٦	ونحن أقرب اليه من حبل الوريد
٦٨	الحى	البقرة ٢٥٥	الله لا اله الا هو الحى القيوم
٦٩	القيوم	البقرة ٢٥٥	الله لا اله الا هو الحى القيوم
٧٠	القائم على كل نفس بما كسبت	الرعد ٣٣	أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت .

(١) هذا هو الذى استثناه ابن المرتضى وقال انه مأخوذ بالاشتقاق .

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
٧١	الفاعل	الأنبياء ١٠٤	وعدا علينا انا كنا فاعلين
٧٢	الفعال لما يريد	البروج ١٦	فعال لما يريد
٧٣	الوارث	الحجر ٢٣	.. ونحن الوارثون
٧٤	خير الوارثين	الأنبياء ٨٩	وأنت خير الوارثين
٧٥	الكريم	النمل ٤٠	فان ربى غني كريم
٧٦	الأكرم	العلق ٣	اقرأ وربك الأكرم
٧٧	فالق الاصباح	الأنعام ٩٦	فالق الاصباح وجعل الليل سكنا
٧٨	فالق الحب والنوى	الأنعام ٩٥	ان الله فالق الحب والنوى
٧٩	العظيم	البقرة ٢٥٥	وهو العلى العظيم
٨٠	الأعظم (١)		
٨١	الولي	البقرة ٢٥٧	الله ولى الذين آمنوا
٨٢	نعم المولى	الأنفال ٤٠	ان الله مولكم نعم المولى ونعم النصير

(١) لم أعثر على هذا الاسم فى المصحف .

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
٨٣	الشاهد	البروج ٣	وشاهد ومشهود
٨٤	الشهيد	آل عمران ٩٨	والله شهيد على ما تعملون
٨٥	الكبير	الرعد ٩	عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
٨٦	الأكبر (١)		
٨٧	القاهر	الأنعام ٨	وهو القاهر فوق عباده
٨٨	القهار	ابراهيم ٤٨	وبرزوا لله الواحد القهار
٨٩	نعم القادر	المرسلات ٢٣	فقدرنا فنعم القادرون
٩٠	نعم الماهد	الذاريات ٤٨	والأرض فرشناها فنعم الماهدون
٩١	الكفيـــل	النحل ٩١	وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
٩٢	نعم الوكيل	آل عمران ١٧٣	حسبنا الله ونعم الوكيل
٩٣	المستمع	الشعراء ١٥	انا معكم مستمعون
٩٤	السميع	الاسراء ١	انه هو السميع البصير

(١) لم أعثر الاسم في المصحف .

	الاســـم	السورة والآية	النص القرآنـــي
٩٥	البصير	الحديد ٤	والله بما تعملون بصير
٩٦	البديع	الأنعام ١٠١	بديع السموات والأرض
٩٧	الرؤوف	البقرة ١٤٣	ان الله بالناس لرؤوف رحيم
٩٨	الحليم	البقرة ٢٦٣	والله غني حليم
٩٩	الرشيد (١)		
١٠٠	السريع	آل عمران ١٩	فان الله سريع الحساب
١٠١	المبين	النور ٢٥	ان الله هو الحق المبين
١٠٢	الخبير	المجادلة ١٣	والله خبير بما تعملون
١٠٣	المبرم	الزخرف ٧٩	أم أبرموا فانا مبرمون
١٠٤	الغني	لبقرة ٢٦٣	والله غني حليم
١٠٥	الحميد	فاطر ١٥	والله هو الغنى الحميد
١٠٦	المجيد	هود ٧٣	انه حميد مجيد

(١) لم أعثر على هذا الاسم في المصحف ، الا أن هناك قوله تعالى (قالوا ياشعيب ... أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، انك لأنت الحليم الرشيد) - هود ، ٨٧ . وليس أمر هذه الآية واضحا فى استعمال " الرشيد " للدلالة على ذات الله تعالى أو صفته .

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
١٠٧	الوهاب	آل عمران ٨	انك أنت الوهاب
١٠٨	الجامع	آل عمران ٩	ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
١٠٩	المحيط	البقرة ١٩	والله محيط بالكافرين
١١٠	الكافي	الزمر ٣٦	أليس الله بكاف عبده
١١١	الحسيب	النساء ٦	وكفى بالله حسيبا
١١٢	الحاسب	الأنبياء ٤٧	وكفى بنا حاسبين
١١٣	المقيت	النساء ٨	وكان الله على كل شيء مقيتا
١١٤	الرقيب	النساء ١	ان الله كان عليكم رقيبا
١١٥	كاشف الضر	الأنعام ١٧	وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو (١)
١١٦	الفاطر	فاطر ١	الحمد لله فاطر السموات والأرض
١١٧	الكاتب	الأنبياء ٩٤	وانا له كاتبون .
١١٨	المبتلي	البقرة ٢٤٩	ان الله مبتليكم بنهر

(١) لم أعثر على هذا الاسم بالنص "كاشف الضر" ، ولعل ابن المرتضى استعمل هذه الآية للدلالة على اسمه تعالى "كاشف الضر" .

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
١١٩	اللطيف	الحج ٦٣	ان الله لطيف خبير
١٢٠	الصادق	الأنعام ١٤٦	ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
١٢١	الحق	طه ١١٤	فتعالى الله الملك الحق
١٢٢	الودود	البروج ١٤	هو الغفور الودود
١٢٣	الحفيّ	مريم ٤٧	انه كان بي حفيا
١٢٤	المستعان	يوسف ١٨	والله المستعان على ما تصفون
١٢٥	الفاتح	الأعراف ٨٩	وأنت خير الفاتحين
١٢٦	الفتاح	سبأ ٢٦	وهو الفتاح العليم
١٢٧	نور السموات والأرض	النور ٣٥	الله نور السموات والأرض
١٢٨	الهادى	الفرقان ٣١	وكفى بربك هاديا ونصيرا
١٢٩	رفيع الدرجات	غافر ١٥	رفيع الدرجات ذو العرش
١٣٠	الرافع	آل عمران ٥٥	انى متوفيك ورافعك اليّ
١٣١	المنتقم	الدخان ١٦	يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون

	الاسم	السورة والآية	النص القرآنــي
١٣٢	الزارع	الواقعة ٦٤	أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون
١٣٣	المنزل	الواقعة ٦٩	أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون
١٣٤	المنشىء	الواقعة ٧٢	أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون
١٣٥	الأول	الحديد ٤	هو الأول والآخر والظاهر والباطن
١٣٦	الآخر		
١٣٧	الظاهر		
١٣٨	الباطن		
١٣٩	القدوس	الحشر ٢٣	هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
١٤٠	السلام		
١٤١	المؤمن		
١٤٢	المهيمن		
١٤٣	الجبار		
١٤٤	المتكبر		

	الاسم	السورة والآية	النص القرآني
١٤٥	البارىء	الحشر ٢٤	هو الله الخالق البارئ المصور
١٤٦	المصور		
١٤٧	مخرج الحي من الميت		
١٤٨	مخرج الميت من الحي	الأنعام ٩٥	يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي .
١٤٩	جاعل الليل سكنا	الأنعام ٩٦	فالق الاصباح وجعل الليل سكنا
١٥٠	المنذر	الدخان ٣	انا كنا منذرين
١٥١	المرسل	الدخان ٥	انا كنا مرسلين
١٥٢	خير الفاصلين	الأنعام ٥٧	وهو خير الفاصلين
١٥٣	أسرع الحاسبين	الأنعام ٦٢	وهو أسرع الحاسبين
١٥٤	خير المنزلين	المؤمنون ٢٩	وأنت خير المنزلين
١٥٥	عدو للكافرين	البقرة ٩٨	فان الله عدو للكافرين
١٥٦	ولي المؤمنين	آل عمران ٦٨	والله ولي المؤمنين
١٥٧	خير الماكرين	آل عمران ٥٤	والله خير الماكرين

	الاسم	السورة والآية	النص القرآنـــي
١٥٨	المتمّ نـــوره	الصف ٨	والله متمّ نـــوره
١٥٩	الغالب على أمره	يوسف ٢١	والله غالب على أمره
١٦٠	البالغ أمـــره	الطلاق ٣	ان الله بالغ أمره
١٦١	ذ وا الطول	غافر ٣	شديد العقاب ذى الطول
١٦٢	ذ و المعارج	لمعارج ٣	من الله ذى المعارج
١٦٣	ذ و الفضل العظيم	البقرة ١٠٥	والله ذ و الفضل العظيم
١٦٤	ذ و العرش العظيم (١)		
١٦٥	ذ و الانتقام	آل عمران ٤	والله عزيز ذ و انتقام
١٦٦	ذ و الاجلال والاكرام	الرحمن ٧٨	تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

(١) لم أعثر على هذا الاسم فى المصحف .

وبهذا ثبت أن أسماء الله تعالى فى القرآن الكريم أكثر مما هو مذكورة فى حديث التسعة والتسعين . ويؤيد ما ذهبت اليه من أن حديث التسعة والتسعين لم يذكر لافادة حصر أسمائه تعالى فى هذا العدد ما ورد عن عبد الله بن مسعود (١) رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) (٢) .

وبهذا اتضح أن حديث التسعة والتسعين لم يورد بصدد احصاء أسماء الله تعالى ، ولكنه ورد بصدد بيان جزاء من يحصى هذه العدة المذكورة فى الحديث .

يقول النووى (٣) :

(واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ،

---

(١) أنظر ترجمته ص ٤٤ من هذا البحث

(٢) قال ابن حجر العسقلانى : ان هذا الحديث أخرجه أحمد وصححه ابن حبان . أنظر فتح البارى ج ١١ ص ٢٢٠

(٣) أنظر ترجمته ص ٢٩ من هذا البحث .

وانما مقصود الحديث ان هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الأسماء) .(١)

وأما المراد باحصاء أسماء الله تعالى فى الحديث المذكور يقول ابن بطال(٢) :

(الاحصاء يقع بالعمل ويقع بالقول . فالذى بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها ، فيجب الاقرار بها والخضوع عندها ، وله أسماء يستحب الاقتداء بها فى معانيها كالرحيم والكريم والعفو ونحوها . فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدى العمل بها . فبهذا يحصل الاحصاء العملى .

وأما الاحصاء القولى ، فيحصل بجمعها والسؤال بها) .(٣)

وعند أكثر العلماء أن معنى " أحصاها " حفظها . يقول الشوكانى(٤) :

(فالاحصاء هو الحفظ ، وهكذا قال الأكثرون) .(٥) ويؤيد هذا ما قاله

---

(١) يحيى بن شرف النووى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٧ ، ص ٥

(٢) هو على بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن ، عالم بالحديث ، من أهل قرطبة . توفى سنة ٤٤٩ هـ . الأعلام جـ ٤ ص ٢٨٥

(٣) ذكره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى جـ ١٣ ص ٣٧٨

(٤) تقدمت ترجمته ص ٨٤ من هذا البحث.

(٥) محمد بن على الشوكانى ، تحفة الذاكرين ، ص ٥٣

النووى[1] وهو الأظهر عنده لأن قوله " من أحصاها " جاء مفسرا فى الرواية الأخرى " من حفظها "[2] .

ooooooo

o

---

(١) أنظر ترجمته ص ٢٩ من هذا البحث

(٢) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ٥ . فقد روى مسلم عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة " من حفظها " بدل "من أحصاها " . صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٧ ص ٤-٥

٤- معانى أسماء الله تعالى :

ونظرا لأهمية وعظمة أسمائه تعالى ، وخصوصا هذه التسعة والتسعين التى وعد الرسول صلى الله عليه وسلم من حفظها بدخول الجنة ، فأود أن أبين باختصار معانى الأسماء التسعة والتسعين المذكورة :

(١) اللـه .

(هو اسم للموجود المستحق لصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى) (١) .

وقال النسفى (٢) : (وهو اسم غير صفة ، لأنك تصفه ولا تصف به ، لا تقول شىء " الله " كما لا تقول شىء رجل ، وتقول الله واحد صمد ، ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجرى عليه ، فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز) (٣) .

ولهذا لا يجوز اطلاق هذا الاسم على غير الله ولا يشترك أحد معه فيه لا معنى ولا لفظا (٤) ، لما علمنا أن هذا الاسم أعظم أسمائه تعالى ، لدلالته

---

(١) أبوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، (مصر المكتبة العلامية) ص ٢٥ .

(٢) هو عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى ، أبوالبركات ، حافظ الدين ، فقيه حنفى مفسر ، توفى سنة ٧١٠ ، ومن كتبه مدارك التنزيل فى تفسير القرآن وغيره . الاعلام جـ ٤ ، ص ٦٧ .

(٣) أبوالبركات النسفى ، تفسير النسفى ، (بيروت ، دار الكتاب العربى) جـ ١ ص ٤

(٤) انظر محمد بن عبدالله ، أبوبكر بن العربى ، عارضة الأحوذى بشرح صحيح

=

على ذاته تعالى الجامعة لكل صفات الالهية .(١)

(٢ و ٣) الرحمن الرحيم :

وهما اسمان مشتقان من الرحمة .(٢)

وقد فرق العلماء بين الرحمن والرحيم ،بأن الرحيم أخص من الرحمن فقال بعض أهل التفسير (الرحمن ،الذى رحم كافة خلقه ،بأن خلقهم وأوسع عليهم فى رزقهم ،والرحيم : خاص فى رحمته لعباده المؤمنين ، بأن هداهم الى الايمان ،وهو يثيبهم فى الآخرة الثواب الدائم الذى لا ينقطع)(٣) وبذلك لا ترادف بين الاسمين .

(٤) الملــــك :

فى اللغة : أن قول القائل : مَلَكَ على الناس أمرهم ،معناه تَوَلَّى السلطنـــة(٤) واسمه تعالى " الملك " معناه : (الذى يتصرف فى ملكه كمايريد من غير حجر

= الترمذى ،(دار العلم للجميع) ،جـ ١٣ ،ص ٣٤ . وتفسير النسفى لأبى البركات ،جـ ١ ،ص ٤ .

(١) انظر أبا حامد الغزالى ،المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ،ص ٢٥ ،

(٢) انظر المصدر السابق ،ص ٢٦ .

(٣) ابراهيم بن السّرى الزجاج ،تفسير أسماء الله الحسنى ،تحقيق : احمـــد يوسف الدقاق ، (مطبعة محمد هاشم الكتبى ،١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م) ص ٢٨ .

(٤) احمد بن محمد الفيومى ،المصباح المنير ،ص ٥٧٩ .

ولا منع) [١] لأنه يستغنى فى ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج اليه كل موجود فلا يستغنى عنـــه شىء . [٢]

(٥) القُدُّوس :

فى اللغة : القدس أى الطهر . يقال تقدس الله أى تنزه [٣] . واسمه تعالـــى : "القدوس" معناه : (هو المنزه عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره خيـــال أو يسبق اليه وهم أو يختلج به ضمير أو يقضى به تفكير) [٤]

وقيل معناه (هو الذى لا تجوز عليه آفة) . [٥]

(٦) السَّـــلَام :

فى اللغة : معناه براءة من العيوب . [٦]

واسمه تعالى "السلام" معناه : (هو الذى سلم من كل نقص وعيب . وقيـــل المسلم على عباده فى الجنة، كما قال "سلام قولا من رب رحيم". [٧] وقيل الذى

---

(١) محمد بن عبدالله ابن العربى ، عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى جـ ١٣ ، ص ٣٥ .

(٢) انظر أباحامد الغزالى ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، ص ٢٨ .

(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٠ .

(٤) أبوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، ص ٢٩ .

(٥) محمد بن عبدالله ابن العربى ، عارضة الأحوذى جـ ١٣ ، ص ٣٥ .

(٦) انظر الطاهر أحمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصبـــاح المنير وأساس البلاغة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) جـ ٢ ص ٦٠٢ .

(٧) القرآن الكريم ، سورة يس ، آية ٥٨ .

سلم الخلق من ظلمه) . (١)

(٧) المؤمن :

وفي اللغة : قيل : أَمِنَ منه مثل سَلِمَ منه ، وأَمِنَ البلد أي اطمأن به أهله . (٢)

واسمه تعالى " المؤمن " معناه (هو الذي أمن من عذابه من لا يستحقه) . (٣)

وقيل معناه (هو المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب ، والمصدق للكافرين بما أوعدهم من العذاب) . (٤)

(٨) المهيمن :

يقال في اللغة : هيمن على كذا أي صار رقيبا عليه وحافظا . (٥)

واسمه تعالى " المهيمن " معناه (هو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ، وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه) . (٦)

(٩) العزيز :

في اللغة معنى العزة القوة أو الشدة أو الغلبة . (٧)

---

(١) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، جـ ٥ ، ص ٢٠٧ .
(٢) انظر أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٢٤ .
(٣) ابراهيم بن السري الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٢ .
(٤) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، جـ ٥ ، ص ٢٠٧ .
(٥) انظر الطاهر احمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٥٥٧ .
(٦) أبو حامد الغزالي ، المقصد الأسنى ، ص ٣١ .
(٧) انظر احمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٤٠٧ .

واسمه تعالى "العزيز" معناه (الذى لا يغالب ولا ينال بالأوهام ولا بالأفعال) (١)
وقيل معناه : (الغالب كُلَّ شيء ، فهو العزيز الذى ذل لعزته كل عزيز) . (٢)

(١٠) الجبـــــار :

يقال فى اللغة : جَبَرْتُ العَظْمَ جَبْراً أى أصلحته ، وجَبَرْتُ اليَتيمَ أى أعطيتـــه ، وأَجْبَرْتُه على كذا أى حَمَلْتُه عليه قهرا وغلبة . (٣)

واسمه تعالى "الجبار" معناه : (الذى تنفذ مشيئته على سبيـــل الاجبار فى كل أحد ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، والذى لا يخرج أحد عن قبضته وتقصر الأيدى دون حمى حضرته) . (٤)

وقيل معناه (عال على خلقه بصفاته العالية ، وآياته القاهرة ، وهـــو المستحق للعلو ، والجبروت ، تعالى) . (٥)

(١١) المتكبـــــر :

الكِبْرُ معناه : العظمة والشَّرف والرِّفعة . والكبرياء مثله . (٦)

---

(١) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الاحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٥ .
(٢) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٤ .
(٣) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٣٧ .
(٤) أبو حامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٣٢ .
(٥) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٥ .
(٦) انظر أحمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٥٢٤ ، والطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٤ ص ٧ .

واسمه تعالى " المتكبر " معناه (الذى يَرى الكلَّ حقيرا بالاضافة الى ذاته ، ولا يرى العظمة والكبرياء الا لنفسه) . (١)

وقيل معناه (الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة أونقصانا) . (٢)

(١٢) الخالــــق :

فى اللغة : " الخلق " هو " التقدير " . يقال : خلقت الشىء خلقا أى قدرته . (٣)
واسمه تعالى " الخالق " معناه (المخرج من العدم الى الوجود) . (٤)

يقول الزجاج (٥) : (فالخلق فى اسم الله تعالى : هو ابتداء تقدير الشىء فالله تعالى خالقها ومنشئها ، وهو متممها ومدبرها) . (٦)

---

(١) أبو حامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٣٢ .
(٢) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى ، ناصرالدين ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى بتفسير البيضاوى ، (بيروت ، مؤسسة شعبان) جـ ٥ ، ص ١٢٩ .
(٣) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٥ .
(٤) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٥ .
(٥) هو ابراهيم بن السرى بن سهل ، أبواسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة . ولد ومات فى بغداد سنة ٢٤١ - ٣١١ هـ . ومن كتبه خلق الانسان ، تفسير أسماء الله الحسنى ، واعراب القرآن وغير ذلك .
الاعلام جـ ١ ، ص ٤٠ .
(٦) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٧ .

(١٣) البـــارئ :

والبَرْءُ فى اللغة : خَلْقٌ على صفة .(١)

واسمه تعالى " البارئ " معناه : (المنشئ المخترع للأشياء ، الموجد لهـــا) .(٢)

وقيل معناه : (المميز لبعض الأشياء من بعض) .(٣)

وقيل معناه (خالق الناس من البرى وهو التراب)(٤) لأن من معانى البــرا التـــراب .(٥)

(١٤) المصـــور :

وأصله فى اللغة من " التصوير " ومعناه التخطيط والتشكيل .(٦)

واسمه تعالى " المصور " معناه (الموجد للصور المركب لها على هيئـــات مختلفـــة) .(٧)

وعن عدم التشابه بين الخالق والبارئ والمصور يقول الغزالـــى :(٨)

---

(١) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٧ .

(٢) محمد بن على الشوكانى ، فتح القدير ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ، وفى نفس المكان .

(٤) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٥ .

(٥) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٤٧ .

(٦) محمد بن على الشوكانى ، فتح القدير ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨ .

(٧) المصدر نفسه ، وفى نفس المكان .

(٨) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(وقد يظن أن هذه الأسماء مترادفة ، وأن الكل يرجع الى الخلق والاختراع . ولا ينبغى أن يكون كذلك بل كل مايخرج من العدم الى الوجود فيفتقر الى التقدير اولا ، والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا ، والى التصوير بعد الايجاد ثالثا . والله تعالى خالق من حيث انه مقدر ، وبارئ من حيث انه مخترع موجد ، ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب) (١)

وعلى ذلك يكون الخلق أولا ، والبرى ثانيا ، والتصور ثالثا .

(١٥) الغفـــار :

فى اللغة : الغَفْرُ معناه الستر أو الغطاء . (٢)

واسمه تعالى " الغفار " معناه (الذى أظهر الجميل وستر القبيح ، والذنوب من جملة القبائح التى سترها بارسال الستر عليها فى الدنيا والتجاوز عن عقوبتها فى الآخرة) . (٣)

(١٦) القهـــار :

القهر فى اللغة الغلبة . (٤)

واسمه تعالى " القهار " معناه (الذى أخذ الخلق قهرا بماشاء من أمره لا يستطيعون

---

(١) أبوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٣٣ .

(٢) انظر الطاهر أحمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٣ ص ٤٠٥ .

(٣) أبوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٣٦ .

(٤) انظر الطاهر أحمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٣ ص ٧٠٩ .

المعدول عنه)[1] فلا يكون هناك من الموجودات الا ما هو تحت قدرته وقبضته .

(١٧) الوهـــــاب :

الهبة في اللغة : تمليك الشيء بلا مقابل .[2]

ويقول الغزالي :[3] (الهبة هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض ، فـإذا كثرت العطايا بهذه الصفة يسمى صاحبها جوادا وهّابا ، ولن يتصور الجـود والعطاء والهبة حقيقة الا من الله تعالى ، فانه هو الذى يعطى كل محتاج ما يحتاج اليه لا لعوض ولا لغرض عاجل ولا آجل)[4] فالله تعالى معطى الهبـات كلها .

(١٨) الرزاق :

الرزق (اسم لما يسوقه الله الى الحيوان فيأكله فيكون متناولا للحلال والحرام .)[5]

واسمه تعالى " الرزاق " معناه (الذى خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها اليهم

---

(١) محمد بن عبد الله ابن العربي ، عارضة الأحوذى جـ ١٣ ، ص ٣٦ .

(٢) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٨ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٤) أبو حامد الغزالي ، المقصد الأسنى ص ٣٧ .

(٥) على بن محمد الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، (بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٨م) ، ص ١١٥ . وقيل ان المعتزلة قد وسعوا دائرة الرزق الى ما يشمل المأكلة والملبسة والمسكنة والدواء وما الى ذلك ، فقالـــوا : هو ما لا يمنع من الانتفاع به مانع شرعي . انظر شرح العقائد النسفيـــة لسعد الدين التفتازاني ، جـ ١ ، ص ١٢٨ (حاشية) .

وخلق أسباب التمتع بها) .(١)

وقسم الغزالي(٢) الرزق الى ظاهر وباطن ، فالظاهر هو ما رزق للأبدان والباطن هو ما رزق للقلوب كالعلم والمعرفة ، فالله تعالى هو رازق هـــذه الأشياء كلها .(٣)

(١٩) الفتـــــاح :

الفَتْحُ في اللغة خلاف الاغلاق . ففتحت الباب فَتحاً خلاف أغلقته .(٤)

واسمه تعالى " الفتاح " معناه (الذى فتح بين الحق والباطل ، فأوضح الحق وبينه وأدحض الباطل وأبطله .)(٥)

وقيل معناه : (الذى بعنايته ينفتح كل منغلق ، وبهدايته ينكشف كل مشكـــل) .(٦) فيسهل للمخلوق ما كان صعبا عليه ، وييسر له ما كان عسيرا عليه ، ما كان من الشئون الدينية أو الدنيوية .

(٢٠) العليـــــم :

يقال في اللغة : عَلِمَ يَعْلَمُ اذا تَيَقَّنَ . وجاء بمعنى المعرفة أيضا .(٧)

---

(١) أبو حامد الغزالي ، المقصد الأسنى ، ص ٣٨ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٣) أبو حامد الغزالي ، المقصد الأسنى ، ص ٣٨ .

(٤) انظر أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٤٦١ .

(٥) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٣٩ .

(٦) أبو حامد الغزالي ، المقصد الأسنى ، ص ٣٩ .

(٧) انظر احمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٤٢٧ .

واسمه تعالى " العليم " معناه (الذى لم يخف عليه شئ مما خلق ومما لم يخلق يعلم نفسه وغيره من معدوم وموجود على العموم والشمول)[(١)] لأن الله تعالى يحيط علمه بكل شئ ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .

(٢١ و ٢٢) القابض ، الباسط :

القبض فى اللغة الامساك وهو ضد البسط .[(٢)]

والبسط فى اللغة المد والنشر ..[(٣)]

واسماه تعالى " القابض ، الباسط " معناهما (الذى يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات ويبسط الأرواح فى الأجساد عند الحياة ، ويقبض الصدقات من الأغنياء ، ويبسط الأرزاق للضعفاء ، ويبسط الرزق على الأغنياء) .[(٤)]

(٢٣ و ٢٤) الخافض ، الرافع :

فى اللغة : (خَفَضَ الرجل صوته .. أى لم يجهر به ، وخَفَضَ الله الكافرَ أهانه وخَفَضَ الحرف فى الاعراب اذا جعله مكسورا) .[(٥)]

(ورفعته رفعاً خلاف خفضته .. وقوله : رَفَعَ اللهُ عملَه قبلَه) .[(٦)]

---

(١) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، ج ١٣ ، ص ٣٦ .

(٢) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٥٥١ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٤) ابوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٤٠ .

(٥) احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ١٧٥ .

(٦) احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٢٣٢ .

واسماه تعالى " الخافض ، الرافع " معناهما (الذى يخفض مَنْ استحق الخفض من أعدائه ، ويرفع من استحق الرفع من أوليائه) .[١]

ويقول الغزالى[٢] فى معنييهما (هو الذى يخفض الكفار بالاشقاء ويرفع المؤمنين بالاسعاد ، يرفع أولياءه بالتقريب ويخفض أعداءه بالابعاد)[٣]

(٢٥ و ٢٦) المُعِزّ ، المُذِلّ :

فى اللغة : عَزَّ يَعِزُّ أى اشتد ، وعزّ الرجلُ عِزّاً أى قوى ....[٤] والله سبحانه وتعالى سمى بهذين الاسمين لأنه (الذى يعز من شاء من أوليائه ، ويذل طغاة خلقه) .[٥]

ويقول ابن العربى[٦] : (العزة لله سبحانه ذاتا وفعلا فما وهب منها لأحد كان عزيزا بها على قدر مايهبه منها ، ومالم يخلق له منهاعزة كان ذليلا وهو الكافر ، فان خلق له بعضها وزوى عنه بعضها كان من جهة ما خلق

---

(١) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٤٠ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٣) ابوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٤٠ .

(٤) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٤٠٧ .

(٥) ابراهيم بن السرى ، الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٤١ .

(٦) هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافرى الاشبيلى المالكى ، أبوبكر ابن العربى ، قاضى ، من حفاظ الحديث . ولد سنة ٤٦٨ ، وتوفى سنة ٥٤٣ هـ . برع فى الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد فى علوم الدين . ومن كتبه العواصم من القواصم ، وعارضة الأحوذى فى شرح الترمذى ، وغير ذلك . الاعلام جـ ٦ ص ٢٣٠ .

له منها عزيزا وكان بما زوى عنه منها ذليلا) .(١)

(٢٧) السميـــــع :

فى اللغة : (أَسْمَعْتُ زيدًا أَبْلَغْتُهُ . . . وسمعت كلامه أى فهمت معنى لفظه . . . . " وسَمِعَ الله قولكَ عَلِمَهُ ، وسَمِعَ الله لمن حَمِدَه ، قَبِلَ حَمْدَ الحامد) .(٢)

واسم الله تعالى " السميع " معناه (الذى لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفى) .(٣)

(٢٨) البصيـــــر :

البَصَرُ فى اللغة : النور الذى تدرك به الجارحة المبصرات . . . وذو بَصَرٍ وبَصِيرَةٍ أى عِلْمٍ وخِبْرَةٍ . . .(٤)

واسمه تعالى " البصير " معناه (الذى يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى)(٥) وهذا كله بدون آلة أو حاسّة كالتى فى الانسان ، مع أنه تعالى تنكشف له جميع المبصـــرات انكشافا تاما .

(٢٩) الحَكَـــم :

وفى اللغة : الحَكَمَ والحَاكِمَ بمعنى واحد وهو المانع ، وسمى الحاكم حاكما ، لأنه

---

(١) محمد بن عبدالله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٧ .
(٢) احمد بن محمد الفيـومى ، المصباح المنير ، ص ٢٨٩ .
(٣) ابوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٤١ .
(٤) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٥٠ .
(٥) ابوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ، ص ٤١ .

يمنع الخصمين من التظالم .[(١)]

واسمه تعالى " الحَكَم " معناه (الحَكَم بين الخلق ، لأنه الحَكَم فى الآخرة ولا حَكَم غيره) .[(٢)]

وقيل معناه : (الذى حكم على القلوب بالرضا ، وعلى النفوس بالانقياد والطاعة) .[(٣)]

(٣٠) العـــــدل :

له فى اللغة عدة معان منها : الاستقامة وضد الجور .[(٤)]

واسمه تعالى " العدل " معناه : (الذى يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم)[(٥)] وذلك لأن أفعال الله كلها مستقيمة وحسنة .

(٣١) اللطيـــــف :

فى اللغة " اللطف " معناه الرفق .[(٦)]

واسمه تعالى " اللطيف " معناه : (البَرّ بعباده ، المحسن الى خلقه بايصال المنافع اليهم برفق ولطف ، أو العالم بخفايا الأمور ودقائقها) .[(٧)]

---

(١) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
(٣) حسن عز الدين الجمل ، الأسماء الحسنى (القاهرة ، مطبعة الشعب) ص ١٦٥ .
(٤) الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ١٧١ .
(٥) ابوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٤٥ .
(٦) انظر الطاهر أحمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط جـ ٤ ، ص ١٤٦ .
(٧) المصدر السابق ، وفى نفس المكان .

ويقول الغزالي (١) (انما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ،ثم يسلك في ايصالها الى المستحق سبيل الرفق دون العنف ، فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في العلم تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الا لله تعالى) . (٢)

(٣٢) الخبيـــــر:

الخِبْرَة في اللغة المعرفة ببواطن الأمور . (٣)

واسمه تعالى " الخبير " معناه (العليم بباطن الأشياء وما غاب منها عن علم الخلق) (٤) فلا يجرى في الملك والملكوت شيء الا ويكون عند الله خبره وعلمه ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن الا كذلك ،فالعلم اذا أضيف الى الخفايا الباطنة سمي صاحبها خبيرا . (٥)

(٣٣) الحليـــــم :

والحلم بالكسر في اللغة معناه الأناة والطمأنينة ،وقيل تأخير مكافأة الظالم. (٦)

ويقول الزجاج (٧) : (كل من لا يعاجل بالعقوبة سمي فيما

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٢) أبوحامد الغزالي ،المقصد الأسنى ،ص ٤٧ .

(٣) على بن محمد الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ،ص ١٠٢ .

(٤) محمد بن عبدالله ابن العربي ،عارضة الأحوذى جـ ١٣ ص ٣٨ .

(٥) انظر أبا حامد الغزالي ،المقصد الاسنى ،ص ٤٩ .

(٦) انظر على بن محمد الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ،ص ٩٨ .

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

بيننا حليما) .(١)

واسمه تعالى " الحليم " معناه (الذى يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش) .(٢)

(٣٤) العظيم :

العَظَمَة فى اللغة الكبرياء .(٣)

واسمه تعالى " العظيم " معناه (الذى زاد قدره على غيره جلالا فى الذات والفعل)(٤) أى فى الشأن والسلطان . ويقول الغزالى(٥) فى شرح الاسم (هو العظيم المطلق الذى جاوز جميع حدود العقول حتى لم تتصور الاحاطة بكنهه) .(٦)

(٣٥) الغفور :

يقول الغزالى(٧) (وهو بمعنى الغفار ، ولكنه ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ عنها الغفار ، فان الغفار مبالغة فى المغفرة بالاضافة الى مغفرة متكررة مرة بعد أخرى .

---

(١) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٤٥ .

(٢) أبوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٤٩ .

(٣) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٤١٧ .

(٤) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الأحوذى جـ ١٣ ، ص ٣٨ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٦) ابوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ، ص ٤٩ .

(٧) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

فالفعّال ينبىء عن كثرة الفعل ، والفعول ينبىء عن جودته وكماله وشموله ، فهو غفور بمعنى أنه تام الغفران ، كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة) .(١)

وقيل ان الغفور: فى ذنوب الآخرة، والغفار : الذى يسترهم فى الدنيا ولا يفضحهم .(٢)

(٣٦) الشكـــــور :

يقال فى اللغة : الشكر من الله أى المجازاة .(٣)

واسمه تعالى " الشكور " معناه (الذى يجازى بيسير الطاعات ، كثير الدرجات ويعطى بالعمل فى أيام معدودة نعيما فى الآخرة غير محدود) .(٤)

وقيل معناه (الذى أثنى على عباده بفعلهم) .(٥)

(٣٧) العلـــــىّ :

العلو فى اللغة خلاف السفل ،(٦) وقيل علا النهار أى ارتفع .(٧)

واسمه تعالى " العلى " معناه (الذى لا رتبة فوق رتبته ، وجميع المراتب منحطة عنـــه) .(٨)

---

(١) أبو حامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٥٠ .

(٢) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير اسماء الله الحسنى ، ص ٤٧ .

(٣) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ج ٢ ، ص ٧٤٠ .

(٤) أبو حامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٥٠ .

(٥) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، ج ١٣ ، ص ٣٨ .

(٦) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير، ص ٤٢٧ .

(٧) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٨) ابو حامد الغزالى ، المقصد الاسنى ، ص ٥٠ .

(٣٨) الكبيــــــــر :

الكِبْر والكبرياء فى اللغة العظمــــة . (١)

واسمه تعالى "الكبير" معناه (الذى كَبُر وعلا فى ذاته وصفاته وأفعاله عن مشابهة مخلوقاته ، أو الذى فاق مدح المادحين ووصف الواصفين فهو أكمل الموجودات ، أو ذو الكبرياء والعلو والعظمة والرفعة والتنزه عن أوهام الخلق ومداركهم فله تعالى كبرياء الذات والصفات والأفعال) . (٢)

(٣٩) الحفيــــــظ :

يقال فى اللغة : حفظ المال أى رعاه ، والتحفظ الاحتراز . (٣)

واسمه تعالى "الحفيظ" معناه (الحافظ للسموات والأرض والملائكة والموجودات التى يطول أمد بقائها والتى لا يطول أمد بقائها ، مثل الحيوان والنبات وغيرهما) (٤)

وقيل معناه (الذى يعلم ما خلق وكتبه ودبره على ما جاء فلم يعده) (٥)

(٤٠) المُقيــــــت :

القوت ما يؤكل ليمسك به الرَّمَق . (٦)

---

(١) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٥٢٤ .

(٢) حسنين محمد مخلوف ، أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٧٦) ص ٥٤ .

(٣) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ٦٧٣ .

(٤) أبو حامد الغزالى ، المقصد الاسنى ، ص ٥٢ .

(٥) محمد بن عبد الله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٩ .

(٦) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٥١٨ . والرمق هو مايمسك القوة أو العيش .

واسمه تعالى " المقيت " معناه : (خالق الأقوات وموصلها الى الأبدان وهى الأطعمة والى القلوب وهى المعرفة) (١) ثم زاد الغزالى قوله (فيكون بمعنى الرزاق الا أنه أخص منه ، اذ الرزق يتناول القوت وغير القوت) (٢) فيكون بمقتضى هذين الوصفين هو المتكفل بأرزاق خلقه وأعطائهم أقواتهم ، سواء منها ما يحتاجه البدن أو القلب أو الروح .

(٤١) الحسيب :

يقال فى اللغة : هذا رجل حسبك من رجل أى كاف لك من غيره . وحسبك درهم ، أى كفاك . فالحسب أى الاكتفاء . (٣)

واسمه تعالى " الحسيب " معناه (الكافى وهو الذى من كان له كان حسبه والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه) . (٤)

(٤٢) الجليل :

الجلالة فى اللغة العظمة . (٥)

واسمه تعالى " الجليل " معناه (الذى عجز الخلق عن ادراكه حسا ، فيعود الى الكبير والعظيم ويرجع الى القدوس والسلام) (٦)

---

(١) أبوحامد الغزالى ، المقصد الأسنى ، ص ٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، وفى نفس المكان .
(٣) انظر الطاهر أحمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٦٣٧ .
(٤) ابوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ، ص ٥٤ .
(٥) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٥١٨ .
(٦) محمد بن عبدالله ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، ج ١٣ ، ص ٣٩ .

وقال الغزالي[(١)] في بيان الفرق بين الجليل والكبير والعظيم (فكأن الكبير يرجع الى كمال الذات والجليل الى كمال الصفات ، والعظيم يرجع الى كمال الذات والصفات جميعا)[(٢)] .

(٤٣) الكريـــــم :

الكرم في اللغة : سرعة اجابة النفس ، ويقال للرجل كريم اذا كان سريعا الى الخيــــرات .[(٣)]

واسمه تعالى " الكريم " معناه (انه سبب كل خير ، ومسهّله)[(٤)]

(٤٤) الرقيـــــب :

يقال في اللغة رَقَبْتُه أي حفظته ، وارتقبته أي انتظرته[(٥)]

واسمه تعالى " الرقيب " معناه (الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه)[(٦)] فـــلا يغفل عن شيء ولا يغيب عنه أحوال خلقه .

(٤٥) المجيـــــب :

يقال في اللغة : أجاب الله دعاءه أي قَبِلَه .[(٧)]

---

(١) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٢) ابوحامد الغزالي ، المقصد الاسنى ، ص ٥٥ .

(٣) انظر ابراهيم بن السري ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

(٥) احمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٢٣٤ .

(٦) ابراهيم بن السري الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥١ .

(٧) انظر احمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ١١٣ .

واسمه تعالى " المجيب " معناه (الذى يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء) (١) وهذه الاجابة بما شاء وكيف شاء .

(٤٦) الواسع :

السَّعَة فى اللغة كثرة أجزاء الشئ ، وقد يستعمل فى الغنى يقال فلان واسع الرَّحْل أى هو الغنى) (٢) .

واسمه تعالى " الواسع " معناه (الكثير العلم والكثير العطاء) . (٣)

(٤٧) الحكيم :

الحُكْم فى اللغة القضاء وأصله المنع ، وقيل أحكمت الشئ أى أتقنته (٤) .

واسمه تعالى " الحكيم " معناه (محكم الأشياء بعلمه ، ومانع الباطل والفساد بقدرته وخالقها اذا شاء بتدبيره) (٥) .

(٤٨) الودود :

الوُدّ فى اللغة : الحب (٦) .

واسمه تعالى " الودود " معناه (الذى يحب الخير لجميع الخلق فيحسن

---

(١) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥١ .

(٢) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥١ .

(٣) محمد بن عبد الله بن العربى ، عارضة الأحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٩ .

(٤) انظر احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ١٤٥ .

(٥) محمد بن عبد الله ، ابن العربى ، عارضة الأحوذى ، جـ ١٣ ، ص ٣٩ .

(٦) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٥٨٨ .

اليهم ويثنى عليهم) . (١)

وقيل ان الودود بمعنى المودود أى المحبوب ، فالله سبحانه محبوب عند أوليائه (٢).

(٤٩) المَجيـــــد :

المَجْـــدُ فـــى اللغـــة : العِزّ والشَّـــرَف . (٣)

واسمه تعالى " المجيد " معناه (الشريف ذاته ، الجميل أفعاله ، الجزيـــل عطاؤه ونواله) . (٤)

(٥٠) الباعـــــث :

البعث فى اللغة الاشارة أو التحريك . (٥)

واسمه تعالى " الباعث " معناه (الذى يبعث الخلق كلهم ليوم لا شك فيـــه ، فهو يبعثهم من الممات ويبعثهم أيضا للحساب) . (٦)

وقيل معناه مرسل الرسل الكرام الى الخلق ، ومحى الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء ، وموقظ الهمم الى معالى الأمور ، ومُصَفِّى السرائر عن الهوى ومنقى الأعمال عن الدنس . (٧)

---

(١) ابوحامد الغزالي ، المقصد الاسنى ، ص ٥٨ .

(٢) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥٢ .

(٣) احمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ، ص ٥٦٤ .

(٤) ابوحامد الغزالي ، المقصد الاسنى ، ص ٥٩ .

(٥) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٦) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥٣ .

(٧) حسنين محمد مخلوف ، أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها ص ٦٢

(٥١) الشهيـــــد :

يقال فى اللغة : شهدت الشئ معناه اطلعت عليه وعاينته أوحضرته.(١)

قال الزجاج(٢) (واليوم المشـهـود : يوم القيامة ،لأنه معلوم كونه لا محالة ،فكان معنى الشهيد : العالم).(٣)

والغزالى(٤) أرجع أيضا معنى الشهـيـد الى العليم ولكن مع خصوص اضافة ،فقال (فانه تعالى عالم الغيب والشهادة ،فاذا أضيف الى الأمـور الظاهرة فهو الشهيد).(٥)

(٥٢) الحـــق :

الحق فى اللغة الثابت الذى لا يسوغ انكاره ،وقيل الحكم المطابق للواقـع ، ويقابله الباطل.(٦)

واسمه تعالى " الحق " معناه : (الموجود الحقيقى الذى يأخذ منه كل حـق حقيقتـــه).(٧)

وقيل معناه : (الموجود الذى لا يدركه عدم).(٨)

---

(١) انظر احمد بن محمد الفيومى ،المصباح المنير،ص ٣٢٤ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج ،تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٥٣ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٥) ابوحامد الغزالى ،المقصد الاسنى ،ص ٦٠ .

(٦) انظر على بن محمد الشريف الجرجانى ،كتاب التعريفات ،ص ٩٤ .

(٧) أبوحامد الغزالى ،المقصد الاسنى ،ص ٦١ .

(٨) محمد بن عبد الله ابن العربى ،عارضة الأحوذى ،ج١٣ ،ص ٤٠ .

(٥٣) الوكيـــــل :

يقال فى اللغة : وَكَلْتُ الأمر اليه وَكْلاً أى فَوَّضْتُهُ اليه واكتفيت به (١).

وقال الجرجانى (٢) (الوكيل الذى يتصرف لغيره لعجز موكله) (٣).

واسمه تعالى " الوكيل " معناه (القائم بتدبير الخلق) (٤) فهو المتصرف فى أمور العباد على حسب ارادته وقدرته .

(٥٤ و ٥٥) القوى ، المتين :

القُوة فى اللغة أى الطاقة . (٥)

ويقال فى اللغة : مَتُنَ الشىء متانة اشتد وقوى ، فهو متين . (٦)

قال الغزالى (٧) فى معنى هذين الاسمين الثابتين لله تعالى (القوة تدل على القدرة التامة ، والمتانة تدل على شدة القوة . فالله تعالى من حيث انه بالغ القدرة تامها قوى ، ومن حيث انه شديد القوة متين) (٨). فالله تعالى

---

(١) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٦٧٠ .

(٢) هو على بن محمد بن على المعروف بالشريف الجرجانى ، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفى سنة ٨١٦ ومن تصانيفه التعريفات وشرح مواقف الايجى ورسالة فى فن أصول الحديث وغير ذلك الاعلام جـ ٥ ص ٧ .

(٣) على بن محمد الشريف الجرجانى كتاب التعريفات ص ٢٧٥ .

(٤) محمد بن عبد الله ابن العربى عارضة الاحوذى جـ ١٣ ص ٤٠ .

(٥) انظر احمد بن محمد الفيومى ص ٥٢١ .

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٥٦٢ .

(٧) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٨) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٢ .

لا يعجز عن شيء مما يريد بحال من الأحوال .

(٥٦) الوَلِـــــــيّ :

الولي في اللغة الناصر .(١)

ومن اسمه تعالى " الولي " يقول الزجاج(٢) (قال الله تعالى : " الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور "(٣) . وهو تعالى وليهم - أي المؤمنين - بأن يتولى نصرهم وارشادهم كما يتولى ذلك من الصبي وليّه ، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم) .(٤)

(٥٧) الحميـــــــد :

يقال في اللغة : حَمِدْتُه على شجاعته واحسانه حمدا أثنيت عليه .(٥)

ومن اسمه تعالى " الحميد " يقول الزجاج(٦) (الحميد هو فعيل في معنى مفعول والله تعالى هو المحمود بكل لسان ، وعلى كل حال ....) .(٧)

(٥٨) المحصـــــــي

يقال في اللغة : أرض مَحْصَاة أي كثيرة الحصاة ، والحَصَى صغار الحجارة .

---

(١) انظر محمد بن عبد الله ابن العربي عارضة الاحوذي ج ١٢ ص ٤٠ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٣) القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٥٧ .

(٤) ابراهيم بن السري الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٥ .

(٥) انظر أحمد بن محمد الفيومي المصباح المنير ص ١٤٩ .

(٦) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٧) ابراهيم بن السري الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٥ .

وقول القائل : أحصاه أى عده أو حفظه أو عقله .(١)

واسمه تعالى " المحصى " معناه (الذى ينكشف فى علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه) .(٢)

وقيل معناه (الذى يحصى الأعمال ويعدّ يوم القيامة للحساب والجزاء) .(٣)

(٥٩) المبـــــــدىء :

يقال فى اللغة : ابتداء الأمر أى أوله .(٤)

واسمه تعالى " المبدىء " معناه (الذى ابتدأ الأشياء كلها ، لا عن شـــىء فأوجدها) .(٥)

(٦٠) المعيـــــــد :

يقال فى اللغة : أَعَدْتُ الشىء أى رددته ثانيا .(٦)

واسمه تعالى " المعيد " معناه (الذى أعاد الخلائق كلهم ليوم الحســـاب كما أبدأهم) .(٧)

---

(١) انظر الطاهر احمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط جـ ١ ص ٦٥٨ .

(٢) ابو حامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٢ .

(٣) حسنين محمد مخلوف أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها ص ٦٧ .

(٤) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٤٠ .

(٥) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٦ .

(٦) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٤٣٧ .

(٧) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٦ .

(٦١ ، ٦٢) الحي ، المميت :

واسماه تعالى " المحي ، المميت " معناهما (الذى أحيا الخلق ، بأن خلق فيهم الحياة ، وأحيا الموات بانزال الحيا ، وانبات العشب ، ومنهما تكون الحياة . . . ، وخلق الموت ، كما أنه خالق الحياة ، لا خالق سواه . استأثر بالبقاء وكتب على خلقه الموت . (١)

يقول الغزالي (٢) : (الموجود اذا كان هو الحياة يسمى الفعل احياء ، واذا كان هو الموت يسمى الفعل اماتة ، فلا خالق للموت والحياة الا الله تعالى فلا محي ولا مميت الا الله تعالى) (٣)

(٦٣) الحـــــــــــي :

يقول الزجاج (٤) : (الحي يفيد دوام الوجود) . (٥)

واسمه تعالى " الحي " معناه (الذى تندرج جميع المدركات تحت ادراكه ، وجميع الموجودات تحت فعله ، حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول) . (٦)

وقيل معناه : (لم يزل موجودا ، ولا يزال موجودا) . (٧)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
(٢) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .
(٣) أبوحامد الغزالي المقصد الاسنى ص ٦٣ .
(٤) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .
(٥) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٦ .
(٦) ابوحامد الغزالي المقصد الاسنى ص ٦٣ .
(٧) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير اسماء الله الحسنى ص ٥٦ .

(٦٤) القيــــوم :

واسمه تعالى " القيوم " معناه (القائم بأمر الخلق كلهم) .(١)

وقيل معناه : (الذى لا زوال له) .(٢)

(٦٥) الواجــــــد :

الوَجْد فى اللغة الغِنَى ، يقال أوجده أى أغناه .(٣)

واسمه تعالى " الواجد " معناه (لا يعوزه شئ مما لا بد له منه ، وكل ما لا بد منه فى صفات الالهية وكمالها ، فهو موجود لله تعالى ، فهو بهذا الاعتبار واجد وهو الواجد المطلق) .(٤)

(٦٦) الماجــــــد :

واسمه تعالى " الماجد " معناه " المجيد "(٥) كالعالم بمعنى العليم ، الا أن المجيد أبلغ من الماجد ، لأن الفعيل أكثر مبالغة من الفاعل .(٦)

(٦٧) الواحــــــد :

قال الزجاج(٧) (وضع الكلمة - أى الواحد - فى اللغة انما هو للشئ الذى ليس

---

(١) محمد بن عبدالله ابن العربى عارضة الاحوذى ج ١٣ ص ٤٠ .

(٢) محمد بن على الشوكانى فتح القدير ج ١ ص ٢٧٣ .

(٣) انظر ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٧ .

(٤) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٣ .

(٥) راجع معنى " المجيد " ص ١٧٦ من هذا البحث .

(٦) انظر اباحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٤ وابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٧ .

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

باثنين ولا أكثر منهما) .[١]

واسمه تعالى " الواحد " معناه (الذى لا شريك له ولا نظير)[٢] أى أن الله تعالى متفرد بذاته وصفاته وأفعاله ، لا يشاركه فيها شىء ، ولا يشبهه فيها شىء .

(٦٨) الصَّمَد :

الصَّمْد فى اللغة : القَصْد .[٣]

واسمه تعالى " الصَّمَد " معناه (الذى يُقْصد فى الطلبات)[٤] أى هو المرجع والمقصود لكل راغب ومستغيث ، لأنه كامل الغنى ، لا ينقص غناه من كثرة الطلبات .

(٦٩) القادر :

واسمه تعالى " القادر " معناه (الذى يخترع كل موجود اختراعا ينفرد به ويستغنى فيه عن معاونة غيره)[٥] لأن القادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل .

وقيل معناه : (الذى لا يتطرق عليه العجز ولا يفوته شىء) .[٦]

(٧٠) المُقْتَدِر :

واسمه تعالى " المقتدر " معناه مثل معنى القادر ، الا أن المقتدر مبالغة أكثر

---

(١) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٧ .
(٢) محمد بن عبد الله ابن العربى عارضة الاحوذى جـ ١٣ ص ٤٠ .
(٣) انظر الطاهر احمد الزاوى ترتيب القاموس المحيط جـ ٢ ص ٨٤٩ .
(٤) محمد بن عبد الله ابن العربى عارضة الاحوذى جـ ١٣ ص ٤٠ .
(٥) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٤ .
(٦) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٩ .

من القادر . يقول الغزالى[(١)] (القادر والمقتدر معناهما ذو القدرة ، ولكن المقتدر أكثر مبالغة) .[(٢)]

(٧١) المُقَدِّم :

واسمه تعالى " المقدم " معناه (الذى يقدم مايحب تقديمه من شىء حكما وفعلا على ما أحب وكيف أحب) .[(٣)]

يقول الغزالى[(٤)] ان معناه (المُقَرِّب - يعنى الى الكمال والفوز - فالله تعالى قدم أنبياءه وأولياءه بتقريبهم وهدايتهم ٠٠٠٠) .[(٥)]

(٧٢) المؤخِّر :

واسمه تعالى " المؤخر " معناه (الذى يؤخر مايحب تأخيره) .[(٦)]

يقول الغزالى[(٧)] فى معناه (المُبْعِد - يعنى عن الكمال والفوز - فالله أخر أعداءه بابعادهم وضرب الحجاب بينه وبينهم) .[(٨)]

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .
(٢) ابوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ص ٦٤ .
(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٩ .
(٤) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .
(٥) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٤ .
(٦) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٥٩ .
(٧) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .
(٨) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٤ .

(٧٣) الأول :

واسمه تعالى "الاول" معناه (السابق على سائر الموجودات ، من حيث انه موجدها ومحدثها) .[١] فكل الأشياء لها بداية ولها ابتداء ، أما الله تعالى فلا أول له ولا ابتداء .

وقيل معناه (متقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها) .[٢]

(٧٤) الآخـــــر :

واسمه تعالى "الآخر" معناه (المتأخر عن الأشياء كلها ويبقى بعدها)[٣] فهو الباقي بعد فناء الموجودات كلها . ويقول الطبري[٤] في سبب تسمية الله تعالى بالأول والآخر (لأنه كان ولا شيء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الأشياء)[٥] .

(٧٥) الظاهـــــر :

واسمه تعالى "الظاهر" معناه (العالي الغالب على كل شيء ، أو الظاهر وجوده بالأدلة الواضحة) .[٦]

---

(١) عبدالله بن عمر البيضاوى انوار التنزيل وأسرار التأويل جـ ٥ ص ١١٦ .

(٢) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠ .

(٤) انظر ترجمته ص ٣٢ من هذا البحث .

(٥) محمد بن جرير الطبرى جامع البيان فى تفسير القرآن (بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) مجلد ٩ ، جـ ٢٧ ص ١٢٤ .

(٦) محمد بن على الشوكانى ، فتح القدير جـ ٥ ص ١٦٤ .

(٧٦) الباطـــــــن :

واسمه تعالى " الباطن " معناه (العالم بما بطن . ويجوز أن يكون المعنـــى المحتجب عن الأبصار لا العقول) .(١)

وعن ظهور الله تعالى وبطونه يقول الغـــزالى(٢) (ان الظهور والبطون انما يكون بالاضافة الى الادراكات ، والله تعالى باطن ان طلب عن ادراك الحواس وخزانة الخيال ، ظاهر ان طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال(٣)) .

(٧٧) الوَلِـــــــيّ :

الوَلْي فى اللغة القُرْب يقال جلست مما يليه أى يقاربه .(٤)

واسمه تعالى " الولى " معناه (الذى يلى أمر الخلق ويتولى مصالحهم) .(٥)

(٧٨) المُتعالـــــــى :

من العُلُوّ مثل المتقارب من القرب .(٦)

واسمه تعالى " المتعالى " معناه (البالغ الغاية فى العلوّ والارتفاع عن النقائص(٧)) .

وقيل معناه العلى مع نوع من المبالغة .(٨)

---

(١) المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٦٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٣) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٥ .

(٤) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٦٧٢ .

(٥) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦١ .

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٦١ .

(٧) حسنين محمد مخلوف أسماء الله الحسنى والايات الكريمة الواردة فيها ص ٧٤ .

(٨) انظر أباحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٨ .

(٧٩) البَــــرّ :

يقال فى اللغة : بَرّ الرجل فهو بَارٌ وَبَرّ أى صادق أو تقىّ . ويقال أيضـا : بَرِرْت والدىّ بِرّا أى أحسنت الطاعة لهما . (١)

يقول الزجاج (٢) عن اسمه تعالى " البر " (الله تعالى بَرّ بخلقه فى معنى أنـه يحسن اليهم ، ويصلح أحوالهم) . (٣)

(٨٠) التـــوّاب :

يقال فى اللغة : تاب الى الشىء اذا رَجَعَ . (٤)

واسمه تعالى " التواب " معناه (الذى يرجع الى تيسير أسباب التوبة لعبـاده مرة بعد أخرى بمايظهر لهم من آياته ويسوق اليهم من تنبيهاته ، ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته) . (٥)

(٨١) المنتقِــــم :

النقمة - بكسر النون أو فتحها - فى اللغة معناها المكافأة بالعقوبة (٦)

واسمه تعالى " المنتقم " معناه : (الذى يقصم ظهور العتاة وينكل بالجنـاة ويشدد العقاب على الطغاة (٧)) وهذا بعد البيان والانذار منه تعالى .

---

(١) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٤٣ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦١ .

(٤) انظر المصدر نفسه ص ٦١ .

(٥) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٧ .

(٦) انظر الطاهر احمد الزاوى ترتيب القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٣٣ .

(٧) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٧ .

(٨٢) العَفُوّ :

العَفْو في اللغة المَحْو .(١)

يقول الزجاج(٢) عن اسمه تعالى "العفو" (يقال : عفوتُ عن الشيء ، أعفو عنه اذا تركته . وعفا عن ذنبه ، اذا : ترك العقوبة عليه . والله تعالى عَفُوّ عن الذنوب ، وتارك العقوبة عليها) .(٣)

(٨٣) الرؤوف :

يقول الغزالي(٤) (الرأفة شدة الرحمة فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة)(٥) .

واسمه تعالى " الرؤوف " معناه (المريد للخير والنفع بالعبد) .(٦) فأرشدهم الى ما يرضيه وجعل النعيم الدائم جزاء عملهم .

(٨٤) مالك الملك :

يقول الغزالي(٧) عن معنى اسمه تعالى " مالك الملك " (الملك ههنا بمعنى المملكة ، والمالك بمعنى القادر التام القدرة ، والموجودات كلها مملكة واحدة وهو مالكها وقادرها) .(٨)

---

(١) انظر الطاهر احمد الزاوى ترتيب القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٦٧ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦٢ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٥) ابوحامد الغزالي المقصد الاسنى ص ٦٨ .

(٦) محمد بن عبدالله ابن العربي عارضة الاحوذى جـ ١٣ ص ٤١ .

(٧) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٨) ابوحامد الغزالي المقصد الاسنى ص ٦٨ .

(٨٥) ذو الجلال والاكرام :

الجلال فى اللغة العظمة والكبرياء.[١] وقيل : كَرُمَ الشىء كَرَما ،نَفُسَ وعَـــز.[٢]

واسمه تعالى "ذو الجلال والاكرام" معناه (الذى لا جلال ولا كمال الا وهو له ،ولا كرامة ولا مكرمة الا وهى صادرة منه . فالجلال له فى ذاته ،والكرامـــة فائضة منه على خلقه) .[٣]

(٨٦) المُقْسِـــــط :

وفى اللغة : القِسْط العدل .[٤]

واسمه تعالى " المقسط " معناه (الذى ينتصف للمظلوم من الظالم)[٥]

وزاد الغزالى[٦] بقوله (وكماله فى أن يضيف الى ارضاء المظلوم رضاء الظالم ، وذلك غاية العدل والانصاف ولا يقدر عليه الا الله) .[٧]

(٨٧) الجامـــــع :

واسمه تعالى "الجامع" معناه (المؤلف بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات)[٨]

---

(١) انظر محمد بن على الشوكانى فتح القدير جـ ٥ ص ١٣٦ .

(٢) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٥٣١ .

(٣) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٨ .

(٥) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٨ .

(٦) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٧) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٦٨ .

(٨) المصدر نفسه ص ٦٨ .

كما جمع الله فى الأرض أنواع وأشكال الحيوانات والنباتات وغيرها من مخلوقات وكلها متباينة الألوان والأوصاف والطعوم .

وقيل (الذى يجمع الخلق للحساب) .(١)

(٨٨ و ٨٩) الغَنِىّ ، المُغْنِى :

وفرق الزجاج(٢) بين هذين الاسمين بقوله (الغنى هو المستغنى عن الخلق بقدرته ، وعز سلطانه ، والخلق فقراء الى تطوله واحسانه . . ." والمغنى هو الذى أغنى الخلق بأن جعل لهم أموالا وبنين) .(٣)

(٩٠) المانــــــــع :

يقال فى اللغة : أَمْر ممنوع أى محروم . ويقال امتنع من الأمر ، كَفَّ عنه .(٤)

واسمه تعالى " المانع" معناه (الذى يرد أسباب الهلاك والنقصان فى الأديان والأبدان بمايخلقه من الأسباب المعدة للحفظ) .(٥)

(٩١ و ٩٢) الضار النافــــع :

وأسماه تعالى " الضار ، النافع " معناهما (الذى يصدر منه الخير والشر والنفع والضــــر) .(٦)

---

(١) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ، ص ٦٣ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى ص ٦٣ .

(٤) انظر احمد بن محمد الفيومى المصباح المنير ص ٥٨٠ .

(٥) ابوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ص ٧٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

وقيل معناه (المرشد الى الحق) .(١)

(٩٥) البديـــع :

يقال فى اللغة : أبدعت الشىء ابداعا ، اذا جئت به فردا لم يشاركك فيه غيرك .(٢)

واسمه تعالى " البديع " معناه (الخالق للشىء من غير مثال سبق)(٣)

وقيل معناه (الذى أظهر عجائب صنعته وأظهر غرائب حكمته) .(٤)

(٩٦) الباقـــى :

واسمه تعالى " الباقى " معناه (الذى يدوم وجوده من غير انتهاء)(٥)

والغزالى(٦) فرق بين معنى بقاء الواجب وقدمه فقال (اذا أضيف فـى الذهن الى الاستقبال سمى باقيا ، واذا أضيف الى الماضى سمى قديما) .(٧)

(٩٧) الـــوارث . :

يقال فى اللغة أَوْرَثَه أبوه أى جعله من وَرَثَتِهِ ، وقول القائل : واجعله الــوارث منى أى أبقه معى حتى أموت .(٨)

---

(١) محمد بن جرير الطبرى (بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م) مجلد ٧ جـ ١٧ ص ١٣٤ .

(٢) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسير اسماء الله الحسنى ص ٦٤ .

(٣) محمد بن عبد الله ابن العربى عارضة الاحوذى جـ ١٣ ص ٤٢ .

(٤) حسنين محمد مخلوف أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها ص ٨٢

(٥) محمد بن عبد الله ابن العربى عارضة الاحوذى جـ ١٣ ص ٤٢ .

(٦) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٧) أبو حامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٧١ .

(٨) انظر الطاهر احمد الزاوى ترتيب القاموس المحيط جـ ٤ ص ٥٩٥ .

واسمه تعالى " الوارث " معناه (الذى ترجع اليه الأملاك بعد فناء الملاك)(١)
لأنه هو وحده الباقى بعد فناء جميع المخلوقات ، فاليه مرجع كل شئ .

(٩٨) الرشيـــــــد :

والرُّشْد فى اللغة الصلاح أو اصابة الحق والخير .(٢)
واسمه تعالى " الرشيد " معناه (الذى أرشد الخلق كلهم الى مصالحهم ،
وأرشد أولياءه خاصة الى الجنة وطرق الثواب) .(٣)

(٩٩) الصبـــــــور :

الصَّبر فى اللغة الحَبْـــس .(٤)
واسمه تعالى " الصبور " معناه (الذى لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل
قبل أوانه بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدد لا يؤخرهـــا
عن آجالها المقدرة لها تأخير متكاسل ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل
بل يضع كل شئ فى أوانه على الوجه الذى يجب أن يكون كماينبغى) .(٥)

---

(١) أبوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ص ٧١ .
(٢) انظر احمد بن محمد الفيومى، المصباح المنير ص ٢٢٧ .
(٣) ابراهيم بن السرى الزجاج تفسـير أسماء الله الحسنى ص ٦٥ .
(٤) انظر المصدر نفسه ص ٦٥ .
(٥) ابوحامد الغزالى المقصد الاسنى ص ٧٢ .

ولقد شرحت الأسماء التى شرحها العلماء - الزجاج[١] والغزالى[٢] وابن العربى[٣] وحسنين محمد مخلوف[٤]، وأما ما زاد على ذلك فلم أتعرض لشرحه، بل اكتفيت بذكره كما اكتفوا .

* * *

(١) انظر ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٢) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٣) انظر ترجمته ص ١٦٦ من هذا البحث .

(٤) انظر ترجمته ص ١٩١ من هذا البحث .

٥- دلالة أسماء الله تعالى :

ان توحيد الله تعالى فى أسمائه هو الايمان بكل اسم سمى الله به نفسه وبما دل عليه هذا الاسم من معنى من غير تشبيه ولا تمثيل . ولذلك ينبغى لى أن أكتب هنا عن دلالة تلك الأسماء اجمالا .

أولا :

ان أسماء الله تعالى تدل على صفاته ، وليس شىء من الأسماء يدل على غير الصفات ، ولا شىء من صفاته مخالف لأسمائه تعالى ، بل أسماؤه تدل على صفات كماله . يقول ابن القيم (١) :

(ان أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهى مشتقة من الصفات ، فهى أسماء وهى أوصاف ...) (٢)

ثم يقول : (لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ انه يخبر عنه بأفعالها ، فلا يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد ، فان ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها ، فاذا انتفى أصل الصفات استحال ثبوت أحكامها) . (٣)

ثانيا :

كل اسم من أسمائه تعالى يدل على ذاته والصفة المفهومة من الاسم مع الذات مطابقة وعلى كل واحدة منهما تضمنا ، وعلى غيرها التزاما . يقول ابن تيمية (٤)

---

(١) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٢) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين جـ ١ ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(كل اسم من أسمائه تعالى يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن ، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم) . (١)

ومثال ذلك : (القادر) فانه يدل على الذات الأقدس ، والقدرة ، معا ، دلالة مطابقية ، ويدل على الذات الأقدس وحدها ، دلالة تضمنية ، ويدل على القدرة وحدها ، دلالة تضمنية ، ويدل على الحياة دلالة التزامية .

ثالثا :

ان أسماء الله تعالى لا تقاس بأسماء المخلوقين ، ولكن ليس معناه ان غيره لا يسمى بمثل أسمائه ، فان هناك أسماء مشتركة بينه وبين خلقه ، ولكن المراد بها اذا سمى الله بها نفسه يكون المراد منها غير المراد بها حين يسمى بها الخلق يقول ابن تيمية : (٢)

(.... ولهذا سمى الله نفسه بأسماء ، وسمى صفاته بأسماء ، وكانت تلك الأسماء مختصة به اذا أضيفت اليه لا يشاركه فيها غيره ، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم ، مضافة اليهم توافق تلك الأسماء .... وقد سمى الله نفسه " حيا " فقال : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " (٣) ، وسمى بعض عباده " حيا " فقال " يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي " (٤) وليس هذا الحي مثل هذا الحي ، لأن قوله الحي اسم لله تعالى مختص به . وقوله

---

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، كتاب الايمان ص ١٥٨ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٣) القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الروم آية ١٩ .

" يخرج الحي من الميت " اسم للحي المخلوق مختص به ، انما يتفقان اذا أطلقا
وجردا عن التخصيص ، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل
يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين ، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما
يتميز به الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخالق) .(١)

ولذلك صح عند أهل السنة أنه لا يجوز اطلاق اسم على الله من جهة
القياس(٢) .

رابعا :

ان تعدد الأسماء لا تدل على تعدد الذات ، فالله سبحانه واحد في ذاته
وان تعددت أسماؤه ، يقول القرطبي(٣) (فأسماء الله وان تعددت فلا تعدد
في ذاته . . . ، وانما تعددت الأسماء بحسب الاعتبارات الزائدة على الذات)(٤)
فاذا قيل " الله " فهو الذات الأقدس ، واذا قيل " الرحيم" فهو " الله الرحيم "
واذا قيل " الحكيم " فهو " الله الحكيم " وكذلك سائر أسماء الله تعالى .

٦- اطلاق أسماء الله تعالى :

قال الله تعالى في كتابه العزيز (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) .(٥)

---

(١) احمد بن عبد الحليم بن تيمية الرسالة التدمرية ص ١٤-١٥ .
(٢) انظر ابا منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي أصول الدين الطبعة الثانية (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠) ص ١١٦ .
(٣) انظر ترجمته ص ١١٥ من هذا البحث .
(٤) ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٢ .
(٥) القرآن الكريم سورة الاعراف آية ١٨٠ .

هذا دليل على أن الله تعالى أسماء، وأننا اذا دعوناه يجب علينا أن ندعوه بها . وقد أثبتنا سابقا أن أسماء الله تعالى ليست محصورة فى التسعة والتسعين الواردة فى الحديث .(١)

لذلك اختلف العلماء فى المقصود من الأسماء الحسنى . هل كل اسم يفيد معنى حسنا يجوز لنا أن نطلقه على الله تعالى ؟ أو أنها توقيفية لا يجوز أن نستعمل غيرها، بل ولا أن نشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء له، ما دامت لم ترد بنصها فى الكتاب والسنة ؟ .

ويمكن تلخيص الآراء فيه فى اتجاهين :

الأول : اتجاه الذين قالوا : اذا دل العقل على أن معنى اللفظ مما يجوز اطلاقه على الله جاز اطلاقه عليه وان لم يرد نص .(٢)

والثانى : اتجاه الذين قالوا : ان أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز اطلاق اسم على الله الا ما ورد به الشرع . يقول البغدادى(٣) : (وقال أهل السنة أنها مأخوذة من التوقيف، وقالوا لا يجوز اطلاق اسم على الله تعالى من جهة القياس، وانما يطلق من أسمائه ما ورد به الشرع فى الكتاب والسنة

---

(١) راجع ص ١٢٣ من هذا البحث .

(٢) انظر ابن حجر العسقلانى، فتح البارى جـ ١١، ص ٢٢٣ .

(٣) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادى أبو منصور عالم متفنن، من أئمة الأصول، كان صدر الاسلام فى عصره، ولد فى بغداد، وتوفى سنة ٤٢٩ هـ ومن تصانيفه : أصول الدين، والفرق بين الفرق . الاعلام جـ ٤ ص ٤٨ .

الصحيحة أو أجمعت الأمة عليه) .[١]

وقوم الغزالي[٢] حجته مساندا لهذا الرأى فقال : (انه لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم لم يسمه به أبوه ، ولا سمى به نفسه ، وكذا كل كبير من الخلق ، فاذا امتنع ذلك في حق المخلوقين ، فامتناعه في حق الله أولى) .[٣]

ولكن أصحاب الاتجاهين اتفقوا على أنه لا يجوز اطلاق اسم على الله ولا صفة توهم نقصا حتى ولو ورد فيه نص . يقول ابن حجر العسقلاني[٤] : (واتفقوا على أنه لا يجوز ان يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصا ولو ورد ذلك نصا ، فلا يقال ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وان ثبت في قوله " فنعم الماهدون "[٥] ، أم نحن الزارعون "[٦] فالق الحب والنوى "[٧] ونحوها ، ولا يقال له ماكر ولا بناء وان ورد " مكر الله "[٨] و" السماء بنيناها "[٩]) .[١٠]

---

(١) عبد القاهر البغدادي ، أصول الدين ص ١١٦ .
(٢) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .
(٣) نقله عنه ابن حجر ولم يذكر مصدره ، فتح الباري جـ ١١ ص ٢٢٢ .
(٤) تقدمت ترجمته ص ٩ من هذا البحث .
(٥) القرآن الكريم سورة الذاريات آية ٤٨ .
(٦) القرآن الكريم سورة الواقعة آية ٦٤ .
(٧) القرآن الكريم سورة الانعام آية ٦٥ .
(٨) القرآن الكريم سورة آل عمران آية ٥٤ .
(٩) القرآن الكريم سورة الذاريات آية ٤٧ .
(١٠) ابن حجر العسقلاني فتح الباري جـ ١١ ص ٢٢٣ .

وأنا أختار الاتجاه الثاني وهو رأى أهل السنة القائل بأنه لا يجوز أن يطلق على الله اسم لم يطلقه هو ولا رسوله عليه ، لأن عقولنا عاجزة عن ادراك الكمال اللائق بجلال الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه هو الذى يعلم نفسه ويعلم ما يليق به . يقول الغـــزالى (١) :

(والتسمية أعنى وضع الاسم تصرف فى المسمى ، ويستدعى ذلك ولاية ، والولاية للانسان على نفسه أو على عبده أو ولده ، فلذلك تكون التسمية الى هوءلاء ولذلك لو وضع غير هوءلاء اسما أنكره المسمى ، وغضب عليه ، واذا لم يكن لنا أن نسمى انسانا أى لا نضع له اسما فكيف نضع لله اسما ؟) (٢) .

فبالتوقيف نعرف بالصواب ما سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم . وهذا ما ذهب اليه أبو الحسن الأشعرى (٣) كما حكاه الغزالـــى (٤) بقوله : (والذى ذهب اليه الشيخ أبو الحسن الأشعرى رحمة الله عليه ان ذلك موقوف على التوقيف ، فلا يجوز أن يطلق فى حق الله ما هو موصوف بمعناه الا اذا أذِنَ فيه) (٥) .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٢) أبو حامد الغزالى ، المقصد الاسنى ص ٨٤ .

(٣) هو على بن اسماعيل بن اسحاق ، أبو الحسن ، موءسس مذهب الاشاعرة ، كان من الائمة المتكلمين المجتهدين . ولد فى البصرة سنة ٢٦٠ ، وتوفى فى بغداد سنة ٣٢٤ . ومن كتبه مقالات الاسلاميين ، الاصابة عن أصول الديانة وغيره . الاعلام جـ ٤ ص ٢٦٣ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٥) أبو حامد الغزالى ، المقصد الاسنى ص ٨٣ .

والغزالى[١] نفسه وافق الرأى القائل بأن أسماء الله توقيفية فقال :

(كل ما يرجع الى الاسم - يعنى اسم الله تعالى - فذلك موقوف على الاذن)[٢]

أى على الشرع .

ومن أسماء الله تعالى ما لا يطلق عليه من غير اقترانه بمقابله أو اقترانه بالاضافة ، والا أوهم نقصا ، كاسم الله تعالى " المعطى المانع " و " النافع الضار " و " المعز المذل " وغيره ، فلا يجوز أن نطلق على الله " المانع " ولا " الضار " ولا " المذل " لأنه لا يعبر عن الكمال اللائق بالله تعالى بل ربما أوهم نقصا .

كما لا يجوز أن يقال له " شديد " منفردا ، ولا ينبغى أن يقال فى سؤال الرحمة " ياشديد العقاب " بدون اقترانه ، بل يجوز فى سؤال انزال الخسف والمسخ للكافرين .

وهكذا ، ينبغى المناسبة بين الاسم والمدعو به .

وفى القرآن الكريم نسبة أفعال الى الله بمناسبة الجزاآت التى يوقعها على العصاة من عباده كقوله (نسوا الله فنسيهم)[٣] فلا يجوز ان يطلق على الله انه " ناسى " ، وكقوله : (الله يستهزئ بهم)[٤] فلا يجوز أن يطلق على الله انه مستهزئ " ، وذلك خوفا من اللبس والتشبيه .

وأخيرا ، فانه لا يجوز تسمية الخلق بأسماء الله الخاصة به ، كالتسمية

---

(١) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٢) أبوحامد الغزالى ، المقصد الاسنى ص ٨٤ .

(٣) القرآن الكريم سورة التوبة آية ٦٧ .

(٤) القرآن الكريم سورة البقرة آية ١٥ .

بالاله ،أو الرحمن ،أو الخالق ،أو الرزاق أو المحى أو المميت وغيره .

ولكنه يجوز تسمية الخلق بما خرج من معانى الأسماء الخاصة لله تعالى كالتسمية بالحى ،والعالم ،والكريم وغيره .(١)

٧- أنــــواع صفــات اللـــه تعالــــى :

وقد ثبت فيما سبق أن لله تعالى أسماء ،وهذه الأسماء تدل على الصفات التى تليق بجلاله تعالى وعظمته .

ان الصفات التى وردت فى الكتاب والسنة نوعان : صفات ذاتية ،وصفات فعليـــة .

فأما الصفات الذاتية (فهى التى لا تنفك عن الله)(٢) كالعين والنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه ....

والصفات الفعلية (هى التى تتعلق بالمشيئة و القدرة(٣)) كالاستواء النزول ،المجىء ،العجب ،الضحك ،الرضى ،الحب ،والكره ...

والواجب اثباته لله تعالى من كل نوع هو ما يليق بذاته تعالى من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف .(٤) يقول الامام الشافعى(٥) : رضى الله عنه (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ،وآمنت برسول الله وبما جـاء

---

(١) انظر عبد القاهر البغدادى أصول الدين ص ١٢٢ ، ١٢٨ .
(٢) عبد العزيز المحمد السلمان ،الاسئلة والأجوبة الأصولية ص ٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ص ٥٨ .
(٥) انظر ترجمته ص ٢٩ من هذا البحث .

عن رسول الله على مراد رسول الله) .(١)

٨- صفات الله تعالى كلها كمالات :

اذا نظرنا الى هذا الكون وما فيه من بدائع الحكم ، وغرائب المخلوقات ودقيق الصنع والاختراع ، نعرف أن صانعه لابد أن يكون متصفا بكل صفات الكمال .

فالله تعالى له صفات ، وهذه الصفات كلها كمالات ، بريئة من سمات النقصان . وهذا يجب لذاته ، بحيث لا يكون هناك كمال الا والله تعالى متصف به ، لأنه كلما كان للمخلوق كمال ويمكن أن يتصف الله بذلك الكمال ، فالله متصف به بالدرجة التي تليق به . وكل نقص تنزه عنه المخلوق ، فالله تعالى أولى بالتنزه عنه . يقول ابن القيم(٢) : (ان أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء ، وهي أوصاف ، وبذلك كانت حسنى)(٣) ويقول ابن تيمية(٤) : (وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فان الله منزه عنه حقيقة ، فانه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه) .(٥)

وأهل السنة والجماعة اتفقوا على أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي جاء بها الكتاب والسنة .(٦)

---

(١) هذا الكلام ذكره عبد العزيز المحمد السلمان في الاسئلة والاجوبة الأصولية ص٩٥

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٣) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ج١ ص٢٨ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية ج٥، ٢٦ .

(٦) انظر عبد الرحمن بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي ، الدرر السنية

٩ـ أدلة توحيد أسماء الله تعالى وصفاته :

وهذه الأدلة جعلتها فى قسمين :

أ - أدلة نقلية . ب - أدلة عقليـــــة .

أما الأدلة النقلية فهى :

١ـ القـــرآن الكريـــــم :

فتوجد فى القرآن الكريم أدلة كثيرة تبين أن الله تعالى أسماء وصفات تليق بجلاله وعظمته ولا يشبهها شئ ولا هى تشبه شيئا . وتكاد لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم عن ذكر اسم من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته . وأذكـر هنا بعضا منها :

قال الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)[(١)] . فأخبر الله تعالى أن له أسماء وكلها حسنى ، ثم اوعد وهدد بالعذاب من ألحد فى تلك الأسماء . والالحاد هـو العدول عما سمى الله به نفسه من أسماء أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلـم يقول الطبرى[(٢)] عن الحاد المشركين فى أسمائه تعالى : (انهم عدلوا بها عما هى عليه)[(٣)] .

= فى الأجوبة النجدية ، الطبعة الثالثة (بيروت ، دار العربية للطباعـة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) جـ ٢ ص ٣٢٩ .

(١) القرآن الكريم سورة الاعراف آية ١٨٠ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٢ من هذا البحث .

(٣) محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م مجلد ٥ جـ ٩ ص ٩١ .

ثم بين الله تعالى أن هذه الأسماء والصفات لا يماثلها شيء فقال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [١] .

فكل ماثبت لله تعالى من الأسماء والصفات لا يماثل شيئا من خلقه ولا يماثله شيء من خلقه ، فكل أسمائه تعالى وصفاته مختصة به لا يشركه فيها شيء .

وقال الله تعالى (قل هو الله أحد) [٢] . يقول البيضاوي [٣] في معنى قوله " أحد " : (و " أحد " بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد ومايستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية) [٤] .

وقال الله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) [٥] أي لم يكن له ما يماثله ولم يكن له شبيه ولا عدل سواء في أسمائه أو صفاته ، يقول البيضاوي [٦] (أي ولم

---

(١) القرآن الكريم سورة الشورى آية ١١ .

(٢) القرآن الكريم سورة الاخلاص آية ١ .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، أبو الخير ، ناصر الدين البيضاوي ، قاض ، مفسر ، علامة . ولد في المدينة البيضاء . توفي في تبريز سنة ٦٨٥ هـ . ومن كتبه أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وطوالع الأنوار ، وغير ذلك . الاعلام جـ ٤ ص ١١٠ .

(٤) عبد الله بن عمر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، جـ ٥ ص ١٩٩ . ويلاحظ أن بعض ما ذكره لا يتفق ومذهب السلف .

(٥) القرآن الكريم سورة الاخلاص آية ٤ .

(٦) تقدمت ترجمته ص ٢٠٥ من هذا البحث .

يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها .)[1]

وقد بينت سابقا أن هناك نوع تشابه فى اطلاق الأسماء أو الصفات بين الله وخلقه ، ولكن هذا التشابه ليس حقيقيا ، فهو اشتراك لفظى فقط ، ولا يعنى مماثلة ذاته تعالى وصفاته للمخلوق . يقول ابن تيمية[2]: (واتفاقهما - أى الأسماء والصفات بين الله والخلق - فى اسم عام : لا يقتضى تماثلهما فى مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتخصيص والتقييد ولا فى غيره)[3] .

٢- الأحـــاديث النبويـــة :

ان هناك أحاديث صحيحة تبين أن الله تعالى له أسماء ومتصف بصفات ومن هذه الأحاديث ما يأتى :

عن أبى ذر[4] رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال (باسمك نموت ونحى ...)[5] .

وعن عائشة[6] رضى الله عنها قالت : قالوا يا رسول الله ان هنا أقواما

---

(١) عبد الله بن عمر البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ ٥ ، ص ٢٠ .

(٢) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية جـ ٣ ص ١٠ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٢ من هذا البحث .

(٥) رواه البخارى ، انظر فتح البارى جـ ١٣ ص ٣٧٩ .

(٦) هى عائشة بنت أبى بكر الصديق ، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب . كانت تكنى بام عبد الله . ولدت سنة ٩ ق هـ . تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية بعد الهجرة ، فكانت أحب نسائه اليه

==

حديثا عهد هم بشرك يأتونا بلُحْمان ،لا ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا ، قال (اذكروا أنتم اسم الله وكلوا)[١] وغيرذلك .

فالحديثان يدلان على أن لله تعالى أسماء .

ومما يدل على أن الله تعالى متصف بصفات قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس[٢] رضى الله عنهما (أعوذ بعزتك الذى لا اله الا أنت الذى لا يموت ....)[٣]. عرفنا من الحديث أن الله تعالى متصف بالعزة والوحدانية والحياة ،وهو المسمى بالعزيز والواحد والحى .... الخ .

وروى أبوهريرة[٤] رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ...)[٥]. فالله سبحانه هو القابض يوم القيامة ،وهو الملك . فالقابض والملك يدلان أن هناك صفات وأسماء أخرى تكمل هذين الاسمين ،فلا يكون ملكا الا اذا كان متصفا بالقدرة والعظمة والكبرياء وغيرها .

وغيرذلك من الأحاديث التى تشير الى هذه الأسماء والصفات .

= وأكثرهن رواية للحديث عنه . توفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ. الاعلام جـ ٣ ص ٢٤٠ .

(١) رواه البخارى انظر فتح البارى جـ ١٣ ص ٣٧٩ .

(٢) انظر ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٣) رواه البخارى انظر ابن حجر العسقلانى فتح البارى جـ ١٣ ص ٣٦٨ .

(٤) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

(٥) رواه البخارى ،انظر ابن حجر العسقلانى فتح البارى جـ ١٣ ص ٣٦٧ .

٣- **أقـــوال السلـــف الصالـــح :**

والسلف الصالح من الأمة أقروا وآمنوا بأسماء الله تعالى وصفاته التـــى أثبتها الله لنفسه أو أخبرعنها رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تأويل أو تكييف لأن التأويل يوءدى الى التعطيل ،والتكييف يوءدى الى التشبيه ،والله تعالى منزه عن ذلك كله . يقول ابن تيمية :[١] (فطريقتهم -أى السلف الصالح - تتضمن اثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه وتنزيهـــا بلا تعطيـــــل) .[٢]

ثم يقول ابن تيمية :[٣] (فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم ،اذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى فى أحكـــام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا فى الفروع ،ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنقل الينا كما نقل سائر الاختلاف ،فاستقر صحة ذلك عنـــد خاصتهم وعامتهم ،حتـــى أدوا ذلك الى التابعين لهم باحسان ،فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين ،حتى نقلوا ذلك قرنا بعد قرن) .[٤]

وأكد ابن قدامه[٥] من السلف الصالح هذا الموقف فى الأسماء والصفات

---

(١) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية جـ ٣ ص ٣ .

(٣) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية جـ ٥ ص ٧١ .

(٥) هوسليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقى الدين ،ابن قدامة ،المقدسى فقيه حنبلى ،مقدسى الأصل ،ولد سنة ٦٢٨ هـ فى دمشق ،وتوفى فيها سنة ٧١٥ هـ ،كان مسند الشام فى وقته . الاعلام جـ٣ ص ١٢٤ .

فقال : (وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلق رضى الله عنهم ، كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات فى كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرُّض لتأويله) . (١)

وروى عن الامام أحمد بن حنبل (٢) أنه قال فى قول النبى صلى الله عليه وسلم "ان الله ينزل الى سماء الدنيا ...." (٣) وما أشبهه من أحاديث .

(نؤمن بها ونصدق بها ، ولا كيف ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ولا غاية ، "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير" . (٤) ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا يبلغه وصف الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله - محكمه ومتشابهه - ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ولا نتعدى القرآن والحديث) . (٥)

بهذا يتضح أن الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من السلف الصالح

---

(١) ابن قدامة المقدسى ، لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٩٧) ، ص ١٠ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢٢ من هذا البحث .

(٣) والبخارى روى الحديث كمايلى : "يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ....." الحديث .
انظر ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، ج ١١ ص ١٢٩ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الشورى ، آية ١١ .

(٥) ذكره ابن قدامه المقدسى ، فى لمعة الاعتقاد ، ص ١٠ .

لم يسلكوا طريق التأويل والتعطيل ، أو التكييف والتشبيه فى فهم أسماء الله تعالى وصفاته ،ولكنهم قرروا ما قرره كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص .(١)

(ب) الأدلة العقلية على توحيد الأسماء والصفات :

يرى حسن البنا(٢) أن اثبات صفات الكمال المطلق لله تعالى صار فى حكم البديهيات التى لا تحتاج الى دليل أو برهان ،ولا يطالب بالدليل الا مكابر مريض القلب لا يجديه دليل .(٣)

ولكن من لم تسعفه البديهة قد يسعفه الدليل ،لهذا أسوق بعض الأدلة .

١ - ان الله تعالى أخبر أن الناس لا يحيطون بكل شىء علما ،فقال الله تعالى : (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء).(٤) فعقل الانسان وادراكه محدودان تماما ،واذا تصرفنا فى أسماء الله تعالى أوصفاته بعقولنا

---

(١) راجع ص ١١٦ من هذا البحث .

(٢) ولد فى المحمودية بمصر سنة ١٩٠٦م . نشأ فى بيت عريق فى العلم والدين ،تخرج من دار العلوم بتفوق لا نظير له ،موءسس الاخوان المسلمين ،توفى فى القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ . وكان من أبرز الخالدين فى تاريخ الاسلام فى القرن العشرين .
الموسوعة الحركية ،لفتحى يكن ،الطبعة الاولى ،بيروت ،موءسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ،جـ ١ ص ٥٣ - ٥٥ .

(٣) حسن البنا ،العقائد (القاهرة ،مطبعة دار النصر للطباعة الاسلامية) ص ٥٠ .

(٤) القرآن الكريم ،سورة البقرة آية ٢٥٥ .

فلن يؤدى ذلك الا الى الضلال ،لأن معرفة أسمائه تعالى وصفاته متوقفة على الاحاطة بذاته تعالى ،وذلك غير ممكن للمخلوقات .

ثم ان من زعم لله غير ماسمى أو وصف به نفسه أو أخبره به رسوله صلى الله عليه وسلم كان جاهلا ،كمايقول الشوكانى (١): (ان كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل ،مخلوط بخلوط هى منافية للعلم ومباينة له) (٢) .

ان المرجع الصحيح فى أسماء الله تعالى وصفاته هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ،وليس العقل .

٢ - ان الله تعالى هو الخالق الواحد الذى لا يتعدد ،فهو الواحد الذى لا يشبهه شئ ولا يشبه شيئا ،فهو واحد فى ذاته . فاذا كان واحدا فى ذاته ،فكل ما وصف به الذات من صفات فهو واحد أيضا ،لا يشبهها شئ ولا هى تشبه شيئا ،لأن الصفة تابعة للذات ،يقول محمد عبده (٣): (ان الصفة تابعة لمرتبة الوجود ،وليس فى الموجودات مايساوى واجب الوجود فى مرتبة الوجود فلا يساويه فيما يتبع الوجود من الصفات) (٤) .

فاذا كانت ذاته لا تماثل شيئا ولا يماثلها شئ فكذلك صفاته . واذا ثبت ذلك فى صفاته ،ثبت أيضا فى أسمائه تعالى ،لأنها دالة على الذات ،فهى بمنزلة الصفات .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٨٤ من هذا البحث .

(٢) عبدالله حجاج ،عقيدة الفرقة الناجية ،ص ٢١ .

(٣) انظر ترجمته ص ١٥ من هذا البحث .

(٤) محمد عبده ،رسالة التوحيد ،ص ٦٤ .

٣ - ان الله تعالى الخالق لهذا الكون ، متصف بصفات الكمال ، فكيف أوجد هذا الكون وما هو عليه من الكمال اللائق به ؟ كيف أوجد فى الناس مثلا علما وقدرة وارادة ، اذا كان هو ذاته عاريا من تلك الصفات ؟ ان من المقرر أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال/ فالخالق أولى به ، لأنه أكمل منه . يليق بذاته تعالى

٤ - ومن نفى صفة من صفات الله تعالى خوفا من التشبيه فهذا معناه أنه قد شبه تلك الصفة بما علم من صفات المخلوقين ، مع أن الله تعالى ليس كمثله شىء ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله .

فاذا كان الله تعالى ليس كمثله شىء فمن أين جاء التشبيه ؟ يقول ابن تيميه (١) (واذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة فى نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال ، لا يماثلها شىء ، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت فى نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التى لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم) . (٢)

ان الخوف من التشبيه لا يبرر الأخذ بالنفى والتعطيل ، لأن اللفظ الوارد فى حق الله تعالى لا يراد به المعنى المستعمل فى حق المخلوقين . وان النفى والتعطيل من الالحاد فى أسمائه تعالى ، وقد حذر الله تعالى منه بالعذاب فقال الله تعالى : (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) . (٣)

ولذلك يجب الاقرار بأسماء الله تعالى وصفاته وامرارها على ظاهرها بدون تأويل أو تعطيل أو تشبيه أو تكييف .

---

(١) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .
(٢) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الرسالة التدمرية ، ص ٢٩ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .

الفصـــل الرابـــع

العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثـــة

وبعد أن شرحت أنواع التوحيد الثلاثة وهي توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الأسماء والصفات ومايتعلق بها من أمور ، فأريد أن أبين العلاقة بين هذه الأنواع ، فهل ينفصل أحدها عن الآخر أو لا ينفصل ؟ .

ولعل البيان التالي يوضح أن أحدا منها لا ينفك عن الآخر ، بل كلها مترابطة متكاملة .

أولا :

يقول ابن القيم [١] (فان أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقى الى توحيد الالهية) [٢] فتوحيد الربوبية كأنه باب لتوحيد الالهية .

والقرآن الكريم في أكثر آياته يحتج بخلق السموات والأرض وغيرها من المخلوقات على أن الله تعالى هو الاله الواحد المعبود بحق ، لا يشاركه في العبادة غيره قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق . . .) [٣] .

وفي الآية اثبات أن الله تعالى هو الرب الواحد في الخالقية وهو وحده

---

(١) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٢) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، جـ١ ، ص ٤١١ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية ٣١ - ٣٢ .

الرازق والمحى والمميت . . . وغير ذلك . وكان ذلك مقتضيا لأن يقول : " أفلا تتقون " الذى يفيد ضرورة توحيد الالهية .

وقال الله تعالى : (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل) . (١)

وفى الآية يبين الله تعالى انه هو الخالق لجميع الموجودات كالسموات والأرض ، لم يخلقهما غيره ، ولم يشترك معه فى خلقهما غيره . ثم يثبت الله أن المستحق للعبادة هو ، لا غيره ، لذلك قال " فاعبدوه " .

ومن المعروف بداهة أن بديع السموات والأرض وخالق كل شىء لابد أن يتصف بكل صفات الكمال . فمن لم يتصف بجميع صفات الكمال يستحيل أن يكون خالقا لهذه الموجودات كلها .

ومن هذا يتضح أن العلاقة والترابط واقعان بين أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الالهية و توحيد الأسماء والصفات .

ثانيا :

يقول المقريزى (٢) : (فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها ، وتوحيد الالهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين) (٣) أى أن الايمان بالله تعالى لا يكفى فيه الاقرار بأن الله تعالى واحد فى الخالقية أو الربوبية

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الانعام ، آية ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) انظر ترجمته ص ٦ من هذا البحث .

(٣) احمد بن على المقريزى ، تجريد التوحيد ، (مكتبة السلام العالمية) ص ٥ .

فقط ، فانه ليس هناك فرق بين المشركين والمؤمنين في ذلك .

فالمشركون أقروا بتوحيد الله في الخالقية والربوبية كما قال تعالى :
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله)(١)
ولكنهم بعدما أقروا بتوحيد الله تعالى في الخالقية والربوبية انصرفوا عن توحيد الله في العبادة وظلوا مشركين به غيره فيها ، فقال تعالى (وكأيّ من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله الاّ وهم مشركون) .(٢)

ان المشركين أقروا بان الله هو الخالق الرازق .... الخ ، ولكنهم أشركوا بالله تعالى في عبادتهم له غيره باتخاذهم أربابا من دونه فنفى الله عنهم الايمان . يقول ابن تيمية (ان مجرد الاقرار بالله رب كل شيء لا يكون توحيدا) .(٣)

اذن ، فلا يكفي ليكون المرء مؤمنا ، أن يوحد الله تعالى في الربوبية بل لابد أن يؤمن بالوحدة في الربوبية والالهية والأسماء والصفات .

ثالثا :

يقول ابن تيمية(٤) (ان الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل ما ينزه عنه ، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحدا ، بل ولا مؤمنا

---

(١) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية ٦١ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، آية ١٠٥ - ١٠٦ .
(٣) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ، جـ٥ ص ١٢٨ .
(٤) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

حتى يشهد أن لا اله الا الله ، فيقر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة)[١].

من هذا تعلم أنه لابد أن يجتمع فى قلب المرء وعلى لسانه توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الأسماء والصفات حتى يكون مؤمنا ايمانا صحيحا ، فاذا أخل بشيء منها لا يكون مؤمنا ، لأنه لم يوف الله حقه من الكمال ولأن من البداهة أنه بعد اثبات الخالقية لله تعالى وحده لزم أن يتصف بصفات الكمال ، وذلك الكمال ربوبيته ، اذ يستحيل ثبوت الربوبية والخالقية والرازقية وغيرها لمن لا يتصف بالحياة ولا بالسمع ولا بالقدرة ... الخ أو من يتصف بالجهل أو العجز أو غير ذلك . فواضح أن توحيد الأسماء والصفات لا ينفصل عن توحيد الالهية وتوحيد الربوبية .

رابعا :

يقول الاستاذ عبد العزيز المحمد السلمان[٢] (فهذه الأنواع الثلاثة - أى توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الأسماء والصفات - متكافلة متلازمة يكمل بعضها ببعض ولا ينفع أحدهما بدون الآخرين . فكما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية ، فكذلك لا يصح توحيد الالهية بدون توحيد الربوبية فان من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا فى عبادته ولكنه اعتقد مع ذلك أن لغيره تأثيرا فى شيء أو قدرة على ما لا يقدر عليه الا الله أو أنه يملك ضر العباد أو نفعهم ونحو ذلك فهذا لا تصح عبادته ، فان أساسها الايمان بالله ربا

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه مدرس فى معهد امام الدعوة بالرياض ، المملكة العربية السعودية .

له شئون الربوبية كلها ، وكذلك من وحد الله فى ربوبيته والهيته لكنه ألحد فى أسمائه فلم يثبت له ما دلت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال أو أثبت لغيره مثل صفته لم ينفعه توحيده فى الربوبية والالهية ، فلا يكمل لأحد توحيده الا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة) .(١)

(١) عبدالعزيز المحمد السلمان ، الأسئلة والأجوبة الأصولية ، ص ٣٦ .

الباب الثاني

دعائم التوحيد

وبعد أن انتهيت من بحث التوحيد وأنواعه الثلاثة ، توحيد الربوبية ، توحيد الالهية ، توحيد الأسماء والصفات ، ففي هذا الباب أقدم ماسميته " دعائم التوحيد " التي تبين أن التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها منذ خلقهم ، فمن عدل عن التوحيد فقد انحرف عن فطرته التي خلق عليها . وان التوحيد أساس دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ان التوحيد لا يتنافى مع العقل ، بل العقل يؤيده ، ولهذا جاء القرآن الكريم بحججه الداحضة لافحام القائل ان هنات آلهة غير الله تعالى .

كما سنرى أن تقدم العلم وما وصلت اليه الاكتشافات الحديثة تدل على أن صانع هذا الكون واحد ، وهو ربه والهه ، لا يشاركه غيره في جميع أحواله ، ذاتا كانت أو صفة أو فعلا .

ونظرا الى هذه المواضيع جعلت الباب أربعة فصول :

الفصل الاول : التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها .

الفصل الثاني : التوحيد في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث : دفاع القرآن عن التوحيد .

الفصل الرابع : التوحيد والاكتشافات الحديثة .

الفصـــل الأول

التوحيد فطرة الله التى فطر الناس عليها

١- الفطرة تعترف بوجود الله تعالى :

ان كل عاقل مجبول على حب الاستطلاع ومعرفة الأشياء حتى ما وراء الطبيعة . وكذلك مجبول على الرغبة فى معرفة نظم الأشياء ومبادئها ومقتضياتها وغاياتها ، وحقائق كل شيء ، سواء منها ما يشاهده وما لا يشاهده .

ان فطرة الانسان تشعر بأن هناك خالقا يتوجه اليه كل انسان . فتتوجه هذه الفطرة الى القوة العظمى حيث تشعر أن هناك قوة تسيطر على هذا الكون كله . فوجود الله تعالى واضح فى فطرة الانسان . يقول ابن قيم الجوزيــة[1]: (ان معرفة الله تعالى واضحة وظاهرة لا تحتاج الى جهد ، لأنها مقتضى الفطـــرة)[2] .

ولذلك ثبت فى تاريخ البشر أنهم لما ساروا على مقتضى هذه الفطـــرة طلبوا معرفة ما هم به شاعرون ، فذهبوا فيه مذاهب شتى ، فمنهم من وحد تلك القوة الخالقة ، ومنهم من جعلها أكثر من واحد ، ومنهم من نسب اليها شيئــا لا يليق بها ، فصارت الفطرة من مصادر معرفة الانسان بربه وايمانه به . يقــول يوسف القرضاوى[3]:

(ان الانسان ـ سواء أكان جاهلا أم عالما ـ لو جرد نفسه من آثار الوراثات

---

(١) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٢) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ .

(٣) انظر ترجمته ص ١٠٦ من هذا البحث .

المختلفة ومما من ذ هنه كلمايربطه بالمكان الذى يعيش فيه ، والمذهب الذى ينتمى اليه ، ثم تفكر بعد ذلك فى الكون وفى نفسه ، لا ندفع بفطرته وطبيعته اندفاعا اضطراريا ليجد نفسه ساجدا خاشعا أمام ربه العلى العظيم) .(١)

ان الفطرة دفعت الانسان الى الاعتقاد بضرورة وجود خالق لهذا الكون وهو الذى أبدع كل شئ ، وجعل فيه نظما وقوانين تسير على وفقها الكائنات ليقوم كل بواجبه حسب ماخلق له ، وينتهى الى الغاية التى خلق لها . والله تعالى أخبر عن أثر هذه الفطرة بقوله : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله)(٢) وقوله تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله) .(٣) فالله الخالق موجود ، ومعرفته مركوزة فى فطرة كل انسان .

٢- التوحيد ميثاق بين الانسان وربه :

وقد أودع الله الخالق فى فطرة الكيان البشرى الاعتراف بربوبيته وحده . وبهذا الاعتراف شهدوا به على أنفسهم .

والقرآن الكريم أخبر بأن الله تعالى أخذ الميثاق والشهادة من ذرية آدم بربوبيته تعالى وحده ، فقال : (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، أوتقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون .)(٤) أخبر الله تعالى أنه (استخرج ذرية

---

(١) يوسف القرضاوى ، وجود الله ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٧١ ، ص ٢٠-٢١

(٢) القرآن الكريم ، سورة الزخرف آية ٨٧ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة يونس آية ٣١ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٧٢ - ١٧٣ .

بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم ، وأنه لا اله الا هــو .) (١)

ان التوحيد ميثاق كل انسان مع ربه ، فليس لأحد حجة فى انكار هذا الميثاق .

ولأجل توكيد هذا الميثاق أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين ، والناس يحتاجون الى هذا التبشير والتحذير ، لأن فطرهم يعتريها التغيير والتبديل . يقول ابن قيم الجوزية (٢) (فالقلوب مفطورة على حب الهها ، وفاطرها وتأليهــه . فصرف ذلك التأله والمحبة الى غيره تغيير للفطرة . ولما تغيرت فطر النــاس بعث الله الرسل بصلاحها وردها الى حالتها التى خلقت عليها) . (٣)

ان التوحيد ميثاق معقود بين الله وبين خلقه من قبل ارسال الرسـل ، وهو مفطور وموجود فى كل انسان منذ نشأته . يعترف بأن الله هو الرب الخالق الواحد المسيطر على جميع ما فى الكون ، ويصرفه كيف يشاء .

٣ـ أبحاث عن اعتراف الفطرة بالتوحيـــــد :

هناك أبحاث واكتشافات تؤيد أن فطرة الانسان توحد الله تعالـــى ، وان الشرك حادث طارئ عليها .

---

(١) اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٣) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، جـ ٢ ص ١٥٨ .

ذكر محمد عبد الله دراز[١] أن الباحثين أثبتوا : (أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، مستدلا بأنها لم تنفك عليها أمة من الأمم في القديم والحديث . فتكون الوثنيات ان هي الا اعراض طارئة ، أو أمراض متطفلة ، بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة . وهذه هي النظرية " فطرة التوحيد وأصالته " هي التي انتصر لها جمهور من علماء الأجناس ، وعلماء الانسان ، وعلماء النفس) .[٢]

وبعد أن شرح محمد عبد الله دراز[٣] سير الديانات المعروفة منذ طفولة التاريخ الى اليوم قال : (... ألا واننا نعرف بالاستقراء أن كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية ، ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على طول العهد) .[٤]

وقد قام العلماء في البحث عن حياة البدائيين في افريقيا واستراليا وآسيا .... فوصلوا الى نتائج منها : أن هناك صلة كاملة بين الفطرة والتوحيد .[٥]

---

(١) ولد في عام ١٨٩٤م ، حصل على الشهادة العالمية في عام ١٩١٦م ، ونال دكتوراه الدولة من السوربون في عام ١٩٤٧ ، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء في عام ١٩٤٩ ، وغير ذلك ما حصل عليها . توفي أثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي في لاهور سنة ١٩٥٨ . انظر ، محمد عبد الله دراز الدين ، الطبعة الثانية ، (دار القلم ، كويت ، ١٣٩٠هـ) ص ٨ .

(٢) محمد عبد الله دراز ، الدين ، الطبعة الثانية ، (كويت ، دار القلم ، ١٣٩٠هـ) ص ١٠٧ .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٢٢ من هذا البحث .

(٤) محمد عبد الله دراز ، الدين ، ص ١١١ .

(٥) على سامي النشار ، نشأة الدين ، (مطابع عابدين ، الاسكندرية ، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩) ص ١٩٧ .

ووصل بعض الباحثين الى أن الذى دفع البدائيين الى اعتناق فكرة الاله الاسمى (لم يكن نتيجة توجههم نحو فكرة العلة ، أى وجود علة للأشياء انما ليعاونهم فى تحقيق مطالب الحياة ، والحصول عليها . كان البدائى يشعر بأنه فى حاجة الى النجدة والعون ، وأنه بدون " الاله العظيم " لن يصل الى شىء على الاطلاق .)[1]

وحتى العرب الجاهليون أثبتوا أن الله هو خالق العالم والانسان ، بيده مصائر كل شىء ، فقال بروكلمان[2] : (ان العرب قبل الاسلام كانت لديهم فكرة واضحة عن اله واحد ، وأنها فكرة فطرية فى العالم السامى العربى)[3] .

واستدل بروكلمان[4] على هذا الرأى (بأن التعبير " الرحمن " عرف فى الجاهلية ، ولهذا ينبغى أن يثق الناس فى رحمته ، وأن يحمدوه على نعمته .. " وأن التعبير " الحمد لله " عرف أيضا فى عصور ما قبل الاسلام ، أى فى العصر الجاهلى)[5] .

---

(١) على سامى النشار ، نشأة الدين ، ص ٢٠٢ .

(٢) وهو كارل بروكلمان ، ولد فى روستوك فى عام ١٨٦٨م . وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين . طارت له شهرته فى فقه العربية وقراءتها وكتابتها ، وفى التاريخ الاسلامى ، وتاريخ الأدب العربى ، وعين أستاذ فى جامعات : برسلاو ، وكونسبرج وبرلين وغيرها . انظر نجيب العقيقى المستشرقون ، الطبعة الثالثة ، (مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٥م) ، جـ ٢ ص ٧٧٧ .

(٣) ذكره على سامى النشار فى كتابه " نشأة الدين " ص ١٩٨ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٢٣ من هذا البحث .

(٥) ذكره على سامى النشار فى كتابه " نشأة الدين " ص ١٩٩ .

كما وصل بعض الباحثين [١] الى (أنه لا فارق بين توحيد البدائيين والتوحيد الحديث . فقد آمن البدائيون تماما بوجود قوة عليا سامية ، وقد ارتبطت هذه القوة بالسماء أو بالشمس ، وساد الاعتقاد بها أقدم الأجناس البشرية) [٢] .

هذه الأبحاث تثبت أن الاعتقاد بوجود اله واحد قد ساد البشرية عبر التاريخ ، لأنه من فطرة البشر . وهذا الاله متصف بالكمال المطلق ، هو وحده المسيطر والمتصرف في هذا الكون .

اذن ، الاعتراف بربوبية الله تعالى وحده في هذا الكون فطرة في الكيان البشري ، فطرة أودعها الله في هذا المخلوق الانساني .

٤ـ كل مولود يولد على الفطرة :

تبين دلالة الكتاب والسنة وأقوال العلماء على أن الناس مفطورون على معرفة الله والاقرار به ومحبته والخضوع له ، وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها [٣] .

ومن دلالة القرآن الكريم قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله . . .) [٤] يقول

---

(١) منهم سوانتون ، انظر المصدر السابق ص ٢٠٣ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٣) انظر ، ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص ٣٠٢ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية ٣٠ .

اسماعيل بن كثير [١] فى تفسير الآية : (فسدد وجهك واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ، ملة ابراهيم الذى هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا اله غيره) [٢] فأودع الله هذه الفطرة فى الانسان لينشأ عليها .

ومن دلالة السنة النبوية قول النبى صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه ...) [٣] ومعناه أنه (ليس المراد بقوله صلى اللهعليه وسلم " يولد على الفطرة " انه خرج من بطن أمهيعلم الدين ..... ، وانما المراد أن كل مولود يولد على اقراره بالربوبية فلو خلى وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك الى غيره) [٤] .

ويؤيد هذا المعنى ماذكره النووى [٥] : (قيل معناه - أى الحديث - كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والاقرار به ، فليس أحد يولد الا وهو يقر بأن له صانعا وان سماه بغير اسمه ، أوعبد معه غيره .) [٦]

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٢) اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٤٣٢ .

(٣) رواه البخارى ومسلم ، انظر فتح البارى جـ ٣ ص ٢٤٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٢٠٧ .

(٤) ذكره ابن حجر العسقلانى من كلام ابن قيم الجوزية ولم يذكر المصدر ، انظر ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .

(٥) انظر ترجمته ص ٢٩ من هذا البحث .

(٦) يحى بن شرف النووى ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ، ص ٢٠٨ .

فهذه الفطرة أصيلة وشاملة لكل أفراد النوع الانساني يسيرون عليها وأما ما وجد فيهم من الاشراك وغيره من أنواع العبادات لغير الله فذلك حادث طارىء خارج عن الفطرة التى خلقوا عليها ، يقول ابن حجر العسقلانى [١] : (ان الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه ، بل انما حصل بسبب خارجى ، فان سلم من ذلك السبب استمر على الحق) [٢] أى استمر على معرفة الله تعالى حق المعرفة وهو توحيده .

وهكذا ، فان فى الفطرة الاقرار بالكمال المطلق الذى لا نقص فيه للخالق سبحانه وتعالى سواء فى ذاته أو أفعاله أو أسمائه أو صفاته ، فهو وحده المستحق للعبادة . يقول ابن أبى العز [٣] : (ان الله تعالى قد أودع فى الفطرة التى لم تتنجس بالجحود والتعطيل ولا بالتشبيه والتمثيل ، انه سبحانه الكامل فى أسمائه وصفاته ، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وما خفى عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه .) [٤]

ولمعرفة هذا الكمال على التفصيل وما يجب تنزيه الله تعالى عنه من النقائص والعيوب أرسل الله تعالى رسله وأنبيائه لارشاد الخلق وهدايتهم الى ذلك كله . يقول ابن قيم الجوزية : (ان كتابه ورسله مذكر لهم بما هو مركوز فى فطرهم من معرفته ومحبته وتعظيمه واجلاله والخضوع له ، والاخلاص

---

(١) انظر ترجمته ص ٩ من هذا البحث .

(٢) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، جـ ٣ ص ٢٤٨

(٣) انظر ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٤) ابن أبى العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٩٥ .

له ومحبة شرعه الذى هو العدل المحض وايثاره على ماسواه . فالفطر مركوز فيها معرفته ومحبته والاخلاص له ، والاقرار بشرعه ، وايثاره على غيره ، فهى تعرف ذلك وتشعر به مجملا ومفصلا بعض التفصيل ، فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتفائها أثرها) .(١)

وما أروع كلام الله تعالى لما عرض صورة مشهد الذرية الانسانية فى عالم الغيب بقوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بمافعل المبطلون .) (٢)

ليس هناك مجال لانكار هذا الأمر ، فقد أرسل الله رسله وأنزل كتبه مؤكدا لهذه الشهادة ، بأنه هو الاله وحده ، فقال " ألست بربكم ؟ قالوابلى " الذى هو الاعتراف بالربوبية والعبودية والوحدانية لله تعالى . فاذا احتجوا يوم القيامة بأن آباءهم أشركوا وهم جروا على عادة آبائهم كماصوره قوله تعالى : " انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بمافعل المبطلون" فيقال لهم : (كنتم معترفين بالصانع ، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له ، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم ، فان شهادة المرء على نفسه هى اقراره بالشىء ، . . . بل من

---

(١) ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٧٢ - ١٧٣ .

أقر بشيء فقد شهد على نفسه به)[١] كما أن رسل الله وكتبه أكدت هذه الشهادة وقوتها .

ولهذا ، فمن أشرك بالله وعدل عن التوحيد الحقيقي فهو مناقض لفطرته ، مغاير لأساس كينونته ، مبطل لشهادته ، محرف لاقراره ، معاند لخالقه مكذب لرسل الله ولكتبه ، وموقع نفسه في عذاب الله يوم القيامة كما قال الله تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار . . . .)[٢] .

---

(١) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٧٢ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٧٢ .

الفصل الثاني

التوحيد في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

١- نبذة تاريخية عن عقيدة الألوهية قبل البعثة المحمدية :

نقلت الينا الأخبار ما حدث في العصر الجاهلي بخصوص عقيدة الالهية عند العرب بمكة قبيل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

انه كان فيهم بقايا من دين ابراهيم عليه السلام تمسكوا بها ، كتعظيمهم للكعبة ، والطواف بها ، وأداء الحج والعمرة وغير ذلك ، ولكنهم أدخلوا فيها وفي عباداتهم الأخرى الشرك . فعبدوا الأصنام كواسطة بينهم وبين الله تعالى كما أخبر الله تعالى عنهم في قولهم : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)(١)

كثرت الأصنام في أنحاء مكة حتى كانت البيوت لا تخلو من وجود أصنام فيها يعبدونها في أي وقت شاءوا . وهذه الأصنام بعضها مصنوع صنعوه بأيديهم وبعضها أخذوه كما هو من الحجارة أوغيرها .(٢) كما أنهم كانوا بسهولة ينتقلون من عبادة آلهة الى عبادة آلهة أخرى . صور ذلك القرطبي(٣) بقوله : (انهم كانوا يعبدون الأوثان ، فاذا ملّوا وثنا ، وسئموا العبادة له ، رفضوه ، ثم أخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم ، فاذا مروا بحجارة تعجبهم ألقوا هذه ، ورفعوا تلك ، فعظموها ونصبوها آلهة يعبدونها) .(٤)

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الزمر ، آية ٣ .

(٢) انظر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، كتاب الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي ، (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر) ص ٦ .

(٣) انظر ترجمته ص ١١٠ من هذا البحث .

(٤) محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٢٠ ، ص ٢٢٦ .

وكان منهم من يعتقد أن الشئ الذى يقدسونه له حق مثل حق الله فيقسمون زكاة أموالهم بين الله وبين معبوداتهم الأخرى ،كماقسموا عباداتهم . روى ذلك ابن هشام[1] بقوله : (وكان لخَوْلان[2] صنم يقال له عميانس[3] بأرض خولان ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم فما دخل فى حق عميانس من حق الله تعالى الذى سموه له ، تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه .)[4]

وهذه العبادة والتقرب الى الأصنام لا تعنى أنهم ينفون الخالقية عن الله تعالى ، بل يعتقدون أن الله هوالخالق وحده لهذا الكون ، أخبر الله بذلك بقوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنّ الله . . .)[5] ولكنهم مع هذا يشركون مع الله غيره فى العبادة ، فيوحدون الله فى الخالقية ثم يشركون معه فى عبادة آلهة أخرى . ولذلك قال الله تعالى عنهم : (ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون .)[6]

ولما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعقيدة التوحيد

---

(١) انظر ترجمته ص ١٩ من هذا البحث .

(٢) قبيلة باليمن . الطاهر أحمد الزاوى ، ترتيب القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ .

(٣) بالضم والياء المثناة تحت بعدها ألف ونون . المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٧ .

(٤) عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، الطبعة الثانية (مصر ١٣٧٥ هـ) . جـ ١ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ، آية ٦١ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، آية ١٠٦ .

انزعجوا ودهشوا وصاحوا قائلين : (أجعل الآلهة الهاواحدا ان هذا لشيء عجـــــاب.) (١)

وأما أصحاب الديانات السماوية من اليهود والنصارى فقد حرفوا ما أنزل الله عليهم من الكتب والعقائد .

فاليهود قالوا : عزير ابن الله ،وان يد الله مغلوله ،وان الله فقير كماأخبر عن ذلك فى قوله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله) (٢) وفـــى قوله تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) (٣) وفى قوله تعالى : (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) (٤) وغير ذلك مما يتنزه الله عنه من المعتقدات الخاطئة الضالة .

وأما النصارى فقد قالوا : المسيح ابن الله ،وان الله ثالث ثلاثة أى أن الله اله ،والمسيح اله ،وروح القدس اله ،أخبر بذلك كله قوله تعالى : (وقالت النصارى المسيح ابن الله ....) (٥) وقوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هوالمسيح ابن مريم ....) (٦) وقوله تعالى : (لقد كفر الذيـــن قالوا ان الله ثالث ثلاثة ...) (٧) أى الآلهة ثلاثة ،الله واحد منها ،وغير ذلك

---

(١) القرآن الكريم ،سورة ص ،آية ٥ .

(٢) القرآن الكريم ،سورة التوبة ،آية ٣٠ .

(٣) القرآن الكريم ،سورة المائدة ،آية ٦٤ .

(٤) القرآن الكريم ،سورة آل عمران ،آية ١٨١ .

(٥) القرآن الكريم ،سورة التوبة ،آية ٣٠ .

(٦) القرآن الكريم ،سورة المائدة ،آية ١٧ .

(٧) القرآن الكريم ،سورة المائدة ،آية ٧٣ .

من المعتقدات النصرانية الخاطئة التى يتنزه الله عنها .

كما اعتقد المشركون أن لله بنين وبنات كما للانسان بنون وبنات ، كما ورد بذلك القرآن الكريم ، قال الله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون .) (١)

وبهذا الشرك انتقض ايمانهم ، وأدى بهم نقض ايمانهم الى انكار أمور أخرى ، فشك بعضهم فى وجود الله ، وفى وجود الآخرة ، وفى وجود الجنة والنار ، وفى نتائج أعمالهم وتصرفاتهم فى الدنيا . فعكف الناس على عبادة أصنام وآلهة قد تخيلوها وتوارثوها ، واتخذوا فى الحياة مثلا قد اخترعوها وافترضوها ، لأن الفطرة الصحيحة التى تهدى الى الحق قد طمست نتيجة انصرافهم الى ارضاء الشهوات وتحقيق مطالب النفس أو الى طلب المعاش ، ونشأ فى الناس وثنية خرافية أو تقاليد عمياء . (٢)

ومن رحمة الله تعالى أنه أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين لهداية الناس الى صراط مستقيم ومعرفة سليمة .

٢- <u>التوحيد أول دعوة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام :</u>

اقتضت حكمته تعالى أن تختم النبوة والرسالة بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، فلا نبى ولا رسول من بعده ، وقد أعلن القرآن الكريم عن ذلك

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ١٠٠ .

(٢) انظر أبا الحسن على الحسنى الندوى ، النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن الطبعة الخامسة (دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص ١٣٦ - ١٣٧ .

بقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ....) (١) .

وتكون الشريعة التى جاء بها موجهة للثقلين الى يوم القيامة ، فهى صالحة لكل زمان ومكان ، وهى تضمن سعادة المجتمع الانسانى اذا طبقوها تطبيقا صحيحا .

وكذلك كانت العقيدة التى جاء بها صلى الله عليه وسلم موجهة الى الثقلين ، لأنه عليه الصلاة والسلام مرسل الى كافة الانسان وكافة الجن ، كما دل ذلك قوله تعالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (٢) وقوله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم : (قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) (٣) .

وكما قال الله تعالى : (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولّوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) (٤) .

ان الرسالة التى دعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى رسالة

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، آية ٢٨ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأحقاف ، آية ٢٩ - ٣١ .

التوحيد ،أى الاعتقاد بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له ،وهو المعبود بحق وحده ،فلا خالق ولا معبود سواه ،كما أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس : (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد) (١) وأن يقول لهم : (قل انما يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد) (٢).

ودعوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم الى التوحيد ليست فريدة من نوعها . فكل رسول من سبقه صلى الله عليه وسلم دعا الى التوحيد وعبادة الله وحده . ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم سارية على السنن الالهية التى بعثت عليها جميع الرسل عليهم السلام قبله . أثبت الله تعالى ذلك فى القرآن الكريم بقوله (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتّبع الاّ ما يوحى الىّ وما أنا الاّ نذير مبين) (٣) أى لست مخالفا للأنبياء من قبلى فيما أقوله لكم ،وانما جئت بما جاءت به جميع الرسل من الدعوة الى توحيد الله تعالى .

اذن ،ان اعتقاد وحدة الله تعالى ذاتا وصفاتا وأفعالا هو أساس ما أوحى الله تعالى الى خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

وكذلك أعمال الشريعة من صلاة وزكاة ونحوها فهى راجعة الى هذا التوحيد ،اذ الله هو المقصود بها وحده . لأن كل عمل فيه شرك لا يكون مقبولا عند الله تعالى ،لقوله تعالى : (لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين) (٤).

---

(١) القرآن الكريم ،سورة الكهف ،آية ١١٠ .

(٢) القرآن الكريم ،سورة الأنبياء ،آية ١٠٨ .

(٣) القرآن الكريم ،سورة الأحقاف ،آية ٩ .

(٤) القرآن الكريم ،سورة الزمر ، آية ٦٥ .

وقد أوضحت الآيات القرآنية التى أوردناها فيما سبق ، أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هى رسالة التوحيد ، وحسبنا هذه الآيات شواهد على ذلك .

وأما الأحاديث النبوية التى تدل على أن أساس دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هو التوحيد منها :

١ - روى البخارى [١] أن أباسفيان [٢] لما سأله هرقل [٣] عما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أول دعوته ، فقال أبوسفيان [٤] : (... يقول - أى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ...) . [٥] أى اتركوا ماكان عليه آباؤكم فى الجاهلية من عبادة الأصنام .

٢ - وعن جابر بن عبد الله [٦] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث .

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابى ، من سادات قريش فى الجاهلية . وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية . كان من رؤساء المشركين فى حرب الاسلام عند ظهوره ، وأسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ) ولد سنة ٥٧ ق هـ ، وتوفى فى عام ٣١ هـ . وكان من الشجعان الأبطال . الاعلام جـ ٣ ص ٢٠١ .

(٣) هو ملك الروم ، وهرقل اسمه ، وهو يكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، ولقبه قيصر ، كما يلقب ملك الفرس كسرى . فتح البارى جـ ١ ، ص ٣٣ .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) رواه البخارى . انظر ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٦) تقدمت ترجمته ص ١٠٥ من هذا البحث .

عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله .)[١]

وفى رواية يقول النبى صلى الله عليه وسلم : (من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)[٢] أى أن توحيد الله تعالى أساس لابد منه لحفظ الدم والمال . فمن لا يكون مؤمنا بالله تعالى ، لا يستحق من دنيا الله شيئا ، بل لا يستحق الحياة أصلا .

٣ - ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل[٣] الى اليمن قال له : (انك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل . . .)[٤] وفى رواية (. . . . فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله . . . .)[٥]. وذلك لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى حرفوا دينهم ، فصاروا مشركين ، فأمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوتهم الى توحيد الله تعالى .

والأحاديث فى الباب كثيرة .

وأما ~~الحوادث التاريخية~~ وقائع دعوته العملية التى تدل على أن التوحيد هو أساس رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فمنها :

---

(١) رواه مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١ ، ص ٢١٢ .

(٢) رواه مسلم ، انظر المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٣ من هذا البحث .

(٤) رواه مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

(٥) رواه مسلم ، انظر نفس المصدر ، ص ١٩٧ .

١ - عندما وصل المسلمون الى الحبشة فى هجرتهم الأولى ، دار النقاش بين عمرو بن العاص (١) والنجاشى (٢) حول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان من قول عمرو بن العاص للنجاشى : (نخبرك أن الله بعث الينا رسولا كما بعث الى الذين من قبلنا ، فأتانا بالصدق والبر ونهانا عن عبادة الأوثان ....) (٣) .

٢ - وعن الواقدى (٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شجاع بن وهب (٥)

---

(١) أبو عبد الله بن وائل السهمى ، القرشى ، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ود هاتهم وأولى الرأى والحزم والمكيدة فيهم . كان فى الجاهلية من الأشداء على الاسلام ، وأسلم فى هدنة الحديبية . ولد سنة ٥٠ ق هـ وتوفى سنة ٤٣ هـ بالقاهرة . وولاه معاوية على مصر سنة ٣٨ هـ . الاعلام جـ ٥ ، ص ٧٩ .

(٢) لقب لكل من ملك الحبشة ، واسمه أصحمة ، نشأ مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، انظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، (بيروت ، دار احياء التراث العربى) جـ ١ ص ٣٦٣ . ومحمد بن اسماعيل الصنعانى ، سبل السلام ، جـ ٢ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) أحمد بن عبد الله ، أبو نعيم الأصفهانى ، دلائل النبوة ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر) ص ١٩٧ . وابن هشام ، السيرة النبوية جـ ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٠ .

(٤) هو محمد بن عمر بن واقد ، المدنى ، أبو عبد الله الواقدى ، من أقدم المؤرخين فى الاسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث . ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ ، وتوفى فى بغداد سنة ٢٠٧ هـ . الاعلام ، جـ ٦ ص ٣١١ .

(٥) صحابى ، شجاع من أمراء السرايا . قديم الاسلام شهد المشاهد كلها ، بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، بدمشق فلم يسلم الحارث ، وقتل يوم اليمامة سنة ١٢ هـ . الأعلام جـ ٣ ، ص ١٥٨ .

بكتابه الى الحارث بن أبي شمر (١) بدمشق ، قال فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق ، واني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك) (٢) .

٣ - روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم فتح مكة قام على باب الكعبة فقال : (... لا اله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ...) (٣) أى أن الله وحده مختص بصفات الكمال ، واستحقاق العبادة .

٤ - عندما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، هدم جميع الأصنام التى كانت حول الكعبة وأمر بنبذ جميعها الى السيل ، لأن تلك الأصنام اتخذت شركاء لله (٤) .

وغير ذلك من الحوادث التاريخية المؤكدة أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم دعوة الى توحيد الله عز وجل ، ومن أجلها جاهد صلى الله عليه

---

(١) وهو من أمراء غسان في أطراف الشام . كانت اقامته بغوطة دمشق ، وأدرك الاسلام ، فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا مع شجاع بن وهب ، مات في عام فتح مكة (٨ هـ) . الاعلام جـ ٢ ص ١٥٥ .

(٢) ذكره ابن القيم في كتابه : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، (القاهرة ، المكتبة القيمة ، ١٣٩٨ هـ) ص ٣٨ .

(٣) عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٥٤ .

(٤) أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دلائل النبوة ، ص ٤٥٢ .

وسلم هو وأصحابه رضوان الله عليهم . وبالقيام بحقوق هذه العقيدة كانوا خير أمة أخرجت للناس ، كما عبر عن ذلك قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...) (١) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

الفصـــل الثالـــث

استدلال القـــرآن في التوحيـــد

أنزل الله تعالى القرآن الكريم لهداية الناس الى صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وبين أن من أشد أنواع الفساد التى تفسد على الناس دنياهم وآخرتهم " الشرك بالله " فقال الله تعالى : (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (١) .

وقال الله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٢) . وقال الله تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) (٣) . وقال الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (٤) .

ولم يزل الشرك فى الناس من قديم الزمان . حاربته الأديان السابقة على الاسلام ، وكذلك حاربه القرآن الكريم ، وشن عليه حربا طويلة دفاعا عن عقيدة التوحيد .

ففى هذا الدفاع كثيرا ما يعرض القرآن الكريم قضية الخلق ، فيجادل المشركين بالمسلّمات البدهية ، منبها الى أن الله هو خالق السموات والأرض

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٨٨ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٤٨ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٧٢ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٩٦ .

بما فيهما من انسان وغيره . والمشركون لا ينكرون هذا . فقد أخبر الله عن ذلك في قوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله .)[(١)]

اذن فليس هناك نزاع ولا جدال في أن الله تعالى هو وحده خالق الأشياء في هذا الكون .

وبعد الانتهاء من اثبات قضية وحدة الخالق انتقل القرآن الكريم الى قضية أخرى هي : عدم المماثلة بين الخالق والمخلوق ، فقال الله تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق)[(٢)] وكانت الاجابة بالنفي ، لأنه مادام هناك مخلوق وخالق ، يستحيل أن يكون المخلوق مثل الخالق . فليس هناك اله غير الله .

ولأجل الدفاع عن هذا التوحيد تعرض القرآن الكريم في مواضع منه لقضية الشرك ، فقال فيما قال : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)[(٣)] . ومعنى الآية اجمالا : أن تعدد الآلهة في الكون يؤدي الى اضمحلاله وفساده لكن الفساد غير حاصل ، فتعدد الآلهة منتف . غير أن العلماء تعرضوا لأمور في الآية جعلت المستشهد بها لغرض نفي تعدد الآلهة مضطرا لأن يدرسها :

معنى " الا " :

قال المفسرون ان " الا " في الآية يراد بها " المغايرة " . يقول

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، آية ٨٧ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ١٧ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٢٢ .

الكسائى (١) وسيبويه (٢) والأخفش (٣) والزجاج (٤) وجمهور النحاة : (ان " الا " هنا ليست للاستثناء ، بل بمعنى " غير " صفة لآلهة ، ولذلك ارتفع الاسم بعدها ، وظهر فيه اعراب " غير " التى جاءت " الا " بمعناها .) (٥)

وحمل " الا " على هذا المعنى يرجع لأمور منها :

* ما قاله الكازرونى (٦) : (انما حمل - لفظ " الا " - على معنى " غير " وجعل صفة للآلهة لتعذر حمله على الاستثناء ، لأنه اخراج شىء عن شىء لو لم يكن الاستثناء به لكان الأول داخلا فى الثانى ، لكن الأمر ههنا ليس كذلك لأن " آلهة " جمع منكور غير محصور ، فلا يعلم أن الله داخل فيها أولا .... ، انه لو جعل " الا " بمعنى الاستثناء به لكان المعنى : لو كان فيهما آلهة

---

(١) انظر ترجمته ص ١٢٣ من هذا البحث .

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى ، أبو بشر ، الملقب سيبويه ، امام النحاة ، وأول من بسط علم النحو . ولد فى عام ١٤٨ هـ ، وتوفى فى عام ١٨٠ هـ ، ومن كتبه كتاب سيبويه ، وغيره .
الاعلام جـ ٥ ، ص ٨١ .

(٣) وهو محمد سعيد البغدادى الملقب بالأخفش ، نحوى ، من أهل بغداد ولى القضاء بالسماوة ، وتوفى فيها سنة ١٢٨٣ . وكان كثير المزاح والمجون فى كلامه ونظمه . لهشرح ألفية السيوطى . الاعلام جـ ٦ ، ص ١٤١ .

(٤) انظر ترجمته ص ١٦٠ من هذا البحث .

(٥) محمد بن على الشوكانى ، فتح القدير ، جـ ٣ ، ص ٤٠٢ .

(٦) هو منصور بن الحسن بن على بن اختيار الدين ، العماد القرشى العدوى العمرى الكازرونى ، عالم بالتفسير والحديث والعقليات ، من فقهاء الشافعية جاور بمكة سنة ٨٥٨ هـ . واستمر مجاورا ، منجمعا عن الناس ، قلما يخرج من بيته الى أن مات سنة ٨٦٠ هـ . له كتب منها لطائف الألطاف فى تحقيق التفسير ونقد الكشاف ، وغير ذلك . الاعلام جـ ٧ ، ص ٢٩٨ .

يستثنى منها " الله" لفسدتا ، فيلزم لو كان فيهما آلهة لم يستثن منها الله تعالى لم يلزم منها الفساد ، وهو خلاف المقصود ، اذ المقصود لزوم الفساد من تعدد الآلهة مطلقا ، أى من غير تقييد بأن ليس الله تعالى منهم ، أو بأن يقيدوا بادخال " الله " فيهم .

وأما اذا جعل " الا " بمعنى " غير" لزم الفساد على كل حال ، اذ المعنى : لو كان فيهما آلهة متصفة بكونهم غير الله لزم الفساد) (١) .

وكذلك قال الرازى (٢) أن النحاة رأوا أن " الا " فى الآية ليست للاستثناء (لأنا لو حملناه على الاستثناء لكان المعنى : لو كان فيهما آلهة ليس معهم " الله " لفسدتا . وهذا يوجب بطريق المفهوم ، أنه لو كان فيهما آلهة معهم " الله" ان لا يحصل الفساد ، وذلك باطل ، لأنه لو كان فيهما آلهة فسواء لم يكن " الله " معهم أو كان فالفساد لازم) (٣) .

فلذلك صارت " الا " بمعنى "غير" صفة لما قبلها . ولو كانت " غير" بدلها لا يجوز رفعها على البدل ، ولا يجوز نصبها على الاستثناء ، هكذا قال النسفى (٤) بعد ذكر آية " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا" (٥) (أى غير الله وصفت آلهة بـ " الا " كما وصفت بـ " غير" لو قيل آلهة غير الله . ولا يجوز

---

(١) من كلام الكازرونى فى حاشية أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، جـ ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) انظر ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث .

(٣) فخر الدين الرازى ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، جـ ٢٢ ص ١٥٠ .

(٤) انظر ترجمته ص ١٥٥ من هذا البحث .

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٢٢ .

رفعه على البدل ، لأن " لو " بمنزلة " ان " فى أن الكلام معه موجب ،
والبدل لا يسوغ الا فى الكلام[1] غير الموجب كقوله تعالى : " ولا يلتفت منكم
أحد الا امرأتك " .[2] ولا يجوز نصبه استثناء ، لأن الجمع اذا كان منكرا لا
يجوز أن يستثنى منه عند المحققين ، لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى
لولا الاستثناء . والمعنى : لو كان يدبر أمر السموات والأرض آلهة شتى غير
الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا أى لخربتا لوجود التمانع)[3] .

* وعلل عبد الله بن عمر البيضاوى[4] عدم صحة جعل " الا " للاستثناء
بقوله : (لعدم شمول ماقبلها لما بعدها ، ولدلالته على ملازمة الفساد ،
لكون الآلهة - أى لوجود الآلهة - فيهما دونه ، والمراد ملازمته - يعنى
الفساد - لكونها - أى وجود الآلهة - مطلقا ، أو منعه حملا لها - أى " الا " -
على " غير " كما استثنى بـ " غير " حملا عليها)[5] .

---

(١) يعنى الكلام الوارد فيه كلمة " الا " لاستثناء ما بعدها مما قبلها ،
والا فالبدل فى غير هذا الموضع يسوغ فى الكلام غير الموجب ، تقول :
رأيت زيدا أخاك .

(٢) القرآن الكريم ، سورة هود ، آية ٨١ .

(٣) عبد الله بن احمد النسفى ، تفسير النسفى ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٠٥ من هذا البحث .

(٥) عبد الله بن عمر البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

* وهناك رأي ذكره الألوسي [١] ونسبه لابن الصائغ [٢] يفيد أن "الا" لو كان "غير" في مكانها الأمكن أن يراد بها البدل والعوض خلافا لما سبق في كلام النسفي. [٣] قال ابن الصائغ [٤] : (لا يصح المعنى حتى تكون "الا" بمعنى "غير" التي يراد بها البدل والعوض) [٥] .

وقد رد الألوسي [٦] هذا الرأي بقوله : (بأنه يصير المعنى حينئذ : لو كان فيهما عدد من الآلهة بدل وعوض منه تعالى شأنه لفسدتا ، وذلك يقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما اثنان هو عز وجل أحدهما لم تفسدا ، وذلك باطل) [٧] .

وفي قول الألوسي [٨] " يصير المعنى حينئذ : لو كان فيهما عدد من الآلهة بدل وعوض منه تعالى شأنه لفسدتا ، وذلك يقتضي بمفهومه .... الخ" شبه مغالطة ، لأن علماء العربية يقولون : " ان البدل هو المقصود بالحكم دون المبدل منه " . وبناء عليه فاذا قال القائل : ماجاء أحد الا أخوك ،

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

(٢) هناك عدة أشخاص المعروف بابن الصائغ ، انظر الاعلام ج ٣ ، ص ١٨٥ . ولعل المراد هو محمد بن ابراهيم الدروري المصري ، سريّ الدين ، فاضل من أهل مصر . توفي سنة ١٠٦٦ هـ ، وله حاشية على البيضاوي ، وغير ذلك . الاعلام ، ج ٥ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٣) انظر ترجمته ص 100 من هذا البحث .

(٤) انظر ترجمته ص ٢٤٥ من هذا البحث .

(٥) ذكره محمود الألوسي في روح المعاني ، ج ١٧ ، ص ٢٤ .

(٦) انظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

(٧) محمود الألوسي ، روح المعاني ، ج ١٧ ، ص ٢٤ .

(٨) انظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

بدلا "أخوك" من "أحد" كان المعنى اثبات المجئ لأخوك ، ونفيه عما عداه ، من غير ملاحظة معنى "العوض" .

وبناء عليه يصير معنى الآية على اعتبار البدلية (لو كان فيهما غير الله يصرف شئونهما لفسدتا) .

وهذا المعنى صادق بصورتين :

أن يكون فيهما آلهة غير الله ، ومعهم الله .

وأن يكون فيهما آلهة غير الله ، ليس معهم الله .

وترتيب فساد السموات والأرض على الصورتين جميعا هو عين الصواب لأن المقصود نفي التعدد معه أو بدونه . والله أعلم .

على أنه لاح لي بعد تحرير هذا الكلام أن عبارة "غير الله" صادقة بصورة ثالثة ، هي أن يكون فيهما اله واحد ليس هو الله ، والآية بعمومها تنفي هذه الصورة أيضا ، لكن ليس فيما ذكره العلماء في هذا المقام ، وحكيناه عنهم من لزوم التمانع ما ينطبق على هذه الصورة ، الا أنه يمكن أن يقال : ان هذه الصورة تعبر عن المقصود ، لأن المقصود هو اثبات الوحدانية ، اما أن يقال : ان الواحد الذى ثبت هو الحكم أو غيره ، فهو غير ما اليه يتوجه القصد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

مضمون الآية هل هو دليل اقناعى أو دليل قطعى

اختلف المفسرون فى حجية هذه الآية على اثبات الوحدانية لله تعالى : هل مضمونها دليل اقناعى أو دليل قطعى ؟ .

- فقال بعضهم ان مضمونها دليل اقناعى وليس دليلا قطعيا ، لأن الملازمة فى الآية عادية .

قال الألوسى[١] : أن العلامة[٢] قال فى شرح العقائد : (ان الحجة اقناعية والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات ، فان العادة جارية بوقوع التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم ، والا فان أريد الفساد بالفعل أى خروجهما عن هذا النظام المشاهد فمجرد التعدد لا يستلزمه ، لجواز الاتفاق على هذا النظـــام .

وان أريد امكان الفساد فلا دليل على انتفائه ، بل النصوص شاهدة بطى السموات ورفع هذا النظام ، فيكون ممكنا لا محالة .

وكذلك لو أريد بفسادهما عدم تكونهما بمعنى أنه لو فرض صانعـــان ، لأمكن بينهما تمانع فى الأفعال ، فلم يكن أحدهما صانعا[٣] ، فلم يوجد مصنوع[٤] ،

---

(١) انظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

(٢) وهو سعد الدين التفتازانى ، انظر ترجمته ص ٤٧ من هذا البحث .

(٣) قوله : " فلم يكن أحدهما صانعا " لأن كل واحد من الآلهة يجب أن يكون تام القدرة نافذها . فاذا تمانعا ولم يوجد الكون لم يكن واحد منهمـــا الهـــا .

(٤) قوله : " فلم يوجد مصنوع " لأنه اذا لم يوجد صانع ، فلا يمكن أن يوجد مصنوع .

لا تكون الملازمة قطعية ،لأن امكان التمانع لا يستلزم الا عدم تعدد الصانع ، وهو لا يستلزم انتفاء المصنوع) .[١]

وقوله : " لا تكون الملازمة قطعية ،لأن امكان التمانع لا يستلزم الا عدم تعدد الصانع ،وهو لا يستلزم انتفاء المصنوع " غير مسلم ،لأنه عند التمانع وارادة واحد منهما أن يوجد السموات والأرض ،وارادة الآخر أن لا يوجدهما ، لا يتأتى نفاذ مرادهما معا ،لأن السموات والأرض لا يمكن أن تنفذ فيهما ارادة الأول فيكونا موجودين ،وارادة الثانى فلا يكونا موجودين فى نفس الوقت .

ولا يتأتى أن لا تنفذ ارادتهما معا للجمع بين النقيضين أيضا .

ولا أن تنفذ ارادة أحدهما دون الآخر ،لأن المفروض تساويهما .

فدار الأمر بين اجتماع النقيضين وترجيح أحد المتساويين ،وكلاهما مستحيل .

ومع هذا المستحيل لا يتأتى وجود العالم ،وهو المطلوب ،و الملازمة على هذه الصورة قطعية .

وقال بعضهم أن الآية دليل قطعى لاثبات وحدانية الله تعالى موافقا لقوله تعالى فى الآية الأخرى : (.... وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)[٢] ولهذا يقول صاحب الكشف[٣] فى تفسير الآية :

---

(١) ذكره محمود الألوسى ،فى روح المعانى ،ج ١٧ ،ص ٢٥ .

(٢) القرآن الكريم ،سورة المؤمنون ،آية ٩١ .

(٣) أى صاحب كتاب الكشف والبيان فى تفسير القرآن ،أو ما يعرف بتفسير الثعلبى ،وهو أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى ،أبو اسحاق ،مفسر من أهل نيسابور . توفى سنة ٤٢٧ هـ . الاعلام ،ج١ ،ص ٢١٢ .

(ان الآية برهان نيّر على توحيده سبحانه ، وتقريره : ان مرجع الممكنات الواجب الوجود تعالى شأنه ، جل عن كثرة .(١) أما كثرة المقومات أو الأجزاء الكمية فبينة الانتفاء لايذانها بالامكان . وأما التعدد مع الاتحاد في الماهية فكذلك ، للافتقار الى المميز ، ولا يكون مقتضى الماهية لاتحادهما فيه (٢) فيلزم الامكان .

ثم المميزان في الطرفين صفتا كمال ، لأن الاتصاف بما لا كمال فيه نقص فهما ناقصان ممكنان مفتقران في الوجود الى مكمل خارج هو الواجب بالحقيقة ، وكذلك الافتقار في كمال ما للوجود يوجب الامكان لايجابه ان يكون فيه أمر بالفعل وأمر بالقوة واقتضائه التركيب والامكان) .(٣)

ومما يلاحظ على هذا الدليل أنه يقيم نفي تعدد الصانع على أساس نفي التركيب في الذات الواجب الوجود .

ونفي التركيب في الذات الواجب الوجود موضع خلاف بين السلف والأشاعرة ، لأن السلف لا ينفون عن الله تعالى الا ما نفاه الله تعالى عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله / ولا يثبتون الا ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله . ولم يرد - فيما أعلم - نصوص عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم تنفي التركيب / أو تثبته ، ~~بل الظاهر من كلام السلف قبول هذا المعنى لأنهم يثبتون لله يدا وعينا وأصبعا .... الخ~~ .

---

(١) قوله : "جل عن كثرة" جملة هي خبر "ان" في قوله : "ان مرجع الممكنات" .

(٢) قوله : "فيه" هكذا في الأصل ولعله "فيهما" ليرجع الضمير الى الماهية حيث لا يصح رجوعه الى المميز ، لأن المميز لكل منهما لا يصح أن يكون متحدا .

(٣) ذكره محمود الألوسي في روح المعاني ج ١٨ ، ص ٥٩ .

واذن ، فهذا الدليل الذى ساقه الألوسى (١) عن صاحب الكشف (٢) هو دليل أشعرى ينفى تعدد الصانع بناء على مبادىء الأشاعرة وحدهم .

وبعد أن قررت هذا الأمر ، وقع فى يدى شرح شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) " لشرح العقيدة الأصفهانية " فوجدته يقول :

(لو كان اثنان واجبا الوجود لكانا مشتركين فى وجوب الوجود ، فان كان كل منهما ممتازا عن الآخر بتعينه كان كل منهما مركبا مما به الاشتراك وما به الامتياز فيكون كل منهما مركبا وقد تقدم أن التركيب محال ، وان لم يكن أحدهما ممتازا عن الآخر لزم وجود اثنين بلا امتياز .

وبهذه الحجة يثبتون امكان الأجسام كلها لأنهم يقولون الجسم مركب اما من المادة والصورة ، واما من الجواهر الفردة ، وكل مركب ممكن ، فبهذه الحجة نفوا الصفات . وكانوا من أشد الناس تجهما لأنهم زعموا أن اثبات الصفات ينافى هذا التوحيد . . وقد تفطن لفساد هذه الحجة من تفطن لها من الفضلاء كأبى حامد الغزالى وغيره . . .) (٤) .

وهذا يؤيد ما ذهبت اليه من أن الدليل المذكور دليل أشعرى لا يرتضيه العلماء السلفيون .

---

(١) انظر ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٢) انظر ترجمته ص ٢٤٨ من هذا البحث .

(٣) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، شرح العقيدة الأصفهانية ، تقديم وتعريف : حسنين محمد مخلوف ، (دار الكتب الحديثة) ص ١٩ .

ومما استدل به بعض المفسرين على أن الآية دليل قطعي هو قطعية الملازمة في الآية . فقد ذكر الألوسي (١) عن المولى الخيالي (٢) قوله :

(التحقيق في هذا المقام أنه ان حملت الآية الكريمة على نفي تعدد الصانع مطلقا فهي حجة اقناعية ،لكن الظاهر من الآية نفي تعدد الصانع المؤثر في السماء والأرض ،اذ ليس المراد من الكون فيهما التمكن فيهما بل التصرف والتأثير .

فالحق ان الملازمة قطعية ،اذ التوارد باطل ،فتأثيرهما اما على سبيل الاجتماع أو التوزيع ،فيلزم انعدام الكل أوالبعض عند عدم كون أحدهما صانعا ، لأنه جزء علة أو علة تامة فيفسد العالم ،أي لا يوجد هذا المحسوس كلا أو بعضا .

ويمكن أن توجه الملازمة بحيث تكون قطعية على الاطلاق ،وهو أن يقال : لو تعدد الاله لم يكن العالم ممكنا ،فضلا عن الوجود ،والا لأمكن التمانع بينهما المستلزم للمحال ،لأن امكان التمانع لازم لمجموع الأمرين من التعدد وامكان شيء من الأشياء . فاذا فرض التعدد يلزم أن لا يمكن شيء من الأشياء حتى لا يمكن التمانع المستلزم للمحال) . (٣)

وقوله : " لكن الظاهر من الآية نفي تعدد الصانع المؤثر في السماء

---

(١) انظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

(٢) هو أحمد بن موسى الخيالي ،شمس الدين ،فاضل ،كان مدرسا بالمدرسة السلطانية في بروسة ،بتركيا ،ولد سنة ٨٢٩ ، وتوفي سنة ٨٦٢ هـ . له كتب منها : حاشية على شرح السعد على العقائد النسفية ،وغيره . الاعلام ،جـ ١ ،ص ٢٦٢ .

(٣) من كلام المولى الخيالي ،في روح المعاني جـ ١٧ ،ص ٢٥ .

والأرض" غير مسلم ، لأن الكمال الالهى لا يقتضى اختصاصه بالالهية حتى لا يكون معه اله غيره يشاركه فى خلق السموات والأرض ، أو يكون له عمل آخر قد باشره فيما سبق قبل خلق السموات والأرض ، أو يكون له عمل يباشره بعد فناء السموات والأرض . فليس المراد اثبات تفرد الله بخلق السموات والأرض المشاهدتين الآن فقط ، بل المراد نفى وجود اله آخر ، يكون له عمل فى السموات والأرض أو فى غيرهما ، مما كان قبلهما ، أو يكون بعدهما . هذا هو المقصود . لأن الكمال الالهى لا يتم الا بذلك .

واذن ، فهذه المحاولة التى يحاولها ~~المولى~~ الملا الخيالى (١) لا تفى بالغرض.

وأما المحاولة الأخرى التى حاولها المولى الخيالى (١) بقوله : " ويمكن أن توجه الملازمة . . . الخ " بجعل الملازمة قطعية فهى محاولة شريفة لو تمت ، الا أن فى فهمها صعوبة ، لأنه أدعى أن التمانع مستلزم للمحال ولم يبين ما هو المحال الذى يستلزمه التمانع .

ثم ادعى أن التمانع لازم لمجموع تعدد الصانع وامكان شىء من الأشياء ، وما يستلزم المحال محال .

فلو فرضنا تعدد الصانع حاصلا لزم - فرارا من الوقوع فى المحال - أن لا يكون هناك ممكن ، ووقف عند هذا الحد !

ولعله يريد أن يقول : ان عدم وجود شىء من الممكنات باطل بالمشاهدة ، فبطل ما أدى اليه وهو تعدد الصانع ، وهو المطلوب ، ولكنه استغنى عنه لوضوحه .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٥١ من هذا البحث .

وقال بعضهم ان الآية دليل اقناعي من وجه ودليل قطعي من وجه . كما نقل الألوسي [١] عن العلامة الدواني [٢] صاحب هذا الرأي قوله :

(وقولهم : لو تعدد الاله لم يوجد شيء من الممكنات لاستلزامه أحد المحالين ، اما وقوع مقدور بين قادرين ، واما الترجيح بلا مرجح ، مبنى على هذا . وحاصل البرهان عليه أنه : لو وجد الهان قادران على الكمال لأمكن بينهما تمانع ، واللازم باطل ، اذ لو تمانعا وأراد كل منهما الايجاد بالاستقلال ، يلزم اما أن لا يقع مصنوع أصلا ، أويقع بقدرة كل منهما أوبأحدهما ، والكل باطل . ووقوعه بمجموع القدرتين مع هذه الارادة يوجب عجزهما لتخلف مراد كل منهما عن ارادته ، فلا يكونان الهين قادرين على الكمال ، وقد فرضا كذلك .

ومن هنا ظهر انه على تقدير التعدد : لو وجد مصنوع لزم امكان أحد المحالين ، اما امكان التوارد ، واما امكان الرجحان من غير مرجح ، والكل محال .

وبهذا الاعتبار مع حمل الفساد على عدم الكون قيل بقطعية الملازمة في الآية فهي دليل اقناعي من وجه ودليل قطعي من وجه آخر . و الأول بالنسبة الى العوام ، والثاني بالنسبة الى الخواص .) [٣]

---

(١) انظر ترجمته ص ٢١ من هذا البحث .

(٢) هو محمد بن أسعد الصديقي الدواني ، جلال الدين ، قاض ، باحث ، يعد من الفلاسفة . ولد في دوان من بلاد كازرون ، وتوفي بفارس سنة ٩١٨ هـ ، له كتب منها : اثبات الواجب ، وأفعال العباد ، وغير ذلك .
الاعلام جـ ٦ ، ص ٣٢ .

(٣) من كلام العلامة الدواني في روح المعاني ، جـ ١٧ ، ص ٢٦ .

ومن هذا كله يظهر أن تفسير الآية على الوجه اللائق بكمال الله هوأن تكون الملازمة قطعية ، ولهذا فانه يعجبني قول الألوسي [١] (اياك أن تقنع بجعلها حجة اقناعية كما ذهب اليه كثير، فان هذا المطلب الجليل أجل من أن يكتفى فيه بالاقناعات المبنية على الشهرة والعادة) [٢] .

وقد تعرض الرازي في تفسيره لشرح الآية وبيان هل الملازمة قطعية أواقناعية فقال :

(قال المتكلمون : القول بوجود الهين يفضي الى المحال ، فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا ، انما قلنا انه يفضي الى المحال ، لأنا لو فرضنا وجود الهين فلابد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات . ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه .

فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه ، فاما أن يقع المرادان وهو محال ، لاستحالة الجمع بين الضدين ، أو لا يقع واحد منهما ، وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر ، فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس . فلو امتنعا معا لوجدا معا ، وذلك محال ، أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك محال أيضا لوجهين :

(أحدهما) : أنه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لابد وأن يستويا في القدرة . واذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني ، والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح .

---

(١) انظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .

(٢) محمود الالوسي ، روح المعاني ، جـ ١٧ ، ص ٢٧ .

(وثانيهما) : أنه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر ، فالذى وقع مراده يكون قادرا ، والذى لم يقع مراده يكون عاجزا ، والعجز نقص ، وهو على الله محال .

فان قيل الفساد انما يلزم عند اختلافهما فى الارادة ، وأنتم لا تدعون وجوب اختلافهما فى الارادة ، بل أقصى ما تدعونه ان اختلافهما فى الارادة ممكن .

فاذا كان الفساد مبنيا على الاختلاف فى الارادة ، وهذا الاختلاف ممكن ، والمبنى على الممكن ممكن ، فكان الفساد ممكنا لا واقعا ، فكيف جزم الله تعالى بوقوع الفساد ؟ .

قلنا : الجواب من وجهين :

(أحدهما) لعله سبحانه أجرى الممكن مجرى الواقع ، بناء على الظاهر من حيث ان الرعية تفسد بتدبير الملكين ، لما يحدث بينهما من التغالب .

(والثانى) وهو الأقوى أن نبين لزوم الفساد لا من الوجه الذى ذكرناه ، بل من وجه آخر فنقول :

لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات ، فيفضى الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد ، وهو محال . لأن استناد الفعل الى الفاعل لامكانه . فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع ، فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلا منهما جميعا ، فيلزم استغناؤه عنهما معا ، واحتياجه اليهما معا وذلك محال .

وهذه حجة تامة فى مسألة التوحيد ، فنقول :

القول بوجود الالهين يفضى الى امتناع وقوع المقدور لواحد منهما . واذا

كان كذلك وجب أن لا يقع البتة ، وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا .

أو نقول : لو قدرنا الهين ، فاما أن يتفقا أو يختلفا . فان اتفقا على الشيء الواحد ، فذلك الواحد مقدور لهما ، ومراد لهما ، فيلزم وقوعه بهما ، وهو محال . وان اختلفا ، فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما ، أو يقع أحدهما دون الآخر ، والكل محال .

فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات) [1] .

ولاثبات وحدانية الله تعالى ، وابطال تعدد الاله أيا كان نوعه ، تعرض ابن قيم الجوزية [2] بقوله :

(فلو كان معه سبحانه اله لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى شركة الاله الآخر معه ، بل ان قدر على قهره والتفرد بالالهية دونه فعل ، وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه ، وذهب به ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بمماليكهم ، اذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر ، والعلو عليه ، فلا بد من أحد أمور ثلاثة : اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه . واما أن يعلو بعضهم على بعض . واما أن يكونوا كلهم تحت قهر اله واحد ، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه ، فيكون وحده هو الاله الحق ، وهم العبيد المربوبون المقهورون .

وانتظام أمر العالم العلوى والسفلى وارتباط بعضه ببعض ، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ، ولا يفسد ، من أدل دليل على أن مدبره واحد ، لا اله

---

(١) فخر الدين الرازى ، التفسير الكبير ، جـ ٢٢ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

غيره ، كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد ، لا رب غيره .

فذلك تمانع في الفعل والايجاد ، وهذا تمانع في الغاية والألوهية .

فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون له الهان معبودان) .[1]

— ٥٥٥ —

وللقرآن الكريم موقف آخر من الدفاع عن عقيدة التوحيد : بتوجيه الفكر الانساني الى آيات الله في الكون ، يقول ابن قيم الجوزية :[2] (واذا تأملت مادعى الله سبحانه في كتابه عباده الى الفكر فيه أوقفك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته ، وصفات كماله ، ونعوت جلاله ، من عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ، ورضاه وغضبه ، وثوابه وعقابه ، فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكر في آياته) .[3]

وهناك آيات كثيرة ذكرها القرآن الكريم توجه العقول الى التفكر والتدبر فيما خلق الله في الكون ، قال الله تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض . . . . . .)[4] أى قل يا محمد للكفار : تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من المصنوعات الدالة على الصانع ووحدته وكمال قدرته .[5]

---

(١) ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، ص ٣٧١ .

(٢) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٣) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية ١٠١ .

(٥) محمد بن على الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٢ ص ٤٧٦ .

وقال تعالى : (فلينظر الانسان ممّ خلق.)[1] فان خلق الانسان من سلالة من ماء مهين ، أو كما يقال من النطفة ، ثم تطورت الى العلقة ، ثم المضغة ، ثم اللحم ......الخ .

وعن هذه النطفة - مثلا - بين ابن قيم الجوزية[2] مدى كون هذه الخلقة تدل على قدرة الله تعالى ، فقال :

(.... فانظر الآن ، الى النطفة بعين البصيرة ، وهى قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر ، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت . كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب ، منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته ، مذللة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها الى أن ساقها الى مستقرها ومجمعها .

وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما . وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة الى الاجتماع الذى هو سبب تخليق الولد وتكوينه .

وكيف قدر اجتماع ذينك المائين مع بعد كل منهما عن صاحبه ، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما فى موضع واحد ، جعل لهما قرارا مكينا لا يناله هواء يفسده ، ولا برد يجمده ، ولا عارض يصل اليه ، ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة - كذا - علقة حمراء تضرب الى سواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة فى لونها وحقيقتها وشكلها ، ثم جعلها عظاما مجردة

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الطارق ، آية ٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

لا كسوة عليها مباينة للضفة فى شكلها وهيأتها وقدرها وملمسها ولونها ...) (١) الى غير ذلك من المخلوقات التى تدل على الوهيته تعالى وحده فى الخلق والتدبير .

وفى آيات أخرى بين القرآن الكريم أن نظام الكون لا يتغير ولا يتبدل الا باذنه . فذلك دليل -أيضا- أن خالق هذا الكون واحد ، هو الذى نظمه ودبره . فقال الله تعالى : (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) (٢) .

فهذه الآيات وغيرها تبين أن الله هو الخالق للكون ، وهو وحده الذى نظم قوانينه وكل ما وجد فيه ، فقال الله تعالى : (.... ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو....) (٣) .

وهكذا ، يجد المتدبر فى القرآن الكريم آيات وأدلة مشاهدة نبه اليها القرآن الكريم ليلفت الأنظار والأفكار الى أن خالقها هو الله تعالى وحده ، وذلك دفاعا عن التوحيد . ويتضح هذا فيما سنسوقه فى الفصل التالى مما كشفت عنه العلوم .

— ooo —

وللقرآن كذلك موقف آخر من الدفاع عن عقيدة التوحيد بما اشتملت عليه

---

(١) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة القصص ، آية ٧١ - ٧٢ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة غافر ، آية ٦٢ .

فطـــرة الانســـــان .

ففطرة الانسان تشهد بالتوحيد ولكن قد تصيبها انحرافات تبعد بها عما فى طبيعتها ، ولكن اذا أصاب المرء شدائد ومصائب تعود الفطرة الى صفائها ، فتذكر الله وحده ، وتعترف بأن الله وحده هو المتصرف فى الكون ، قال الله تعالى : (واذا مسّكم الضرّ فى البحر ضلّ من تدعون الا اياه)[١] فقوله " ضل من تدعون الا اياه " أى : (ذهب عن خواطركم كل من تدعون فى حوادثكم .... ، فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ، فلا تدعون لكشفه الا اياه أو ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله .)[٢]

وقال الله تعالى : (... حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونّ من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق)[٣]. قال ابن كثير[٤] فى قوله تعالى " لنكونن من الشاكرين " أى (لا نشرك بك أحدا ولنفردنك بالعبادة هناك - أى فى البر - كما أفردناك بالدعاء ههنا)[٥] لكنهم بعد هذا العهد يعودون الى ما كانوا عليه بعد زوال الشدة .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، آية ٦٧ .

(٢) عبد الله بن عمر البيضاوى ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، جـ٣ ، ص ٢٠٧ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة يونس ، آية ٢٢ .

(٤) انظر ترجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٥) اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ص ٤١٣ .

فالخوف والمشقة والضر أظهرت ما كان كامنا فى الفطرة من عقيدة التوحيد .
واذا كان كل انسان له فطرة ، وهذه الفطرة تدعوه الى التوحيد فى حالات المشقة ، فان القرآن الكريم يدعو الناس الى الحفاظ على عقيدة التوحيد فى كل حال ، لا فى حالات المشقة والضرر فقط .

ـــ ٥٥٥ ـــ

وللقرآن موقف آخر من الدفاع عن عقيدة التوحيد هو بيان أن غير الله تعالى من المعبودات الأخرى لا يملك من أمر العباد شيئا . فالعاقل لا يليق به أن يترك القادر على نفعه وضره ، الى ما هو عاجز حتى عن نفع نفسه .

ولذلك شنع القرآن الكريم على المشركين العابدين لغير الله تعالى ، لأن غير الله تعالى لا يملك لهم ضرا ولا نفعا . فجادل الذين أشركوا بالله مالم ينزّل به سلطانا فى آيات كثيرة منها :

قوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا ، وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) (١) .

وقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون) (٢) .

وقوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبّئك مثل خبير) (٣) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٢٠ - ٢١ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٧٣ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة فاطر ، آية ١٣ - ١٤ .

وقوله تعالى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) (١) .

فهذه الآيات وغيرها من آيات القرآن الكريم تبين أحوال ما اتخذه الناس آلهة يعبدونها ، فهى فى درجة عابديها ، بل فى بعض الأحوال أقل شأنا .

فاذا كانت تلك أحوالهم فكيف تصلح للألهية ؟ . واذا كانت لا تصلح للألهية ولا يستفيد عابدوها منها شيئا ، فلِمَ يعبدونها ؟ ان العاقل لا يعمل عبثا !

ولذلك شنّع القرآن الكريم على المشركين العابدين للآلهة الباطلة ، كما جاء ذلك فى قول ابراهيم عليه السلام للمشركين من قومه : (أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) (٢) .

كما أشار القرآن الكريم الى سفه عقول المشركين ، فشبه ضياع دعائهم لآلهتهم ، وعدم قدرة آلهتم على نفعهم بجالس على نهر وهو ظمآن ، يبسط كفيه الى الماء طامعا أن يبلغ الماء فاه ، ولكن الماء ليس ببالغ فاه أبدا حتى يغترف هو منه بيده ، فقال القرآن الكريم (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه) (٣) .

فاذا كان المدعو أو المعبود لا يقدر أن يفعل شيئا ، فلماذا تعلق المشركون به ، والعاقل لا يعمل هذا العمل العابث ، فوجه القرآن العقول الى تركه دفاعا عن التوحيد .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٩١ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٦٧ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة الرعد ، آية ١٤ .

الفصـــل الرابـــع

العلم يدعو للتوحيد

~~التوحيد والاكتشافات الحديثة~~

نجد القرآن الكريم فى آيات كثيرة يلفت النظر الى استعمال العقـول للنظر فى خلق الله وصنعه ، واتخذ ذلك طريقا الى معرفة الله تعالى ، حتى يؤمن القلب بأن هذا الكون المنسق البديع الخاضع لنظام واحد ، انما هو من صنع خالق مدبر واحد هو الله سبحانه وتعالى . ومن تلك الآيات :

قوله تعالى (أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) (١) .

وقوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنـه الحـق) (٢) .

وفى سلسلة من الآيات القرآنية نبه الله تعالى الناس ليوجهوا أنظارهم الى السموات والأرض والأمطار ، والأشجار ، والبحار ، والرياح ، والثمار وغيرها من مخلوقات الله تعالى التى تدل على أن هناك خالقا ومدبرا لهذه المخلوقات وهو متصف بجميع صفات الكمال ، ولا يشاركه فيها أحد . فقال الله تعالـى :

(أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أاله مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ، أاله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية ٨ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، آية ٥٣ .

السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ،أإله مع الله قليلا ما تذكّرون . أمّن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ،أإله مع الله ، تعالى الله عما يشركون . أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده ،ومن يرزقكم من السماء والأرض ،أإله مع الله ،قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .) (١)

ومن المسلم به أن الاسلام لا يصطدم مع العلم ولا مع العقل ،بل هو مؤاخ للعقل السليم ،والعلم الصحيح ، وقد بحث بعض علماء الطبيعة موضوع الالهية على ضوء معلوماتهم .

وسأقدم هنا بعض ما وصلت اليه اكتشافاتهم وآراؤهم فى نواحى عديدة من الكون مما يدل على أن هذا الكون مخلوق لاله قادر وان خالقه واحد لا شريك له ،كما سأرد على من فهموا بعض ظواهر الكون فهما خاطئا ،وأرادوا أن يستنبطوا منها ما يفيد استغناء العالم عن الصانع .

١- <u>وحدانية الله فى خلق الكون :</u>

ومن نتائج البحوث العلمية استدل العلماء على وجود خالق لهذا الكون ثم على أن هذا الخالق واحد لا شريك له .

١ - يقول ايرل تشترريكس (٢) : (هنالك ظواهر عديدة تدل على وحدة الغرض فى هذا الكون وتشير الى أن نشأته والسيطرة عليه لابد أن تتم

---

(١) القرآن الكريم ،سورة النمل ،آية ٦٠ - ٦٤ .

(٢) عالم الرياضيات والفيزياء ، محاضر بجامعة جنوب كاليفورنيا ،أستاذ مساعد فى الطبيعة فى كلية جورج بيردين ،عضو الجمعية الرياضية الأمريكية. الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٠٨ .

على يد اله واحد ، لا آلهة متعددة)[١] واثبات وحدة الصانع اثبات لوجوده ، فكل ما يثبت وحدة الصانع يثبت وجوده .

٢ - قال العلامة هرشل الانكليزى من أكابر علماء الفلك : (كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدافعة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهايته ، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو فى الواقع صرح عظمة الله وحده) .[٢] وهذا القول واضح فى دلالته على المراد منه لا يحتاج الى تعليق .

٣ - يقول محمد فؤاد البرازى :[٣] (ان عالمنا هذا من أرض وجبال ، وبحار وأنهار ، وشجر ودواب ، وكواكب وشموس ، لابد له من محدث - أى موجد - وان هذه الحوادث الفرعية الكثيرة مندفعة عن أسباب . وهذه الأسباب مندفعة عن أسباب أخرى أقل (عددا)[٤] من الاولى ، ولابد أن

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ، اشراف وتحرير جون كلوفر مونسما ، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مراجعة وتعليق محمد جمال الدين الفندى ، الطبعة الثالثة ، (القاهرة ، مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م) ص ١٠٩ .

(٢) ذكره حسن أيوب ، مع الله فى صفاته وأسمائه الحسنى ، الطبعة الرابعة (بيروت ، مطبعة الحرية ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) لم أعثر على ترجمته .

(٤) (عددا) كلمة زدناها لاقتضاء المقام لها .

نصل بالنتيجة [١] الى سبب لجميع هذه المسببات ، ومحدث لجميع هذه الحادثات ، لأننا كلما رجعنا الى الأصل الذى اندفعت عنه المسببات ، قلت العوامل الدافعة ، حتى نصل أخيرا الى مسبِّب واحد كنظر الى أغصان الشجرة المتعددة المتشابكة ، فكلما ذهبت تبحث عن أسبابها ذهبت الى قليل من كثير حتى تنتهى الى واحدة . [٢]

فهو يرمز بالساق الى الله تعالى - ولله المثل الأعلى - وبالأغصان الاولى الى الأسباب الاولى التى صدرت عن الله مباشرة ، ثم نشأ منها غيرها ، ومن هذا الغير نشأ غير آخر حتى تحل الأسباب والمسببات الى الوضع الذى نراه فى الكون .

وهذا الأسلوب الذى اتبعه صاحب النص يخدم الغرض الذى نحن بصدده وهو اثبات وجود الاله ووحدانيته ، وان كنت لا أرى أن هذا الأسلوب ضرورى ، اذ يمكن أن يكون صدور الأشياء عن الله على طريقة أخرى كأن يصدر كل شىء عن الله مباشرة ، وان كانت الأشياء تبدو مترتبة ، ليعلمنا الله توقع شىء عقيب شىء ، والله هو العليم بما ينطوى عليه خلقه من أسرار .

٤ - يقـــول حسن هويدى [٣] حين بحث عن الحياة (وظهور الحيـاة

---

(١) (بالنتيجة) يقصد (فى النهاية) .

(٢) محمد فؤاد البرازى ، البراهين العلمية على وجود الخالق ، الطبعـة الثانية ، (دمشق ، دار القلم ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) ص ٢١ -٢٢ .

(٣) لم أعثر على ترجمته .

فى النبات ، هو عين ظهور الحياة فى أى كائن حى من وجهة النظر العلمية ، ذلك أن العلماء اتفقوا على مبدأ وحدة الحياة لدى النبات والحيوان ، فان ظهور الحياة فى الكائن موقوف على تكون الخليـة ، وانتعاشها ، وتوالدها ، ومتى اطرد فيها التوالد وجد الكائن الحى كما كان . وان عودة - كذا - الحياة النباتية المشهودة راجعة اما الى انتعاشها وتوالدها وهو الأغلب ، واما الى أن تكون الخلية من جديد ، ثم انتعاشها وتوالدها ، كما فى تجربة أوراق (التنبـاك) واذا كان ممكنا فى النبات فهو ممكن فى الحيوان ، لجريان " قانون وحدة الحياة " على النوعين بمقياس واحد .)[1] وقانون وحدة الحياة يعنى وحدة من وهب هذه الحياة .

٥ - يقول عبد العزيز كامل الشهابى[2] : (لقد كشف العلم بأسلوبه المتيقن ، وتجربته المحققة ، أن النظام الكائن فى الذرة يشابه النظام الموجـود فى المجرة . . ومعنى ذلك فى وضوح أن المكون والمنظم فى كل منهما واحد . . . وهو الله سبحانه وتعالى)[3] .

من هذا كله يتضح أن وحدانية الله تعالى ليست نتيجة عقلية فحسب ، بل العلوم والتجارب تؤيدها وتساندها كما وضح من أقوال هؤلاء العلماء وتجاربهم وأبحاثهم .

---

(١) حسن هويدى ، الوجود الحق ، (بيروت ، المكتب الاسلامى ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) . ص ٦٤ .

(٢) لم أعثر على ترجمته .

(٣) عبد العزيز كامل الشهابى ، للكون اله ، الطبعة الرابعة ، (دار الاعتصام ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م) ص ١٦ .

٢ - صفات الله لا تشبه شيئا فى المخلوقات :

وقد اهتم بعض العلماء بفكرة الاله فى بحوثهم ، فبعد أن وصلوا الى أن خالق الكون موجود وأنه واحد لا شريك له ، وصلوا أيضا الى أن هذا الاله الواحد متصف بصفات خاصة لا توجد فى غيره وان حقيقة تلك الصفات لا يمكن ادراكها . يقول بوكلاونس (١) :

(ونحن لا نستطيع أن نصفه وصفا روحانيا صرفا ، فالانسان رغم أنه يتكون من جسد وروح لا يستطيع أن يدرك هذه الصفات الروحانية أو يعبر عنها الا فى حدود خبرته ، ومع ذلك فاننا نستطيع أن نصل الى أن الله تعالى يتصف بالعقل والحكمة والارادة . وعلى ذلك فان لله وجودا ذاتيا ، وهو الذى تتجلى قدرته فى كل شئ ، وبرغم أننا نعجز عن ادراكه ادراكا ماديا أو وصفه وصفا ماديا ، فهنالك ما لا يحصى من الأدلة المادية على وجوده تعالى ، وتدل أياديه فى خلقه على أنه العليم الذى لا نهاية لعلمه ، الحكيم الذى لا حدود لحكمته ، القوى الى أقصى حدود القوة) (٢) .

ويقول ميريت ستانلى كونجدن (٣) : (ولقد أيدت القنبلة الذرية الأولى

---

(١) أستاذ الطبيعة الحيوية ، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا مدير قسم النظائر والطاقة الذرية فى معامل أوك ريدج ، عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعة النووية . الله يتجلى فى عصر العلم ص ٣٥ .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٣٧ .

(٣) دكتوراه من جامعة بورتون ، أستاذ سابق بكلية ترينى بفلوريدا ، عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية ، احصائى فى الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم والبحوث الانجليزية ، الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ١٦ .

ما وصلنا اليه من قوانين ونظريات حول تركيب الذرة غير المنظورة ووظائفها .

اننا نستدل على هذه الظواهر جميعا بآثارها ، معتمدين في ذلك على الاستدلال المنطقي الصرف وعلى ما لدينا من حقائق أولية بسيطة تتعلق بهذه الظواهر والأشياء .

واننا لنستطيع أن نستخدم المنطق لكي ندرك أن لخالق هذا الكون صفات تناظر الصفات التي نجدها في أنفسنا ، فلابد أن يكون سبحانه متصفا بالحكمة والارادة والقدرة)[١] ولعله يعني بمناظرة صفات الله ، لصفات البشر مماثلتها في النوع والاسم مع مخالفتها في الحقيقة .

فتبين مما سبق أن علماء الطبيعة من خلال بحوثهم أثبتوا أن خالق هذا الكون واحد ، وأنه ليس له شريك في الخلق ، وأنه متصف بصفات الكمال اللائقة به لا يساويه فيها غيره .

٢- شبهة المصادفة :

بعض الذين أرادوا صياغة فلسفة جديدة في ضوء الاكتشافات العلمية وخصوصا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انحرف بهم السير فظنوا أن في هذه الاكتشافات دليلا على استغناء العالم عن وجود صانع ، فقرروا ان هذا الكون يسيره قوانين نابعة من داخله ، وليس خاضعا لتأثير خارجي . يصور هذا الاتجاه وحيد الدين خان ،[٢] فيقول :

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ، ص ١٧ .

(٢) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه المفكر المسلم الهندي الكبير في الوقت الحاضر .

(وهكذا ظهرت الى حيز الوجود تلك النظرية التى تسمى " التفسير الميكانيكى للكون " وأصبح من الحقائق - كذا - المسلم بها أن جميع وقائع الكون تحدث بسبب علل مادية دون تدخل خارجى ، وأن الكون كله مربوط فى سلسلة العلة والمعلول) .(١)

ويصوره أيضا الأستاذ احمد زين(٢) فيقول :

(قالت هذه العلوم أن الكون لم يكن له وجود قبل ٢٠ ألف مليون سنة لم يكن فى الكون حينئذ شئ .. لا نجوم ولا أرض ، ولكن كانت هناك المادة وحدها .. ولم تكن المادة حينئذ متجمدة .. بل كانت منتشرة فى كل مكان فى الفضاء الفسيح فى صورة ذرات أولية تشبه الدخان أوالسحاب أو الغبار .. ذرات متناهية كانت تغمر الكون كله .. وكانت المادة حينئذ فى حالة توازن تام دون أى حركة على الاطلاق ، ويقول العلماء ان هذا التوازن كان دقيقا بحيث اذا احدث أى شئ فيه .. اذا حدثت حركة .. فانها تكفى لتبديد هذا التوازن الى الأبد .

ووقع الخلل بالصدفة وتحركت المادة بالصدفة وبدأت المادة تتقلص وتتجمع فى أماكن مختلفة بالصدفة فكانت السماء والأرض والشمس والنجوم والكواكب الى آخر كل هذا النظام .

هذا هو التفسير الذى يقدمه العلماء لنشأة الكون ...) .(٣)

---

(١) وحيد الدين خان ، الدين فى مواجهة العلم ، ص ٢٤ .

(٢) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه كان مدير تحرير لجريدة الأخبار .

(٣) أحمد زين ، اين الله ، الطبعة الثالثة ، (القاهرة ، المختار الاسلامى ، ١٣٩٧) ص ٣٢ .

ولكن هذه الفكرة لم تدم طويلا ، لأن القرن العشرين كان فاتحة لكثير من الحقائق الجديدة في دنيا العلم الحديث ،كما صور ذلك وحيد الدين خان[١] بقوله :

(لقد اعترفوا الآن -بعد طول جدل -بأن قانون التعليل ليس حقيقة مطلقة بالمعنى الذى افترضوه فى القرن التاسع عشر . والآن ،لقد عاد الباحثون الى النقطة التى بدأوا منها مسيرتهم الى أن نظام العالم لا يخضع لقانون العلة والمعلول الناتج عن الصدفة المحضة وانما هنالك عقل ذو وعى يدبر شئون العالم بالارادة .)[٢]

٤ - الاكتشافات

وعن هذه الكشوف :

١ - يقول جون وليام كلوتس[٣] (ان هذا العالم الذى نعيش فيه ،قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة انه ملىء بالروائع والأمور المعقدة التى تحتاج الى مدبر ، والتى لا يمكن نسبتها الى قدر أعمى . ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة ،وهى بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده)[٤] .

---

(١) انظر ص ١٦٩ من هذا البحث .

(٢) وحيد الدين خان ،الدين فى مواجهة العلم ،الطبعة الثالثة ، (القاهرة ١٩٧٤) ص ٢٥ .

(٣) عالم فى الوراثة ، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة بتيسبرج ،أستاذ علم الاحياء والفيسولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا ، متخصص فى الوراثة وعلم البيئة (الله يتجلى فى عصر العلم ص ٤٦) .

(٤) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٤٦ .

ثم بعد عرض شواهد وتحليلات علمية قال : (أفلا تدل كل هذه الشواهد على وجود الله ؟ انه من الصعب على عقولنا أن تتصور أن كل هذا التوافق العجيب قد تم بمحض المصادفة ، انه لابد أن يكون نتيجة توجيه محكم احتاج الى قدرة وتدبير) (١) .

٢ - وقد ذكر محمد حسن آل ياسين (٢) أنه (وقد أثبت اكتشاف تركيب الذرة أن التفاعلات الكيماوية التى نشاهدها والخواص التى نلاحظها ترجع الى وجود قوانين خاصة وليست محض مصادفة عمياء) (٣) .

٣ - وقد وصلت الأبحاث الى (أن الأوكسيجين والهيدروجين وثانى أوكسيد الكربون والكربون - سواء أكانت منعزلة أم على علاقتها المختلفة بعضها مع بعض - هى العناصر البيولوجية الرئيسية . وهى عين الأساس الذى تقوم عليه الحياة . غير أنه لا توجد مصادفة من بين عدة ملايين ، تقضى بأن تكون كلها فى وقت واحد وفى كوكب سيار واحد ، بتلك النسب الصحيحة اللازمة للحياة !

وليس لدى العلم ايضاح لهذه الحقائق ، أما القول بأن ذلك نتيجة المصادفة فهو قول يتحدى العلوم الرياضية) (٤) .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه من علماء العراق فى الوقت الحاضر .

(٣) محمد حسن آل ياسين ، الله بين الفطرة والدليل ، الطبعة الثالثة ، (بيروت ، المكتب العالمى للطباعة والنشر) ص ٨٠ .

(٤) ا . كرسى موريسون ، العلم يدعو للايمان ، ترجمة : محمود صالح الفلكى ، الطبعة الخامسة ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥) ص ٧٣ .

ومن خلال بحثه عن جهاز الدورة الدموية يقول : (وفي حالة العدوى بجراثيم معادية ، يحتفظ الجهاز أيضا بجيش قائم باستمرار ليلاقي الغزاة ، وهو عادة يتغلب عليها ويحمي تكوين الانسان من الموت المبكر . ومثل هذه المجموعة من المعجزات لا يوجد ، ولا يمكن أن يحدث بأي حال في غيبة الحياة . وكل ذلك يتم في نظام كامل ، والنظام مضاد اطلاقا للمصادفة . أليس ذلك كله من صنع الخالق ؟) (١)

٤ - يقول عالم الطبيعة الدكتور نوبلوتشي :(٢) (لا أستطيع أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الالكترونات والبروتونات الأولى أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأول أو البذرة الاولى أو العقل الأول . انني أعتقد في وجود الله ، لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون) (٣) .

٥ - وصل علماء الكيمياء ومنهم جون كليفلاند كوثران (٤) الى (أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء ، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة

---

(١) ا . كرسي موريسون ، العلم يدعو للايمان ، ص ١٥٦ .
(٢) لم أعثر على ترجمته .
(٣) محمد حسن آل ياسين ، الله بين الفطرة والدليل ، ص ٨٤ - ٨٥ .
(٤) أخذ دكتوراه من جامعة كورنل ، رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولت ، اخصائي في تحضير النترازول وفي تنقية التنجستين . الله يتجلى في عصر العلم ص ٢١ .

والآخر بسرعة ضئيلة . وعلى ذلك فان المادة ليست أبدية ، ومعنى ذلك أيضا أنها ليست أزلية ، اذ أن لها بداية .

وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ، بل وجدت بصورة فجائية - كذا - وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذى نشأت فيه هذه المواد . وعلى ذلك فان هذا العالم المادى لابد أن يكون مخلوقا ، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان) .[(١)]

وعن نشأة العالم ، هل هو مصادفة أو قصد كتب فرانك ألن[(٢)] ما يلى :

(كثيرا ما يقال ان هذا الكون المادى لا يحتاج الى خالق ، ولكننا اذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟ هنالك أربعة احتمالات للاجابة عن هذا السؤال : فاما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، واما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم ، واما أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية ، واما أن يكون له خالق .

أما الاحتمال الأول فلا يقيم أمامنا مشكلة سوى مشكلة الشعور والاحساس ، فهو يعنى أن احساسنا بهذا الكون وادراكنا لما يحدث فيه لا يعدو أن يكون وهما من الأوهام ليس له ظل من الحقيقة . وقد عاد الى هذا الرأى فى العلوم الطبيعية

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٥ .

(٢) ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنل ، استاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا . من سنة ١٩٠٤ - ١٩٤٤ ، اخصائى فى أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وانتاج الهواء السائل ، وحائز على وسام تورى الذهبى للجمعية الملكية بكندا . (الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥) .

أخيرا سير جيمس جينز الذى يرى أن هذا الكون ليس له وجود فعلى ، وأنه مجرد صورة فى أذهاننا . وتبعا لهذا الرأى نستطيع أن نقول اننا نعيش فى عالم من الأوهام ، فضلا هذه القطارات التى نركبها ونلمسها ليست الا خيالات ، وبها ركاب وهميون وتعبر أنهارا لا وجود لها وتسير فوق جسور غير مادية . . الخ ، وهو رأى وهمى لا يحتاج الى مناقشة أو جدال .

أما الرأى الثانى ، القائل أن هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فهو لا يقل عن سابقه سخفا وحماقة ، ولا يستحق هو أيضا أن يكون موضعا للنظر أو المناقشة .

والرأى الثالث الذى يذهب الى أن هذا الكون أزلى ليس لنشأته بداية انما يشترك مع الرأى الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون ، وذلك فى عنصر واحد هو الأزلية . واذا فنحن اما أن ننسب صفة الأزلية الى عالم ميت واما أن ننسبها الى اله حى يخلق . وليس هناك صعوبة فكرية فى الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثر مما فى الآخر ، ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وأنها سائرة حتما الى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هى الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة ، وتستحيل الحياة . ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام الى الصفر المطلق بمضى الوقت أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة ، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو اذا حدث من الأحداث . ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلى ليس له

بداية ،عليم محيط بكل شيء ، قوى ليس لقدرته حدود ، ولا بد أن يكون هـذا الكون من صنع يديه .

ان ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورا عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية . فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عـام، فيكون في ذلك تتابع الفصول ، الذى يؤدى بدوره الى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانـت الأرض ساكنة . ويحيط بالأرض غلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع كبير(يزيد على ٥٠٠ ميل) .

ويبلغ هذا الغلاف الغازى من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يوميا الينا ، منقضة بسرعة ثلاثين ميلا في الثانية ، والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها ، في الحدود المناسبة للحياة ، ويحمل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات ، حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحى الأرض بعد موتها ، والمطر مصدر الماء العذب ، ولولاه لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة . ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة .

ويمتاز الماء بأربع خواص هامة تعمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والأنهار ، وخاصة حيثما يكون الشتاء قارسا وطويلا ، فالماء يمتص كميات كبيرة مـن الأوكسيجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة ، وتبلغ كثافة الماء أقصاها في درجة أربعة مئوية . والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات

والأنهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فيهيء بذلك الفرصة لاستمرار حياة الكائنات التى تعيش فى الماء فى المناطق الباردة . وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التى تعيش فى البحار .

أما الأرض اليابسة فهى بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات الأرضيــة فالتربة تحتوى العناصر التى يمتصها النبات ويمثلها ويحولها الى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر اليها الحيوان . يوجد كثير من المعادن قريبا من سطــح الأرض ، مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من الصناعات والفنون وعلى ذلك فان الأرض مهيأة على أحسن صورة للحياة . ولا شك أن كل هذا من تيسير حكيم خبير ، وليس من المعقول أن يكون مجرد مصادفة أو خبط عشــواء . ولقد كان أشعيا على حق عندما قال مشيرا الى الله : " لم يخلقها باطــــلا للسكن صوّرها " (٤٥ : ١٨)[1]

وكثيرا ما يسخر البعض من صغر حجم الأرض بالنسبة لما حولها من فراغ لا نهائى . ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر ، أو حتى لو أن قطرها كان ربــع قطرها الحالى لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوى والمائى اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت . أما لو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالى لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف ، وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هى عليه ، وانخفض تبعا لذلك ارتفاع غلافها الهوائى ، وزاد الضغط الجوى من كيلوجرام واحد الى كيلو جرامين على السنتيمتر المربع ، ويؤثر كل ذلك أبلغ الأثر فى الحياة على سطح الأرض ، فتتسع مساحة المناطق الباردة

---

(١) ويتفق مع هذا ما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى : (وما خلقنــــا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) الدخان ٣٨ - ٣٩ .

اتساعا كبيرا ، وتنقص مساحة الأراضى الصالحة للسكنى نقصا ذريعا ، وبذلك تعيش الجماعات الانسانية منفصلة أو فى أماكن متنائية ، فتزداد العزلة بينها ويتعذر السفر والاتصال بل قد يصير ضربا من ضروب الخيال .

ولو كانت الأرض فى حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التى عليها ١٥٠ ضعفا ، ولنقص ارتفاع الغلاف الجوى الى أربعة أميال ، ولأصبح تبخر الماء مستحيلا ، ولارتفع الضغط الجوى الى ما يزيد على ١٥٠ كيلوجراما على السنتميتر المربع ، ولوصل وزن الحيوان الذى يزن حاليا رطلا واحدا الى ١٥٠ رطلا ، ولتضاءل حجم الانسان حتى صار فى حجم ابن عرس أو السنجاب ، ولتعذرت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات .

ولو أزيحت الأرض الى ضعف بعدها الحالى عن الشمس ، لنقصت كمية الحرارة التى تتلقاها من الشمس الى ربع كميتها الحالية ، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس فى وقت أطول ، وتضاعف تبعا لذلك طول فصل الشتاء وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض ، ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس الى نصف ما هى عليه الآن لبلغت الحرارة التى تتلقاها الأرض أربعة أمثال ، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ، ولآلت الفصول الى نصف طولها الحالى اذا كانت هنالك فصول مطلقا ، ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة .

وعلى ذلك فان الأرض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها فى مدارها ، تهيء للانسان أسباب الحياة والاستمتاع بها فى صورها المادية والفكرية والروحية على النحو الذى نشاهده اليوم فى حياتنا .

فاذا لم تكن الحياة قد نشأت بحكمة وتصميم سابق فلابد أن تكون قد نشأت عن طريق المصادفة . فما هى تلك المصادفة اذن حتى نتدبرها ونرى كيف تخلق الحياة ؟ .

ان نظريات المصادفة والاحتمال لها الآن من الأسس الرياضية السليمة مايجعلها تطبق على نطاق واسع حيثما انعدم الحكم الصحيح المطلق ، وتضع هذه النظريات أمامنا الحكم الأقرب الى الصواب مع تقدير احتمال الخطأ فى هذا الحكم .... ، ولقد تقدمت دراسة نظرية المصادفة والاحتمال والوجهة الرياضية تقدما كبيرا حتى أصبحنا قادرين على التنبوء بحدوث بعض الظواهر التى نقول انها تحدث بالمصادفة والتى لا نستطيع أن نفسر ظهورها بطريقة أخرى (مثل قذف الزهر فى لعبة النرد) . وقد صرنا بفضل تقدم هذه الدراسات قادرين على التمييز بين مايمكن أن يحدث بطريق المصادفة ، وما يستحيل حدوثه بهذه الطريقة ، وأن نحسب احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر فى مدى معين من الزمان . ولننظر الآن الى الذى تستطيع أن تلعبه المصادفة فى نشأة الحياة :

ان البروتينات ، من المركبات الأساسية فى جميع الخلايا الحية ، وهى تتكون من خمسة عناصر هى : الكربون ، والأيدروجين ، والنيتروجين ، والأوكسيجين والكبريت . ويبلغ عدد الذرات فى الجزىء البروتينى الواحد ٤٠٠٠ ذره . ولما كان عدد العناصر الكيموية فى الطبيعة ٩٢ عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكى تكون جزيئا من جزئيات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التى ينبغى أن تخلط خلطا مستمرا لكى

توءلف هذا الجزىء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكى يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزىء الواحد .

وقد قام العالم الرياضى السويسرى تشارلز يوجين جاى بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزىء بروتينى واحد الا بنسبة (١) الى ($١٠^{١٦٠}$) أى بنسبة ١ الى رقم عشرة مضروبا فى نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات . وينبغى أن تكون كمية المادة التى تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزىء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات . ويتطلب تكوين هذا الجزىء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسرى بأنها عشرة مضروبة فى نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ($١٠^{٢٤٣}$ سنة) .

ان البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية . فكيف تتآلف ذرات هذه الجزئيات ؟ انها اذا تآلفت بطريقة أخرى غير التى تتآلف بها ، تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير فى بعض الأحيان سموما . وقد حسب العالم الانجليزى ج . ب . ليثز الطرق التى يمكن أن تتآلف بها الذرات فى أحد الجزئيات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ البلايين ($١٠^{٤٨}$) وعلى ذلك فانه من المحال عقلا أن تتآلف كل هذه المصادفات لكى تبنى جزيئا بروتينيا واحدا .

ولكن البروتينات ليست الا مواد كيموية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذى لا ندرى من كنهه شيئا .

انه العقل اللانهائى ، وهو الله وحده ، الذى استطاع أن يدرك ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزىء البروتينى يصلح لأن يكون مستقراً للحياة فبناه وصوره وأغدق عليه سر الحياة .) [١]

ثم لنر ما قاله أحمد زين [٢] عن هذه الصدفة :

(... قالت هذه العلوم أن الكون لم يكن له وجود قبل ٢٠ ألف مليون سنة لم يكن فى الكون حينئذ شىء .. لا نجوم ولا أرض ولكن كانت هناك المادة وحدها .. ولم تكن المادة حينئذ متجمدة .. بل كانت منتشرة فى كل مكان فى الفضاء الفسيح فى صورة ذرات أولية تشبه الدخان أو السحاب أو الغبار .. ذرات متناهية كانت تغمر الكون كله .. وكانت المادة حينئذ فى حالة توازن تام دون أى حركة على الاطلاق ، ويقول العلماء ان هذا التوازن كان دقيقا بحيث اذا حدث أى شىء فيه .. اذا حدثت حركة .. فانما تكفى لتهديد هذا التوازن الى الأبد .

ووقع الخلل بالصدفة وتحركت المادة بالصدفة .. وبدأت المادة تتقلص وتتجمع فى أماكن مختلفة بالصدفة فكانت السماء والأرض والشمس والنجوم والكواكب الى آخر .. كل هذا النظام .

هذا هو التفسير الذى يقدمه العلماء لنشأة الكون ، ولكن من الذى أنشأ هذه الذرات .. من أين جاءت هذه السحابة أو الغبار أو الدخان .. من الذى حركها من خمولها ، من الذى وضع الحركة فيها .. قال العلماء لا نعرف .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٥ - ١٠ .

(٢) انظر ص ٢٧٠ من هذا البحث .

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول فى سورة فصلت وهو يتحدث عن خلق السموات والأرض ، ثم استوى الى السماء وهى دخان"[١] . اذن لقد كانت السماء والأرض دخانا . . هكذا نزل الى محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يكتشف العلم أن السماء والأرض كانتا دخانا . . هكذا تحدث الله عن خلق السموات والأرض . .

قد يقول قائل ان الذى ذكر فى هذه الآية هى السماء وحدها فمن أين جئت بأن الأرض كانت دخانا . ؟ ان القرآن يتمم بعضه ويفسر بعضه . . وقد قال الله فى سورة الأنبياء " أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما . . وجعلنا من الماء كل شىء حى".[٢] أى أن الله سبحانه وتعالى قال ان السموات والأرض كانتا جزءا واحدا ، كانتا دخان سحابة . ثم ماذا حدث . . لم تقع الصدفة . . ولكن الله سبحانه وتعالى قال كن فانفصلت السماوات والأرض وتكون الكون والنجوم . . هذا ما حكاه الخالق فى كتابه منذ ١٤٠٠ سنة . . ثم جاء العلم الآن ليقول ماذا . ؟ ليقول ان الكون كان سحابة وانفصل لتتكون السماء والأرض وما فيهما . . ونحن نقول ان هذا ليس كشفا جديدا . . انه موجود فى القرآن منذ ١٤٠٠ سنة . فاذا جاء العلم ليقول ان هذا حدث بالصدفة فاننا نصيح فى وجهه لا . . لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق . هو الذى قال كن فتكونت السحابة . . وهو الذى قال كن فتكونت الذرات . . وهو الذى قال كن فانفصلت السماوات والأرض والنجوم . . وهو الذى أخبرنا بذلك قبل أن تقولوه أنتم بمئات السنين . . وضّحه لنا فى قرآنه . . قاله لنا .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، آية ١١ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .

واذا جاء العلم الآن وبعد أن وصل الانسان الى القمر ليقول لنا ، ان قشرة الأرض والقمر واحدة . . وان القمر والأرض كانا جزءاً واحداً فقد أكد لنا الله هذا في كتابه العزيز قبل أن نكتشفه بأربعة عشر قرنا . قال "ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" .(١)

اذن ليست هناك صدفة . . بل هناك خالق . . هناك الله الذى خلق السموات والأرض . . ثم قدر للأرض وزنها وحياتها الى يوم القيامة . . وهذا موجود ومكتوب . .) .(٢)

بعد هذه الدلائل والاكتشافات التى أثبتها العلم فى كل مجالاته ، هل هناك من داع لأن يلجأ الانسان الى اعطاء الأشياء صفات ليست فى محلها ؟ أى اعطاء صفات الالهية من الخلق والابداع ، والدقة فى الصنع والتدبير الى مايسمى " المصادفة " .

وهكذا نرى أن العلم كلما تقدم حمل فى طياته تحقيق وعد الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .(٣)

٥ ـ هل المادة أزلية ؟

وقد أنكر الماديون أن تكون المادة مخلوقة لله ، فقالوا ان المادة أزلية موجودة منذ الأزل ، فليست بحاجة الى خالق ، فتورطوا فى انكار وجود الخالق !

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .
(٢) احمد زين ، اين الله ، ص ٣٢ - ٣٤ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، آية ٥٣ .

ان المادة ـعند الماديين ـموجودة منذ الأزل ، ثم تطورت فى سلسلة من المراحل حتى وصلت الى ذروتها فى الانسان العاقل ، وحدث كل ذلك تلقائيا دونما عوامل خارجية من وراء المادة .

ومن هذه الأفكار القول (بأن الكون موءلف من المادة ، والمادة موءلفة من الذرات ، ومن هذه المادة ظهر كل ما فى الكون من أحياء وغير أحياء ، وحركة العالم هى حركة تطور دائم ، يبتدئ من أبسط الذرات وينتهى الى أرقى الكائنات) .(١)

ولذلك قرر الماديون أزلية المادة ، وقالوا (فالمادة التى تعم هذه العناصر المتدرجة حسب الأرقام الذرية انتجت الطبيعة وخلقتها ولا يوجد شئ خارج اطار المادة قد يتدخل وينشئ هذا الكون) .(٢)

ولكن هذه الأفكار لا يقبلها العلم الحديث والاكتشافات الحديثة . وقد أثبت العلماء من خلال أبحاثهم العلمية ، أن هذه الدعوى مناقضة لما حدث فى الكون .

ان الاكتشافات الحديثة تدل على أن المادة ليست أزلية . وأنه لابد لها من خالق يدبر أمرها وينظمها ، وقدم العلماء أدلة قاطعة على ذلك . من تلك الأدلة ما يلى :

---

(١) ذكره الشيخ نديم الجسر من كلام هيكل ، انظر قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، الطبعة الثالثة ، ص ١٨٨ .

(٢) محمد الغروى ، الله أو المادة ، الطبعة الثانية ، (بيروت ، دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص ١١ .

يقول ادوارد لوثر كيسيل [١] : (فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، فهناك انتقال حرارى مستمر من الأجسام الحارة الى الأجسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية ، بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة الى الأجسام الحارة - ومعنى ذلك أن الكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة ، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيموية أو طبيعية ، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون .

ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ، ولا تزال العمليات الكيموية والطبيعية تسير فى طريقها ، فاننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، والا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط فى الوجود .

وهكذا توصلت العلوم - دون قصد - الى أن لهذا الكون بداية . وهى بذلك تثبت وجود الله ، لأن ماله بداية .... ، لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ، ولابد له من مبدئ أو محرك أول ، أو من خالق ، هو الاله) [٢] .

ويقول فرانك ألن [٣] : (أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا ،

---

(١) اخصائى فى علم الحيوان والحشرات ، أستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرنسيسكو ، متخصص فى دراسة أجنة الحشرات والملاندر والحشرات ذوات الجناحين ، وحاصل على دكتوراه من جامعة كاليفورنيا (الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٦) .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٧ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٧٤ من هذا البحث .

وأنها سائرة حتما الى يوم تصير فيه جميع الأقسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة ، وتستحيل الحياة ، ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام الى الصفر المطلق بمضى الوقت .

أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو اذن حدث من الأحداث . ومعنى ذلك أنه لابد لأصل الكون من خالق أزلى ليس له بداية ، عليم محيط بكل شيء ، قوى ليس لقدرته حدود ، ولابد أن يكون هذا الكون من صنع يديه) [1] .

ومن ناحية أخرى فليس من المعقول أن تكون هذه المادة الميتة الجاهلة بالأشياء ، عديمة الشعور والادراك ، الفاقدة لوعى الأوزان والمقادير والفن والجمال ، العاجزة عن تكوين وانشاء أشياء ، هي التى تبدع أجمل صورة ، وتخلق أحسن وجه ، وتصمم أحكم تصميم ، وتبتكر أدق مظهر .

اذن ، يلزم أن يكون هناك مدبر خالق لهذا الكون الملئ بالجمال والابداع ودقة التنظيم والصور . . . الخ . ويلزم لهذا الخالق المدبر جميع صفات الكمال .

وبهذا القدر أكتفى فى رفض فكرة " أزلية المادة " واثبات أن المادة من خلق الله تعالى .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٦ .

واذا كانت النصوص الواردة في هذه الفصول طويلة وكثيرة ، فذلك لأن بعضها وارد في معرض الاستشهاد ، والاستشهاد انما يكون بكلام الغير لا بكلام المستشهد .

ومن ناحية أخرى فان بعض هذه النصوص : كنصوص الرازي والألوسي انما تؤدي معاني دقيقة غاية الدقة ، وربما لا يتأتى أداؤها الا في هذه العبارات الاصطلاحية ، فلو حاول باحث مثلي أن يعبر عنها بعبارات عن عنده لم يستطع ، لعدم وجود مرادفات للألفاظ التي استعملوها . وحسبي في هذه المرحلة من التعليم أني فهمتها ، واستعملتها في مواضعها ، واستشهدت بها للأفكار التي تعرضت لبحثها ، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك .

— — ٥٥ — —

الباب الثالث

أثر التوحيد فى حياة الانسان

ويشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصـــــل الأول

أثر التوحيد فى حياة المرء فى الدنيـــا

ليس التوحيد فكرة عقيمة ولكنه عقيدة تستولى على القلب والعقل والمشاعر والسلوك ، وتوجهها توجيها يجعل الله الواحد قصدها وغايتها ، فلا تخاف ولا ترجو الا هو ، ولا تجعل لغيره حسابا فى تصرفاتها . ولهذا كله أثره فى حيـــاة الفرد وفى حياة المجتمع .

وقد تكلمت فى الأبواب السابقة عن " التوحيد " من جوانبه المتعددة وفى هذا الفصل أتكلم عن مدى تأثير التوحيد فى حياة المرء فى الدنيا .

وان أجمع كل ذلك التأثير فصار البحث طويلا وعريضا ، ولذلك أكتفيت بذكر بعض منها ما يلى :

١ ـ التوحيد يجعل المرء متقيدا بشريعة الله تعالى :

ان العلاقة بين التوحيد والشريعة علاقة متينة لأنه بدون الايمان الصحيح بالله لا تكون هناك شريعة لها احترام فى نفوس الناس وافية بحاجاتهم ، وبدون الشريعة يكون التوحيد عقيما ، يقول سيد قطب (١) :

(ان الذى تمتازبه صورة التوحيد فى العقيدة الاسلامية هو تعمقهـــا للحياة كلها ، وقيام الحياة على أساسها ، واتخاذها قاعدة للمنهج العملى الواقعى فى الحياة ، تبدو آثاره فى التشريع كما تبدو فى الاعتقاد سواء . وأول هـــذه

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٦ من هذا البحث .

الآثار أن تكون شريعة الله وحدها هى التى تحكم الحياة . فاذا تخلفت هذه الآثار فان عقيدة التوحيد لا تكون قائمة ، فانها لا تقوم الا ومعها آثارها محققة فى كل ركن من أركان الحياة .) (١)

فالتوحيد يحرر الانسان من عبودية البشر أو الشيطان بسبب أخذهم منهج الحياة من عند غير الله تعالى . فليست الموازين والقيم والشرائع والقوانين والأوضاع والتقاليد تؤخذ الا من الله المستحق للعبادة ، فان أخذت من غيره كان غيره هو المعبود .

ومن أعرض عن الحكم بشريعة الله تعالى كان ما يحكمه من الشرائع أحب اليه من شريعة الله ، وكان متوقعا لآثار ونتائج غير ما تترتب على شريعة الله ، قال الله تعالى : (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .) (٢)

وشريعة الله هى ما ورد بها الكتاب والسنة ، فتبديل هذا الوارد قليلا أو كثيرا خروج على شريعة الله ، يقول ابن قيم الجوزية : (٣)

(لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة اليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما وعدلوا الى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ عرض لهم من ذلك فساد فى فطرهم وظلمة فى قلوبهم وكدر فى أفهامهم ومحق فى عقولهم وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى رُبّى فيها الصغير وهرم عليها الكبير . فلم يروها منكرا فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن والنفس مقام العقل ،

---

(١) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، جـ ٦ ، ص ٤٠٠٤ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٥٠ .

(٣) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

والهوى مقام الهدى ، والمنكر مقام المعروف ، والجهل مقام العلم .... ،
فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور ، وأهلها هم المشار اليهم وكانت قبل ذلك
لأضدادها ، وكان أهلها هم المشار اليهم .

فاذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت ، وراياتها قد نصبت وجيوشها
قد ركبت فبطن الأرض خير من ظهرها ، وقلل الجبال خير من السهول ، ومخالطة
الوحش أسلم من مخالطة الناس) .(١)

التوحيد يقيد الانسان بقانون الله وشريعته . فاعتقاد الانسان بأن
الله عالم بكل شيء ، وان علمه وبصره لا يحدد هما شيء وأنه لا يخفى عليه مثقال
ذرة في السموات والأرض ، وأن الله يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما تخفى الصدور ،
هذا الاعتقاد (يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى
الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، يثمر له ذلك الحياء
باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح) .(٢)

ثم على قدر توحيد المرء لله تعالى يكون خضوعه له وامتثاله لأحكام
شريعته . فاذا اعتقد المرء (الله خبير بكل شيء ، وهو أقرب اليه من حبل
الوريد ، وأنه ان أتى بعمل في ظلمة الليل أو حالة الوحدة ، فان الله يعلمه ،
وأنه ان خطر بباله شيء غير جميل ، فان علم الله محيط به ، وأنه ان كان من
الممكن له أن يخفي أعماله على كل واحد في الدنيا ، فانه لا يستطيع اخفاءها
على الله عز وجل ، وأنه ان كان يستطيع أن يفلت من بطش أي كان ، فانه لا يستطيع

---

(١) ابن قيم الجوزية ، الفوائد (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، ج ٢ ص ٩٠ .

أن يغفلت من الله عز وجل ، فعلى قدر ما يكون هذا الايمان راسخا فى ذهن الانسان ، يكون متبعا لأحكام الله قائما عند حدوده لا يجرؤ على اقتراف ما حرم الله ، ويسارع الى الخيرات والعمل بما أمر الله به ، ولو فى ظلمة الليل أو حال الوحدة والخلوة ، فان معه شرطة لا تفارقه حينا من أحيانه ، وهو يتمثل دائما أمام عينه تلك المحكمة العليا التى لا يكاد الانسان ينجو من دائرة حسابها) . (١)

فالتوحيد يدفع صاحبه الى فعل الخيرات و ترك المنكرات . فالمخلص لله تعالى فى توحيده ، تخف عليه الطاعات لما يرجو عليها من الثواب ، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصى ، لما يخشى من سخط الله وعقابه .

ان التوحيد انطلاق من سلطان الطغاة ، وسلطان الخرافات والأوهام وسلطان العادات والتقاليد وكل ذلك مصادر لمشاكل الحياة الانسانية .

فتوحيد الله تعالى هو الذى يقهر النفس لتكون خاضعة لأحكام الله وشرائعه التى هى مصدر سعادة بنى الانسان . يقول الشيخ الدهلوى (٢)
(وأما المقامات الحاصلة للنفس من جهة تسلط نور الايمان عليها وقهره اياها وتغيير صفاتها الخسيسة الى الصفات الفاضلة ، فأولها أن ينزل نور الايمان من العقل المتنور بالعقائد الحقة الى القلب فيزدوج بجبلة القلب فيتولد بينهما

---

(١) أبو الأعلى المودودى ، مبادىء الاسلام ، (دمشق ، دار القلم ، ١٣٩٣ هـ) ص ١٠٠ .

(٢) هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقى الدهلوى الهندى ، أبو عبد العزيز ، الملقب شاه ولى الله : فقيه حنفى من المحدثين . ولد سنة ١١١٠ هـ ، وتوفى سنة ١١٧٦ هـ ، ومن كتبه حجة الله البالغة ، الفوز الكبير فى أصول التفسير . الاعلام جـ ١ ص ١٤٩ .

زاجر يقهر النفس ويزجرها عن المخالفات ، ثم يتولد بينهما نلام يقهر النفس ويأتي عليها ويأخذ بتلابيبها ، ثم يتولد بينهما العزم على ترك المعاصي في المستقبل من الزمان ، فيقهر النفس ويجعلها مطمئنة بأوامر الشرع ونواهيه) (١)

وهناك عنصران هامان - وهما من آثار التوحيد - يدفعان العبد الى طاعة الله والانقياد لشريعته . وهذان العنصران هما : المحبة والخوف .

ان محبة الله تعالى تدفع صاحبها الى امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، لأن المحب لابد أن يمتثل أوامر محبوبه ويجتنب نواهيه ، فذلك دليل حبه لمحبوبه ، يقول ابن قيم الجوزية (٢) :

(محبة الله ، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه . فان المحب لمن يحب مطيع ، وكلما قوى سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة وترك المخالفة أقوى ، وانما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة وسلطانها) (٣)

وكذلك الخوف هو عنصر قوي ، يدفع العبد الى طاعة الله تعالى . وهذا الخوف ينبع من الايمان بأن الله تعالى يعذب العصاة والمجرمين . يقول الغزالي (٤) :

(. . . ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوة

---

(١) احمد الدهلوي ، حجة الله البالغة ، (بيروت ، دار المعرفة) جـ٢ ص٩٩ .
(٢) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .
(٣) ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين ، ص ٤٨٥ .
(٤) انظر ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

بشيء كما تنقمع بنار الخوف . فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات)(١) فالخوف له دور هام في قمع الشهوات .

٢ _ ومن آثار التوحيد : جعل المرء مطمئنا في حياته :

ان الموحد المؤمن بمن اعتقد وحدانيته ينتهي أمره الى الطمأنينة والراحة والسعادة التامة . فان من علم واعتقد (أن الله على كل شيء قدير ، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير ، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه ، وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه ، وأنصح للعبد منه لنفسه ، وأرحم به منه بنفسه ، وأبر به منه بنفسه ، وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدى تدبيره خطوة واحدة ، ولا يتأخر عن تدبيره خطوة واحدة ، فلا متقدم له بين يدى قضائه وقدره ، ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه وسلم الأمر كله اليه ، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدى ملك عزيز قاهر ، له التصرف في عبده بكل ما يشاء ، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه .

فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات وحمل كله وحوائجه ومصالحه من لا يبالى بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها ، فتولاها دونه ، وأراه لطفه وبره ورحمته واحسانه فيها من غير تعب من العبد ، ولا نصب ، ولا اهتمام منه ، لأنه قد صرف اهتمامه كله اليه وجعله وحده همه ، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه ، وفرغ قلبه منها ، فما أطيب عيشه ، وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه)(٢) .

---

(١) أبوحامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٥٧ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، الفوائد ص ١١٤ .

فالتوحيد يخفف عن العبد المكاره ، ويهون عليه الآلام . واذا كمل توحيد المرء لله تعالى تقبل المكاره والآلام والمشاق بقلب منشرح ونفس مطمئنة .

وقد اعتبر ابن قيم الجوزية [١] افتقار الناس الى معرفة الله تعالى وتوحيده كافتقار الجسد الى الطعام والشراب والنَّفَس . فلطمأنينة النَّفْس وسد هذه الحاجات لابد من معرفة الله تعالى . فقال : (ان فقر العبد الى أن يعبد الله سبحانه وتعالى وحده لا يشرك به شيئا ، ليس له نظير فيقاس به ، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد الى الغذاء والشراب والنَّفَس ، فيقاس بهـــا ....

فان حقيقة العبد قلبه وروحه ، ولا صلاح له الا بالهه الحق الــذى لا اله الا هو ، فلا يطمئن الا بذكره ، ولا يسكن الا بمعرفته وحبه ، وهو كادح اليه كدحا فملاقيه ، ولا بد له من لقائه ، ولا صلاح له الا بتوحيد محبته وعبادته وخوفه ورجائه ....) [٢] .

كما يرى ابن تيمية [٣] أن معرفة الله تعالى وتوحيده أساس لسعــادة الانسان واطمئنانه فى حياته ، بين ذلك مصطفى حلمى [٤] حين بحث مسائــل الألوهية والعالم والانسان عند ابن تيمية فقال : (وظل الشيخ - أى ابن تيمية - أمينا فى التزامه بمنهجه .... ، انه يؤكد أن كل ما عدا الله باطل ، فالموجود

---

(١) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٢) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان ، جـ ١ ، ص ٣٠ .

(٣) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٤) لم أعثر على ترجمته .

مفتقر اليه تعالى ... ،ولكى تتحقق سعادة الانسان فلابد أن يوءله ربه وحده
فان أطيب ما فى الدنيا معرفته ،وأطيب ما فى الآخرة مشاهدته ... ،
فصلاح الخلق وسعادتهم . فى أن يكون الله هو معبودهم الذى تنتهى اليه
محبتهم وارادتهم ،ويكون ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات) .(١)

ان المادة لا تفى باعطاء السعادة للقلوب ،لأنه كلما وصل القلب
الى شئ منها ،فانه ينتقل عادة منه الى أمر آخر يعتبرأعلى وأحسن وأشرف منه ،
وفى بعض الأحيان فان ما يطلبه قلبه قد يكون فيه ضرره ،ثم ان ما قد يحصل
عليه من النعم ،ليس فى وسعه أن يديم حصوله عليه وتملكه له .(٢)

فالاعتقاد بوجود قدرة عالية متولية لأمور الكون على أساس من العدالة
والحكمة والعلم ،وأنه لا يستطيع أحد أن يغير من آثار تلك القدرة ، هذا
الاعتقاد يجعل القلب هادئا مطمئنا ،لأن كل ما يحدث فى الكون هو على حسب
ما قدره الله تعالى ،وجار على مقتضى حكمته .

ولذلك فبالتوحيد يتخلى المرء عن الأسباب الظاهرة للأشياء ويسندها
كلها الى مشيئة الله وقدرته ،يقول سيد قطب(٣) : (ورد الأمر الى مشيئة الله
وحده تنسكب فى القلب الطمأنينة)(٤) ورد الأمر الى مشيئة الله وحده لابد له من
كمال التوحيد لله تعالى .

---

(١) مصطفى حلمى ،قواعد المنهج السلفى والنسق الاسلامى فى مسائل الألوهية والعالم والانسان عند شيخ الاسلام ابن تيمية ،الطبعة الاولى ، (القاهرة ،دار الأنصار ،١٣٩٦هـ) ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) انظر ابن القيم الجوزية ،طريق الهجرتين ،ص٩٧ - ٩٨ .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٦ من هذا البحث .

(٤) سيد قطب ،فى ظلال القرآن ،جـ ٦ ص٤٠٠٣ .

٣ ـ التوحيد يرفع قدر الانسان في حياته :

وقد وجه الله سبحانه المؤمنين ليكونوا عبادا عاملين بالخيرات يدعون اليها ، لأن الايمان مع الأعمال الصالحة يرفع قدر الانسان ، قال الله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (١) .

وقال الله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة) (٢) .

التوحيد هو الذي يبعد الانسان عن الأعمال الرذلة والذليلة وعن المنكرات في حياته ، يقول المودودي (٣) :

(والايمان بـ" لا اله الا الله" ـ أي التوحيد ـ يرفع قدر الانسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءة واللؤم ، وما اليها من الصفات القبيحة والعواطف السافلة الأخرى . ولا يكاد يخطر بباله أن يحيل للحصول على نجاحه ، الى طرق دنيئة غير مشروعة ، فانه يعتقد أن ليس الرزق الا بيد الله وحده ، يبسطه لمن يشاء ، ويقدره على من يشاء ، وما العزة والقوة و الشهرة والسلطة والنفوذ و الغلبة الا بيد الله وحده ، يعطي منها ما يشاء لمن يريد حسب ما تقتضيه حكمته ، وما على الانسان الا السعي المشروع على قدر وسعه ، ولا ينحصر النجاح أو الخسران الا في فضل الله وحده ،

---

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة البيّنة ، آية ٧ .

(٣) ولد في عام ١٩٠٣ م في فاكستان ، كان رئيسا لجماعة الاسلامية ، وله دور كبير في اقامة دولة فاكستان الاسلامية ، وهو احد علماء المسلمين البارزين في باكستان وفي العالم الاسلامي ، وله مؤلفات كثيرة . انظر الموسوعة الحركية ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨

ولا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى .

أما الكافرون والمشركون والملحدون ، فانما يحسبون نجاحهم أو خسرانهم منحصرا فى مساعدة القوى الدنيوية أو مخالفتها ، فهم عبيد الطمع والشـــره ، ولا يتحرجون - لنجاحهم - من الارتشاء والتملق والمؤامرة وما اليها من الوسائل الدنيئة الأخرى ، ويعضون الأنامل على غيرهم حسدا لهم على نجاحهم ، ولا يتركون حيلة مشروعة أو غير مشروعة لاسقاط محسوديهم أو مخالفيهم الا أتوهـــا بكل وقاحة) (١) .

ثم ان الخضوع لله تعالى بدون وساطة أو زلفى يحرر الفكر من الخضوع لغير الله تعالى من انسان أو حيوان أو جماد ، أو غيرها من قوى الطبيعة . وفى هذه الحال لا يعبد الانسان الانسان أو غيره من المخلوقات ، وبهذا يأخـــذ الانسان وضعه الصحيح بين المخلوقات . يقول ابن قيم الجوزية (٢) :

(فالمؤمن من نوع الانسان خير البرية على الاطلاق ، وخيرة الله مـــن العالمين ، فانه خلقه ليتم نعمته عليه ، وليتواتر احسانه اليه ، وليخصه من كرامته وفضله بما لم تنله أمنيته ، ولم يخطر على باله ولم يشعر به ، ليسأله من المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة ، التى لا تنال الا بمحبته ، ولا تنال محبته الا بطاعته وايثاره على ما سواه ...) (٣) .

ولذلك لا يحتاج الناس الى سؤال غير الله ، ولا يذلون أنفسهم لغير الله

---

(١) أبو الأعلى المودودى ، مبادئ الاسلام ، ص ٩٩ .

(٢) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٣) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

لأن (العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا اليه وخضوعا له ، كان أقرب اليه وأعز له ، وأعظم لقدره ، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله) (١) والعبودية لغير الله تؤدى الى هبوط معنوية الانسان عند الله تعالى وعند الناس .

٤ - التوحيد يجعل الموحد بعيد النظر :

ان توحيد الله تعالى هو الذى حرر العقول من الوثنية ، وحرر البشر من العبودية لغيرهم من المخلوقات . وهذا معناه أن التوحيد مفتاح الطريق الى تحرير الانسان جسدا وروحا . يقول سيد قطب (٢) :

(وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة ومن التعلق بغير هذه الحقيقة ، فعندئذ يتحرر من جميع القيود ، وينطلق من كل الأوهاق (٣) ، يتحرر من الرغبة وهى أصل قيود كثيرة ، ويتحرر من الرهبة وهى أصل قيود كثيرة .) (٤)

والقرآن الكريم يدعو الناس الى استعمال العقول والأفكار ليتخلصوا من عبادة الأصنام والأحبار والرهبان وما يشبه ذلك من أنواع المخلوقات .

والتوحيد يصقل العقل ويخلصه ويطهره من صدء الخرافات والأوهام ، فيستقل الفكر ، ويعتمد على البرهان . يقول المودودى (٥) فى تفسير "لا اله الا الله" :

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(٢) انظر ترجمته ص ٢٦ من هذا البحث .

(٣) الوهق بفتحتين ، هو حبل يلقى فى عنق الشخص ، وأصله للدواب ، (المصباح المنير ص ٦٧٤) .

(٤) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، ج ٦ ص ٤٠٠٣ .

(٥) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(لا يمكن أن يكون المؤمن بهذه الكلمة ـأى كلمة التوحيد " لا اله الا الله" ـضيق النظر ، فانه يؤمن بالذى خلق السموات والأرض ، ويملك مشارق الأرض ومغاربها وهو رب العالمين يرزقهم ويربيهم .

فهو لا يستغرب شيئا فى هذا الكون بعد هذا الايمان ، لأن كل شىء فيه ملك ورعية لمالكه هو ، وليس فى هذا الكون شىء يقوم فى وجهه ، ويحد عليه عاطفة الحب والمواساة والخدمة ، بل هو واسع النظر ، لا يضيقه شىء كما لا يضيقه شىء ملك الله تعالى .

وذلك ما لا يمكن أن يظفر به رجل يقول بآلهة متعددة ، أو يعتقد فى الله صفات الانسان الناقصة المحدودة ، أو لا يقول بالله أصلا) .[1]

٥ ـ التوحيد مصدر شجاعة :

بالتوحيد يعتقد المرء أن أحدا لا ينفع ولا يضر الا الله . ومتى اعتقد العبد أن غير الله لن يصل اليه بأذى لو حماه الله ، وأن غير الله لن يوصل اليه حسنة الا اذا شاء الله ، فهذه العقيدة تبعده عن الخطأ فى وزن الأمور وتقديرها فلا يخشى الا من يستحق الخشية ، ولا يرجو الا من هو موضع الرجاء .

ومن كان كذلك أخذ نفسه بالحزم والشجاعة ، فان الجبن والخور لا يغيران من واقع الأمر شيئا ، فهو يعمل ما يأمر به الله ، مادام فى وسعه أن يعمله ، ويجتنب ما نهاه الله عنه ، لأنه لا يخاف الا الله تعالى . فما الملوك والكبراء الا مملوكون لله تعالى مثله لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . بهذا يسقط من ذهنه الوهم الذى يخيفه .

---

(١) أبو الأعلى المودودى ، مبادىء الاسلام ، ص ٩٤ .

ويقول المودودى (١) عن الخوف وأسبابه : (ان الذى يجبّن الانسان ويوهن عزمه شيئان : حبه للنفس والمال والأهل ، أو اعتقاده أن هناك أحدا غير الله يميت الانسان ، وأنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلـــة من الحيـــل) . (٢)

ثم يقول المودودى (٣) مشيرا الى التغلب على أسباب الخوف :

(ينزع الأول - يعنى حب النفس والمال والأهل - بأن يجعله موقنا أن اللـه هو المالك الوحيد لنفسه وماله ، ومستعدا لأن يضحى فى سبيل مرضاته بكل غال أو رخيص عنده .

وينزع الثانى - يعنى الاعتقاد بأن هناك أحدا غير الله يميت الانسان - بأنه يلقى فى روعه ، أنه لا يقدر على سلب الحياة منه انسان ولا حيوان ، ولا قنبلة ولا مدفع ، ولا سيف ولا حجر ولا خشب ، وانما يقدر على ذلك الله وحده ، وهو قد عين لموته وقتا لا تقدر قوى الدنيا جمعاء أن تستعجله اليه) . (٤)

وبتحقيق هذا التوحيد ظاهرا وباطنا لا يخاف الأعداء ، بل يخيفهـم ويضمن نصر الله الذى وعد به المتقين . وبقدر قوة الايمان والتوحيد بالله عـز وجل ينال العبد الضمان من الله تعالى ، يقول ابن قيم الجوزية (٥) :

---

(١) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٢) أبوالأعلى المودودى ، مبادىء الاسلام ، ص ٩٨ .

(٣) انظر ترجمة ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٤) أبو الأعلى المودودى ، مبادىء الاسلام ، ص ٩٨ .

(٥) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(فمن نقص ايمانه نقص نصيبه من النصر ، والتأييد ، ولهذا اذا أصيب العبد بمصيبة فى نفسه أو ماله ، أو بادالة عدوه عليه ، فانما هى بذنوبه ، اما بترك واجب ، أو فعل محرم ، وهو من نقص ايمانه . . . ، فالمؤمن عزيز غالب مؤيَّد منصور مكفى ، مدفوع عنه بالذات أين كان ، ولو اجتمع عليه مَنْ بأقطارها ، اذا قام بحقيقة الايمان وواجباته ظاهرا وباطنا ، وقد قال الله تعالى للمؤمنين : " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين " (١) .

فهذا الضمان انما هو بايمانهم وأعمالهم التى هى جند من جنود الله يحفظهم بها ، ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم ، فيبطلها عليهم ، كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالهم ، اذ كانت لغيره ، ولم تكن موافقة لأمره) (٢) .

من أجل ذلك لا يكون فى الدنيا أجرأ وأشجع ممن يؤمن بالله ويوحده .

٦ - التوحيد يعطى المرء عزة النفس :

لأن الموحد لا يحتاج لغير الله ، ومن استغنى عن الناس كان عزيزا . والعزة أمر محمود ، وهى غير الكبر المذموم . يقول أبوحفص السهروردى (٣) أن

---

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١٣٩ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان ، جـ ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) هو عمر بن محمد بن عبد الله ابن عموية ، أبوحفص شهاب الدين القرشى التيمى البكرى السهروردى ، فقيه شافعى ، مفسر ، واعظ ، من كبار الصوفية مولده فى سهرورد سنة ٥٣٩ هـ ، ووفاته فى بغداد سنة ٦٣٢ هـ . كان شيخ الشيوخ ببغداد ، ومن كتبه ، عوارف المعارف ، وجذب القلوب الى مواصلة المحبوب ، وغير ذلك . الاعلام ، جـ ٥ ، ص ٦٢ .

(العزةغير الكبر . لأن العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه ، واكرامها أن لا يضعها لأقسام عاجلة . كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها) .[(١)]

وقد بين الله تعالى أن العزة كلها لله ، فقال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللموءمنين)[(٢)] وقال تعالى : (فلله العزة جميعا)[(٣)] أى أن الله تعالى هو العزيز بذاته وصفاته ، ويعز بعزته أصفياءه وأولياءه ، لأنهم أهل طاعته ورضوانه ، فلا يكون هناك أحد أعز منهم .

ويقول الألوسى[(٤)] فى تفسير قول الله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللموءمنين)[(٥)] :

(وفى الآية من الدلالة على شرف الموءمنين ما فيها . ومن هنا قالت بعض الصالحات ، وكانت فى هيئة رثة : ألست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه)[(٦)]
ومن المعروف أن أساس الاسلام هو التوحيد .

ان اعتقاد المرء أن الله هو الواحد الفرد الصمد ، المالك الضار النافع المحى المميت ، وبيده مصير كل شىء . . . الخ ، هذا الاعتقاد يبعده عن الافتقار لغير الله فلا يذل الا لله ولا يخضع الا لله ، لأن غير الله مثله فى الحاجة

---

(١) عن كلام السهروردى فى روح المعانى جـ ٢٨ ص ١١٦ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة المنافقون ، آية ٨ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة فاطر ، آية ١٠ .
(٤) انظر ترجمته ص ٣١ من هذا البحث .
(٥) القرآن الكريم ، سورة المنافقون ، آية ٨ .
(٦) محمود الألوسى ، روح المعانى جـ ٢٨ ، ص ١١٦ .

الى الله تعالى . يقول المودودى : (١)

(ان الايمان بهذه الكلمة -أى كلمة التوحيد " لا اله الا الله " -ينشىء في الانسان من الأنفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شيء . فهو يعلم أن الله الواحد هو المالك الحقيقى لكل ما فى هذا الكون من القوى ، وأنه لا ضار ولا نافع الا هو ، وأنه لا محى ولا مميت الا هو ، وأنه لا صاحب للحكم والسلطة والسيادة الا هو وحده .

فهذا العلم اليقينى يغنيه عن غير الله ، وينزع من قلبه خوف سواه ، فلا يطأطىء رأسه أمام أحد من الخلق ، ولا يتضرع اليه ، ولا يتكفف له ، ولا يرتعب من كبريائه وعظمته .

ومثل هذه الصفة لا يمكن أن يتصف بها انسان غير مؤمن بهذه الكلمة . ومايستلزمه الشرك والكفر والالحاد أن يطأطىء المرء رأسه لغيره من الخلق ويراه قادرا على جلب النفع والمضرة اليه ويرهبه ويعلق به آماله) . (٢)

فمهما بسط غير الله تعالى من سلطان القوة أو المال أوغيرها ، فان المؤمن بالله تعالى موقن بعلو شأنه عن غيره من المشركين والكافرين .

ثم ان العزة ليست فى الشعور بالاستعلاء على الكافرين والمشركين فحسب لكن العزة أيضا تكون فى مواجهة الخضوع للشهوات ، حتى لا يكون المؤمن خاضعا ذليلا لشهواته ، فيكون ذلك عزّا له . (٣)

---

(١) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٢) أبوالأعلى المودودى ، مبادىء الاسلام ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) انظر سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، جـ ٥ ص ٢٩٣١ .

كما أن هذه العزة ليس معناه وجود قوة اندفاعية من القلب لاظهار العناد أو الكبر أو الاستعلاء على الغير ظلما وعدوانا.(١)

٧ ـ التوحيد يجمع البشر ويوحدهم تحت راية لا اله الا الله :

بالتوحيد يتم انتماء المرء الى جماعة المؤمنين مهما كان مولده أو موطنه ولا عبرة باختلاف الألوان والأوطان والأنساب ، ولا عبرة للعصبيات .

ان التوحيد يجمع الناس حول اله واحد ، قال الله تعالى : (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .(٢) اعتبر القرآن الكريم الموحدين أمة واحدة . يقول سيد قطب(٣) فى تفسير الآية : (ان هذه أمتكم أمة الأنبياء ، أمة واحدة ، تدين بعقيدة واحدة ، وتنهج نهجا واحدا ، هو الاتجاه الى الله تعالى ، أمة واحدة فى الأرض ، ورب واحد فى السماء ، لا اله غيره ، ولا معبود الا اياه) .(٤)

وتمام الايمان بالتوحيد أن تتوافق المشاعر ، وتأتلف القلوب ويصير الجميع كأعضاء الجسد الواحد ، لا يختلفون على الحق ولا يتفقون على الباطل .

والمؤمنون غايتهم واحدة ، وهى رضوان الله تعالى . وطريقتهم فى الحصول على رضوان الله واحدة و هى شريعة الله تعالى . فالمؤمنون كلهم يلتقون حول مركز واحد وهو الله تعالى . ومن هذه الوحدة يبنون أمة واحدة تحت راية لا اله الا الله .(٥)

---

(١) انظر المصدر نفسه .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، آية ٩٢ .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٦ من هذا البحث .

(٤) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، جـ ٤ ص ٢٣٩٥ .

(٥) انظر حسن الترابى ، الايمان أثره فى حياة الانسان ص ١٨٩ .

ومن ناحية أخرى فان الشريعة هى المنهج الذى تجتمع عليه الأمة المؤمنة وترد اليه اختلافاتها ، فتكون حكما بينهم يهديهم فى كل صغيرة وكبيرة من شئون حياتهم . وما أنزل الله الشريعة الا لحسم الخلاف الذى يقع بين البشر .

فتوحيد الله والخضوع التام لشريعته يثمر اتحاد الأمة ، قال الله تعالى : (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) [1] .

وأما الاعتقاد بوجود آلهة متعددة فانه يؤدى الى تفرق البشر، لأن كل فريق يذهب مع الهه فى ناحية ، فيكون التعصب الذى يؤدى الى فساد المجتمع .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٦٤ .

الفصـــــل الثانـــــى

أثر التوحيد فى حياة المرء فى الدار الآخـــرة

١ ـ لطف الله تعالى بالموحدين عند الاحتضار :

ذكر القرطبى [(١)] حديثا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبابر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال " أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضيــة مرضية " مرضيا عنك الى روح الله وكرامته ، فاذا خرجت روحه وضعت على ذلــك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وذهب بها الى عليين .

وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة ، فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال : أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة مسخوطا عليك الـــى هوان الله وعذابه . فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، ويطوى عليهـــا المسح ويذهب بها الى سجين .) [(٢)]

وعن أبى هريرة [(٣)] رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون اخرجى راضيــة مرضيا عنك الى روح الله وريحانٍ وربٍّ غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المســـك

---

(١) انظر ترجمته ص ١١٥ من هذا البحث .

(٢) محمد بن أحمد القرطبى ، التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تحقيق أحمد حجازى السقا (المكتبة العلمية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢م) ج ١ ص ٧٤ . وقال ان الحديث صحيح أخرجه البزار عن أبى هريرة . المصدر نفسه .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان ، فيقولون دَعُوه فانه كان فى غم الدنيا ، فاذا قال أما أتاكم قالوا ذُهِبَ به الى أمه الهاوية .

وان الكافر اذا احتضر أتته ملائكة العذاب بِمِسْح [١] فيقولون اخرجى ساخطة مسخوطا عليك الى عذاب الله عز وجل فتخرج كأَنْتَن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون ما أَنْتَن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار) [٢] .

ويقول ابن كثير [٣] فى قوله تعالى : (يا يتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى". [٤] (وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضا ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره) [٥] .

واذا كانت هناك روايات تقول بأن المؤمن الخاطئ يشدد عليه فى موته ، فذلك تكفير لخطاياه ، ثم يستكمل له ثوابه بعد موته . ذكر القرطبى [٦]

---

(١) بكسر الميم ، كساء معروف ، وهو ثوب من الشعر غليظ. السيوطى ، شرح سنن النسائى ج ٤ ص ٨ .

(٢) الحديث رواه النسائى . انظر سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى (بيروت ، دار الفكر) ج ٤ ص ٨ .

(٣) انظر تتوجمته ص ١٧ من هذا البحث .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الفجر ، آية ٢٧ - ٣٠ .

(٥) اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٥١٠ .

(٦) انظر ترجمته ص ١١٥ من هذا البحث .

عن عمر بن الخطاب [١] رضى الله عنه قوله :

(اذا بقى على المؤمن من ذنوبه شئ لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة . وان الكافر اذا كان قد عمل معروفا فى الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير الى النار) . [٢]

وقد اختلف فى معنى الحديث (المؤمن يموت بعرق الجبين) [٣] قيل هو يعالج من شدة الموت فقد تبقى عليه بقية من ذنوبه فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها . وقيل هو من الحياء ، فانه اذا جاءت البشرى مع ما كان قد اقترف من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله تعالى فعرق لذلك جبينه . [٤]

٢ ـ ثبات الموحدين واتساع قبورهم :

ان المؤمن اذا سئل عن دينه فى قبره أجاب بالثبات ودون تردد .
قال الله تعالى : (يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) [٥] والمراد فى الآية (انهم اذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم أوضحوا

---

(١) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .
(٢) ذكره القرطبى فى كتابه " التذكرة " ج ١ ، ص ٤٠ .
(٣) الحديث رواه الترمذى ، انظر سنن الترمذى بشرح السيوطى ج ٤ ، ص ٦ ورواه احمد ، انظر المسند للامام احمد ، (بيروت ، المكتب الاسلامى ، ج ٥ ، ص ٣٥٧ .
(٤) انظر السندى ، حاشية سنن الترمذى بشرح السيوطى ، ج ٤ ، ص ٦ .
(٥) القرآن الكريم ، سورة ابراهيم ، آية ٢٧ .

ذلك بالقول الثابت من دون تلعثم ولا تردد ولا جهل ...) . (١)

روى البخاري (٢) في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (٣))

وفي رواية : (اذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (٤))

وهناك حديث يصور بعض ما يحدث في القبر عن هذه الأسئلة : عن أنس (٥) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (العبد اذا وُضع في قبره وتُولِّيَ وذهب أصحابه - حتى انه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال : انظر الى مقعدك من النار ، أبدلك الله به مقعدا من الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعا . وأما الكافر - أو المنافق - فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ . ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين (٦) .

---

(١) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ص ١٠٧ .

(٢) انظر ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث .

(٣) انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج ٨ ، ص ٣٧٨ .

(٤) رواه البخاري ، انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ج ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري ، أبو ثمامة ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه . مولده بالمدينة =

يسمعها من يليه الا الثقلين) [١].

وفى الرواية الأخرى أنه (يفسح له فى قبره ...) [٢] وفى رواية مسلم [٣] ان الاتساع " سبعون ذراعا ، ويملأ خضراالى يوم يبعثون" [٤]. كما روى ذلك الترمذى [٥] عن أبى هريرة [٦] : " فيفسح له فى قبره سبعين ذراعا" [٧].

فثبت أن الموحد المؤمن يثبت الله تعالى لسانه فى الاجابة عما يسأل عنه فى قبره ، وكذلك يفسح الله له فى قبره بقدر مايشاء وكيف ما يشاء ، لأنه فعال لمايريـــد .

٣ ـ الموحدون لا يخلدون فى النار :

دلت الأحاديث أن الموحدين العصاة لا يخلدون فى النار كما يخلد الكفار .

روى أبوهريرة [٨] أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

= سنة ١٠ ق هـ - وتوفى البصرة سنة ٩٣ هـ ، أسلم صغيرا وخدم النبى صلى الله عليه وسلم الى أن قبض . الاعلام جـ ٢ ص ٢٥ .

(١) رواه البخارى ، انظر فتح البارى جـ ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٢) انظر ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى جـ ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٤٦ من هذا البحث .

(٤) ذكره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ، جـ ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث .

(٦) تقدمت ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

(٧) انظر فتح البارى جـ ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٨) تقدمت ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله . قال : فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه . . . . ، ثم يتجلى حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا اله الا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم الا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتُحِشوا فيُصَبّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته ، كما تنبت الحبة فى حميل السيل . . . .) (١) .

وفى رواية يقول الله تعالى : (اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله ، وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ، اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه مايزن ذَرّة . .) (٢)

وروى الترمذى (٣) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان) (٤) .

---

(١) رواه البخارى ، انظر فتح البارى جـ ١٣ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٢) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح . انظر الجامع الصحيح للترمذى جـ ٤ ، ص ١١١ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٢٧ من هذا البحث .

(٤) انظر الجامع الصحيح للترمذى ، جـ ٤ ص ١١٣ ، وقال الترمذى ، هذا حديث حسن صحيح .

وروى مسلم [١] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة) [٢] .

ولذلك قال (مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب فى مشيئة الله وأن كل من مات على الايمان وتشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين فانه يدخل الجنة ، فان كان تائبا أوسليما من المعاصى دخل الجنة برحمة ربه وحرم على النار بالجملة .) [٣] فكل موحد يدخلون الجنة اما معجلا معافى ، واما مؤخرا بعد عقابه .

٤ _ الموحدون يرون ربهم فى الآخرة :

هناك أدلة تثبت أن الموحدين سيرون ربهم فى الآخرة ، وهذا خاص للمؤمنين . فأما الكافرون فمحرومون منه .

وقد تواترت معنى الأحاديث الصحيحة بأن الموحدين ينظرون ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر . [٤]

روى البخارى [٥] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (انكم سترون ربكم

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٤٦ من هذا البحث .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٤) انظر محمد بن على الشوكانى ، فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ٤٥ من هذا البحث .

كما ترون هذا القمر لا تضامُّون [١] فى رؤيته ...) . [٢]

وعن أبى سعيد الخدرى [٣] قال : (قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضارون فى روئية الشمس والقمر اذا كانت صحوًا ؟ قلنا لا . قال : فانكم لا تضارون فى روئية ربكم يومئذ الا كما تضارون فى روئيتهما . ثم قال : ينادى مناد ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر وغُبَرَاتٌ من أهل الكتاب ثم يوئتى بجهنم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله . فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون فى جهنم .

ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر . فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس . فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا اليه اليوم . وانا سمعنا مناديا ينادى : ليلحق كل قوم بما كانوا

---

(١) " ولا تضامون" معناه : لا تجتمعون لروئيته فى جهة ولا يضم بعضكم الى بعض ..... ، فانكم ترونه فى جهاتكم كلها ، وهو متعال عن الجهة والتشبيه بروئية القمر للروئية دون تشبيه المرئى تعالى الله عن ذلك .. فتح البارى جـ ١٣ ، ص ٤٢٧ .

(٢) رواه البخارى ، انظر فتح البارى جـ ١٣ ، ص ٤١٩ .

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى الانصارى ، أبوسعيد ، صحابى ، كان من ملازمى النبى صلى الله عليه وسلم . ولد سنة ١٠ ق هـ وتوفى سنة ٧٤ هـ بالمدينة . روى عنه أحاديث كثيرة - الأعلام ، جـ ٣ ص ٨٧ .

يعبدون ، وانا ننتظر ربنا . قال : فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوها فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا . فلا يكلمه الا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : السّاق . فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ...) . (١)

٥ ـ الجنة وما فيها من نعيم جزاء للموحدين :

ذكر القرآن الكريم آيات كثيرة فيها تصريح بأن الله تعالى وعد المؤمنين جنات . فقال الله تعالى : (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) . (٢)

وقال الله تعالى : (ان المتقين في جنات وعيون . أدخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما في صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين . لا يمسّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) . (٣) قال الشوكاني (٤) : (أي المتقين للشرك بالله كما قاله جمهور الصحابة والتابعين .) (٥)

---

(١) رواه البخاري ، انظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ج ١٣ ص ٤٢٠ - ٤٢١ . وانظر المصدر نفسه ج ١٣ ، ص ٤٣٤ ، وانظر المسند للامام أحمد ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (دار المعارف - ١٣٧٧) ج ١٥ ، ص ٥١ - ٥٦ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ٧٢ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة الحجر ، آية ٤٥ - ٤٨ .

(٤) انظر ترجمته ص ٨٤ من هذا البحث .

(٥) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، ج ٣ ص ٣١٦ .

وقال الله تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم .)(١)

وقال الله تعالى : (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) .(٢)

ونحو ذلك من الآيات القرآنية .

وهناك أحاديث نبوية تبين بعض أحوال تلك الجنة التى أعدها الله للموحدين . فمن تلك الأحاديث :

عن أبى هريرة(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ،(٤) ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحديد ، آية ١٢ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، آية ٦٩ - ٧٣ .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

(٤) المجامر جمع مجمرة وهى المبخرة ، سميت مجمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور ، والألوة هو العود الذى يبخر به .
" وقد يقال أى حاجة لهم الى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ ؟ وأى حاجة لهم الى البخور وريحهم أطيب من المسك ؟ قال : ويجاب بأن

=====

الحلم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيّا) . (١)

وعن أبى هريرة (٢) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..) . (٣)

وعن أبى سعيد الخدرى (٤) رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله يقول لأهل الجنة : يأهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون : ما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أَسْخَطُ عليكم بعده أبدا) . (٥)

وغير ذلك من الأحاديث النبوية فى هذا المعنى .

= نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم جوع أو ظمأ أو عرى أو نتن ، وانما هى لذات متتالية ونعيم متوالية ، والحكمة فى ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون فى الدنيا . وقال النووى : مذهب أهل السنة أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا الا ما بينهما من التفاضل فى اللذة ، ودل الكتاب والسنة على أن نعيمهم لا انقطاع له " . انظر ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ج ١٣ ، ص٣٢٤-٣٢٥ .

(١) رواه البخارى ، انظر فتح البارى ج ٦ ص ٣١٨ ، والترمذى ، الجامع الصحيح ج ٤ ص ٨٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

(٣) رواه البخارى ، انظر فتح البارى ج ٦ ص ٣١٨ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٣١٤ من هذا البحث .

(٥) رواه البخارى ، انظر فتح البارى ، ج ٩ ، ص١٨٤ - ١٨٥ .

الباب الرابع

منافيات التوحيد

ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

الفصل الأول

الشرك

١ - ويمكن تقسيم الشرك الى قسمين :

القسم الأول : شرك يتعلق بذات الله أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله .

وهذا القسم من الشرك هو اعتقاد وجود آلهة لهذا الكون مشاركة للاله في درجة الألوهية ، أو تنزل عنه درجات . ولذلك يقول بعضهم ان الاله أكثر من واحد ، ويقول بعضهم ان له ابنا وبنتا ومعه شفعاء ... الخ ، ومن ثم عبدوا هذه الأشياء .

وقد سجل القرآن الكريم ألوان هذا الشرك التى كانت سائدة فى جو الحياة العربية قبل البعثة المحمدية ، فذكر :

الذين أشركوا مع الله آلهة متعددة

أفاد ذلك قوله تعالى : (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ...) (١) .

والآية تعنى (الذين كانوا يزعمونهم شركاء لله سبحانه وتعالى ويعبدونهم معه عز وجل . والمراد بهم كل من اتخذوه شريكا له جل وعلا من صنم ووثن وشيطان وآدمى وملك واضافتهم الى ضمير المشركين لهذا الاتخاذ .

وقيل : أريد بهم معبوداتهم الباطلة كما تقدم ، والاضافة اليهم لأنهم

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٨٦ .

جعلوا لهم نصيبا من أموالهم وأنعامهم ، واقتصر بعضهم على الأصنام ولعل التعميم أولى) . (١)

فهناك من أشركوا فزعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك ، وأن في كل كوكب عوالم كما في هذه الأرض وأنهارا وأشجارا .. ، وان العالم قديم ولم يزل موجودا مع الله تعالى ومعلولا له ومساويا غير متأخر عنه بالزمان ... (٢)

وروى أبوالحسن الأشعري (٣) أن الغالية من الشيعة يؤلهون النبي صلى الله عليه وسلم وعلى (٤) والحسن (٥) والحسين (٦)

---

(١) محمود الألوسي ، روح المعاني مج ١٤ ، ص ٢٠٨ .

(٢) انظر ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ص ٤٥ .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٠٠ من هذا البحث .

(٤) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

(٥) هو الحسن بن على بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا وأحد سيدى شباب أهل الجنة ، قيل ولد للنصف من رمضان سنة ٣ هـ ، وقيل انه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه الى سرته ، ولما قتل على رضى الله عنه بايع أهل الكوفة بالطاعة له ، وأحبوه أشد حبا . ومات سنة ٤٩ وقيل سنة ٥٠ وقيل ٥١ وغير ذلك ، وهو ابن سبع وأربعين سنة . تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٢ ، ص ٢٩٥ - ٣٠١ .

(٦) وهو الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمي ، أبو عبد الله ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا وأحد سيدى شباب أهل =

وفاطمة [1] ،ومنهم من يعتقدون أن أبناء الحسن والحسين آلهة عندهم . [2]

الذين أسندوا الى الله ولـــدا :

أخبر الله تعالى عنهم بقوله : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) [3] وقوله تعالى : (وقالوا اتخذ الله ولدا) . [4]

ومن الذين اعتقدوا بهذا الاعتقاد اليهود والنصارى . أخبر اللـــه تعالى بذلك فقال : (وقالت اليهود عزيز ابن الله ،وقالت النصارى المسيح ابن الله .) [5]

فقد أحدثت اليهود والنصارى بدعة وافتروا فرية عظيمة بقولهم ان لله ابنا .

= الجنة ،قيل انه ولد سنة ٤ هـ ،وكان بين الحسن والحسين طهـــر واحد . قيل انه أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من سرته الى أسفل ، مات يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ ،وهو ابن ٥٨ سنة .
تهذيب التهذيب ،جـ ٢ ،ص ٣٤٥ - ٣٥٦ .

(١) هى بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ،الهاشمية القرشيـــة ، وأمها خديجة بنت خويلد ،تزوجها أمير المؤمنين على بن أبى طالـــب رضى الله عنه ،وولدت له الحسن والحسين ،وأم كلثوم وزينب ،وعاشـت بعد أبيها ستة أشهر ،توفيت سنة ١١ هـ . الاعلام ، جـ ٥ ،ص ١٣٢ .

(٢) راجع أبا الحسن الأشعرى ،مقالات الاسلاميين جـ ١ ،ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣) القرآن الكريم ،سورة مريم ،آية ٨٨ .

(٤) القرآن الكريم ،سورة البقرة ،آية ١١٦ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة التوبة ،آية ٣٠ .

الذين جعلوا الملائكة بنات الله :

قال الله تعالى مخبرا عنهم : (ويجعلون لله البنات سبحانه ، ولهم مايشتهون)[١] . وقال الله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا)[٢] يقول الرازى[٣] : (أظن أن العرب أطلقوا لفظ البنات لأن الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون أشبهوا النساء فى الاستتار فأطلقوا عليهم لفظ البنات)[٤] .

وذكر أن المشركين العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : ان بعض الأصنام بنات الله ، وهن يشفعن عنده[٥] ، فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه قوله (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذا قسمة ضيزى . ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)[٦] .

الذين عبدوا الملائكة :

أخبر الله عنهم بقوله (ويوم يحشرهم جميعا ، ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون)[٧] .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة النحل ، آية ٥٧ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الزخرف ، آية ١٩ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث .

(٤) فخرالدين الرازى ، التفسير الكبير ، ج ٢٠ ، ص ٥٤ .

(٥) انظر ابن الكلبى ، كتاب الأصنام ، ص ١٩ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة النجم ، آية ١٩ - ٢٣ .

(٧) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، آية ٤٠ .

وقوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) .[1]

ذكر الرازى[2] (ان كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يثبتون الاله والملائكة ، الا أنهم يعتقدون أنه تعالى جسم ذو صورة كأحسن ما يكون من الصور وللملائكة أيضا صور حسنة الا أنهم كلهم محتجبون عنا بالسموات ، فلا جرم اتخذوا صورا وتماثيل أنيقة المنظر حسنة الرؤيا والهيكل . فيتخذون صورة في غاية الحسن ويقولون انها هيكل الاله ، وصورة أخرى دون الصورة الأولى ويجعلونها على صورة الملائكة ثم يواظبون على عبادتها) .[3]

الذين جعلوا لله شركاء الجن :

ونقل الرازى[4] قول الذين اعتقدوا بهذا الاعتقاد فقال (وقالوا : ان الله وابليس اخوان ، فالله تعالى خالق الناس والدواب والأنعام والخيرات ، وابليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور)[5] وبهذا حكى الله تعالى عنهم أنهم أثبتوا لله شركاء الجن .

الذين عبدوا ما صنعته ايديهم من حجر أو خشب أو غيره :

أشار القرآن الكريم الى هذا بقوله : (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) .[6]

---

(١) القرآن الكريم ، سورة آل عمران آية ٨٠ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث .

(٣) فخرالدين الرازى ، التفسير الكبير ج ١٣ ص ٣٧ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث .

(٥) فخرالدين الرازى ، التفسير الكبير ، ج ١٣ ، ص ١١٣ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ١٩١ - ١٩٢ .

فعبدة الأصنام يقولون عن الأصنام التى صنعوها بأيديهم انهم شركاء لله فى العبودية ،على الرغم أنهم معترفون بأن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخلق والايجاد والتكوين ،ولا تنصر من أطاعها ،ولا تنتصر ممن عصاها . قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنّ الله) .(١)

الذين اتخذوا واسطة بينهم وبين الله :

قال الله تعالى عنهم : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ....) .(٢)

وهذا النوع من المشركين هم الذين قالوا : انه لا سبيل الى الوصول الى الله سبحانه الا بالوسائط . فالواجب علينا أن نتقرب اليه بالتوسطات القريبة منه ،وهم الروحانيون المقربون المقدسون عن المواد الجسمانية وعن القوى الجسدانية ،أوغيرها . فنحن نتقرب اليهم ، ونتقرب بهم اليه . فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب واله الآلهة ،فما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ،يقول الدكتور عبد الله دراز :(٣)

(فاعلم أن كلمات الباحثين فى نفسيات المتدينين وعقلياتهم قد تطابقت على أنه ليس هناك دين أيا كانت منزلته من الضلال والخرافة وقف عند ظاهر الحس ،واتخذ المادة المشاهدة معبودا لذاتها ،وأنه ليس أحد من عباد

---

(١) القرآن الكريم ،سورة العنكبوت ،آية ٦١ .

(٢) القرآن الكريم ،سورة الزمر ،آية ٣ .

(٣) انظر ترجمته ص ٢٢٢ من هذا البحث .

الأصنام والأوثان كان هدف عبادته في الحقيقة هياكلها الملموسة ، ولا رأى في مادتها من العظمة الذاتية مايستوجب لها منه هذا التهجيل والتكريم . وكل أمرهم هو أنهم كانوا يزعمون هذه الأشياء مهبطا لقوة غيبية أو رمزا لسرّ غامض يستوجب منهم هذا التقديس البليغ . فهي في نظرهم أشبه شيء بالتمائم والتمويذات التي يتفاءل أو يتبارك بها ...(١) .

فالوساطة شيء لابد منها - في نظر هؤلاء الناس - في جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ويرجون اليه فيه . فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار . قال الله تعالى : (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكرون)(٢) .

ولكن هناك وساطة لابد لنا منها ، وهي الوساطة التي تبلغ لنا ما أمر الله به وما نهى عنه . فالمخلوقات لا يدركون تمام الادراك ما يحبه الله ويرضاه ، ولا يعلمون ما وعد الله به عباده ، وما هو حق الله وما هو حق العباد ..... الخ ، فعرفنا هذا كله عن طريق وساطة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . يقول ابن تيمية(٣) :

(وأجمع جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى أنهم يثبتون

---

(١) عبدالله دراز ، الدين ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة السجدة ، آية ٤ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره ، قال الله " ان الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس..."(١) ومن أنكر هذه الوسائط ، فهو كافر باجماع أهل الملل)(٢) .

القسم الثانى : شرك العبادة :

ان الشرك فى عبادة الله ومعاملته نوع آخر غير الشرك المعترف فيه بوجود اله مع الله . وكثير من الناس وقعوا فيه ، فانه يصدر ممن يعتقد أنه لا اله الا الله وأنه لا يضر ولا ينفع . ولا يعطى الا الله ، وأنه لا اله غيره ، ولا رب سواه ، ولكن لم يخلص لله فى معاملته وعبوديته ، بل يعمل لحظ نفسه تارة وطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة ، فجعل نصيبا من عمله لله ونصيبا لنفسه وغيره من الشيطان أو الخلق أو هواه .

ومن الصعب تحديد هذا الشرك وايراد الأمثلة له ، لكثرتها وسعتها فهى متفرقة هنا وهناك فى قلوب الناس ، ولكن من الممكن أن نجملها فى قول محمد الغزالى :(٣)

(واذا رأيت المرء يحب غير الله أكثر مايحب الله ، ويخاف العبد أكثر ما يخاف الرب ، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مايتعلق برب الناس ، ويصدر عمله ابتغاء رضاهم أكثر مما يطلب ثواب الآخرة . فاذا نزلت به نكبة كان تفكيره فى فلان قبل

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الحج ، آية ٧٥ .

(٢) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الواسطة بين الحق والخلق ، الطبعة الرابعة ، (المكتب الاسلامى ، بيروت، ١٣٩٩ هـ) ص ٧ .

(٣) انظر ترجمته ص ٩٠ من هذا البحث .

تفكيره في الله ، وإذا أصابه خير كان حمده لفلان أسبق من شكره لله ، فاعلم أن هذا الشخص قد أشرك) .[١]

وإذن ، فالشرك بكل أنواعه خطر على التوحيد ، لأنه يمكن أن يتداخل في جميع جوانب الأعمال والنيات . وهنا نتساءل : فما مصير الأعمال التي تدخل في هذا النوع من الشرك ؟ وعن هذا يقول ابن القيم[٢] :

(وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا ، فإنه ينزله منزلة من لم يعمله ، فيعاقب على ترك الأمر فإن الله سبحانه وتعالى إنما يأمر بعبادته خالصة - لله - قال الله تعالى : " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء"[٣] فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به ، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل منه) .[٤]

ويقول الرازي[٥] (فإن حصل منه داع آخر - أي في أعماله - فإما أن يكون جانب الداعي الى الطاعة راجحا على الجانب الآخر أو معادلا له ، أو مرجوحا وأجمعوا على أن المعادل والمرجوح ساقط ، وأما إذا كان الداعي الى طاعة الله راجحا على الجانب الآخر فقد اختلفوا في أنه هل يفيد أم لا) .[٦]

---

(١) محمد الغزالي ، عقيدة المسلم ، ص ٧٧ .

(٢) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

(٣) القرآن الكريم ، سورة البيّنة ، آية ٥ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، الجواب الكافي ، ص ٩١ .

(٥) انظر ترجمته ص ٤٩ من هذا البحث .

(٦) فخرالدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج ٢٦ ، ص ٢٣٩ .

ولكن لما نظرنا الى قوله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)[1] وجدنا أنه يمكن القول بأن ذلك العمل لا حظ له من الثواب، يقول الذهبي[2] عن معنى الآية : (الأعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور)[3] .

٢ - موقف القرآن من الشرك :

ولخطر هذا الشرك بكل أنواعه فقد جاء القرآن الكريم بموقف صريح واضح ضد كل أنواع الشرك . فمن هذه المواقف :

١ - ان الشرك اثم عظيم .

يقول القرآن الكريم (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما)[4] .

ويؤيد هذا حديث مسلم[5] عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل : (أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك .)[6]

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الفرقان ، آية ٢٣ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى ، شمس الدين أبو عبد الله ، حافظ ، مؤرخ ، محقق ، مولد سنة ٦٧٣ هـ ، بدمشق ، وتوفى فيها سنة ٧٤٨ هـ . ومن كتبه منها دول الاسلام ، الكبائر ، المغنى وغير ذلك . الاعلام جـ ٥ ص ٣٢٦ .

(٣) محمد بن أحمد ، شمس الدين الذهبى ، كتاب الكبائر (بيروت ، دار الفكر) ص ١١ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة النساء آية ٤٨ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ٤٦ من هذا البحث .

(٦) رواه مسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٢ ، ص ٨٠ .

معه : من وزير ، أوظهير، أوعون . وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير اليه بذاته .

واما أن يظن أن الله سبحانه انما تتم قدرته بقدرة الشريك .

واما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة ، أولا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم ، أو لا يكفي عبده وحده ، أولا يفعل مايريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة . . . . . ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن ترفع تلك الحاجات اليه . . . . ، وكل هذا تنقيص للربوبية ، وهضم لحقها ، ولو لم يكن فيه الا نقص محبة الله تعالى وخوفه ورجائه ، والتوكل عليه ، والانابة اليه ، من قلب المشرك ، بسبب قسمته ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به ، فينقص ويضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء ، بسبب صرف أكثره أوبعضه الى من عبده من دونه ـ لكفى في شناعته .

فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه والتنقص لازم له ضرورة ، شاء المشرك أم أبى . ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره ، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ، ويجعله أشقى البرية . فلا تجد مشركا قط الا وهو متنقص لله سبحانه . . .) (١)

ثانيا : الشرك مصدر للمخاوف والقلق :

قال الله تعالى : (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا) (٢) لأن العقل الذى يقبل الخرافات ويصدق الأباطيل يصبح

---

(١) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان ، جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١٥١ .

خائفا من كل تلك الآلهة وسدنتها ، ومن كل الأقوال والأوهام التى نشرتها سدنة تلك الآلهة . ولهذا يظل حياتهم الخوف والرعب والقلق من غير سبب ظاهـــر .

وقال محمد الغزالى[(١)] : (وله -أى المؤمن -عواطف تجيش بالأمـن والقلق ، والسخط والرضا ، والحب والبغض ، والوحشة والأنس ، ومهما اضطربت فى نفسه هذه المشاعر المتنادة ، فان ضوابط اليقين تحكمها ، وعرفانه بربه هو الذى ينقضها أو يبرمها)[(٢)] .

فالايمان الخالص بالله تعالى هو الذى يجعل القلب مطمئنا ومستقرا فى كل أحواله ، كما قال الله تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[(٣)] .

ثالثا : الشرك مصدر لاهانة النفس واستعبادها لغير الله :

ان الانسان قد أكرمه الله باستخلافه فى الأرض وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، وجعل له السيادة على كل ما فى الكون ، قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كمـــا استخلف الذين من قبلهم)[(٤)] .

وقال الله تعالى : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا)[(٥)] .

---

(١) انظر ترجمته ص ٩٠ من هذا البحث .
(٢) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، ص ٧٦ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة الرعد ، آية ٢٨ .
(٤) القرآن الكريم ، سورة النور ، آية ٥٥ .
(٥) القرآن الكريم ، سورة الجاثية ، آية ١٣ .

ولذلك نهى الله تعالى أن يسجد الناس لهذه المخلوقات ، فقال الله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهنّ ان كنتم ايّاه تعبدون) (١) . لأن سجود الانسان وطاعته لهذه المخلوقات اهانة وحط لقدره ومنزلته ، يقول المودودى (٢) :

(ان الذين يبتلون بهذا الشرك المنبعث من التوهم والاعتقاد بالخرافات يصبحون لقمة سائغة لكل أفّاك يحترف الشعوذة والدجل ...) (٣) .

رابعا : الشرك هدم لكيان الفرد والمجتمع :

ان الاعتقاد بالشرك معناه قلب الأوضاع ، لأنه جعل الحق باطلا وجعل الباطل حقا ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تبنى قواعد المجتمع والجماعات على أسس سليمة ، لأن مستلزمات الشرك هى الكذب والجشع والحقد والعدوان والاستعباد والاذلال . وهى كلها موجودة فى بيئة الشرك والمشركين لأن الأوضاع عندهم مقلوبة والحقائق مطموسة . يقول المودودى (٤) :

(ان هذه النظرية - أى الآلهة المتعددة - لا تزود العلوم والفلسفة والآداب والعمران والسياسة بأساس مستقل أو مبدأ ثابت ، ولا يتأتى من هؤلاء الآلهة الكاذبة الخيالية نوع من الهداية للبشر ، حتى يهتدوا بها ويقفوا أثرها

---

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ، آية ٣٧ .

(٢) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٣) أبوالأعلى المودودى ، الاسلام والجاهلية ، (مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م) ص ٢٠ .

(٤) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث .

وانما العلاقة الانسانية بتلك الآلهة لا تعدوا أن تقوم بطقوس من العبودية طمعا فى استجلاب فضلهم ورغبة فى استمطار شآبيب لطفهم) .(١)

ثم يقول : (فالهيئة الاجتماعية المؤسسة على قواعد الشرك تحذو المجتمع الجاهلى المحض وتسلك فى حياتها العملية تلك الطرق المعوجة بعينها) (٢)

كما أن الشرك يسبب المشاكل فى المجتمع كالحروب والقلق والفوضى ... وما الى ذلك . ويقول محمد خليل هراس :(٣)

(فالشرك يؤدى الى انفراط نظام العقد الانسانى الذى يتحول الى فوضى لا ضابط لها ولا رابط ، يسودها الخوف ويخيم عليها القلق ، وتتخللها الحروب التى لا تنتهى والتى تسببها الأطماع التى لا تنتهى ، وحينئذ تصبح الحياة شقاء لا سعادة فيه وجحيما لا يطاق ، يعذب فيه البشر بعضهم بعضا) .(٤)

---

(١) أبو الأعلى المودودى ، الاسلام والجاهلية ، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه من علماء الأزهر الشريف بمصر .

(٤) محمد خليل هراس ، دعوة التوحيد ، الطبعة الثانية ، (مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما) ص ٨٧ .

الفصل الثاني

تثليث المسيحية ليس من التوحيد

جعلت تثليث المسيحيين بحثا خاصا في هذا الفصل ولم أدخله في الفصل السابق وهو الشرك ،على الرغم أن التثليث شرك ،لأن المسيحيين ادعوا أنهم موحدون ،ولم يقولوا انهم مثلثون مشركون ،فقالوا بوحدية في تثليث وتثليث في وحدية ،كيان واحد في ثلاثة أقانيم .(١)

ولذلك كان الاعتقاد مناقضا للتوحيد الصحيح وخطرا عليه .

أ - التثليث في المسيحية :

وبعد أكثر من ثلاثة قرون من رفع المسيح عليه السلام حدثت اختلافات حادة بين المسيحيين حول شخص المسيح عليه السلام .. أهو رسول من عند الله فقط ،أو له منزلة أكثر من ذلك .

وقد تدخل قسطنطين الرومان في الأمر ،وحاول الوفاق بين الآراء ،فجمع المختلفين في نيقية سنة ٣٢٥ م ،وقرروا ألوهية المسيح ،وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم .... الخ (٢) : وذكر الشهرستاني (٣) قرارهم فيما يلي :.

---

(١) انظر محمد أبو زهرة ،كتاب محاضرات في النصرانية ،الطبعة الخامسة ، (دار الفكر العربي ،القاهرة ، ١٣٩٧هـ) ص١٦١ .

(٢) انظر المصدر نفسه ،ص ١٥١ - ١٥٣ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شيء من أجلنا ، ومن أجل معشر النـاس ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار انسانـا ، وحبل به ، وولد من مريم البتول ، و قتل وصلب أيام بيلاطوس ،(١) ودفن ، ثـم قام فى اليوم الثالث ، وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو للمجـيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء) .(٢)

وهذا القرار وافق عليه ٣١٨ أسقفا وخالفهم فى ذلك نحو ١٧٠٠ أسقف، وذلك بمساندة السلطة التى أعطاها قسطنطين لهم فى هذا المجمع .(٣)

وبعد مرور حوالى نصف قرن من انعقاد مجمع نيقية انتشرت عنـد المسيحيين أفكار تقول بأن " روح القدس" ليس باله ، ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قرارا فى هذا الأمر ، فاختلفت المسيحيون فى اثبات هذا الاله ، فعقدوا مجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١ م (٤)

فذكر ابن البطريق(٥) بعض ما قرره هذا المجمع : (الايمان بروح القـدس

---

(١) لم أعثر على ترجمته .

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، الملل والنحل ، جـ ٢ ص ٢٨ .

(٣) انظر محمد أبوزهرة ، كتاب محاضرة فى النصرانية ، ص ١٥١ و ١٥٣ .

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .

(٥) هو سعيد بن البطريق ، طبيب مؤرخ ، من أهل مصر ، ولد بالفسطاط سنة ٨٧٧ م ، وأقيم بطريركا فى الاسكندرية وهو أول من أطلق اسم اليعاقبـة

====

الرب الحي المنبثق من الأب الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد ، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص ، وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم ، اله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة .) (١)

وبهذين المجمعين تم التثليث عند المسيحيين كما أثبت ذلك الدكتور بوست (٢) فى قوله : (طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالى الآب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفداء ، والى الروح القدس التطهير) . (٣)

وبذلك تقرر التثليث فى الديانة المسيحية وأصبح هو العقيدة الرسمية التى يجب أن يعتنقها كل مسيحى ويحكم بكفر من يقول بغيرها ، يقول على عبد الواحد وافى (٤) :

= على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعى . و من كتبه : نظم الجواهر . الاعلام جـ ٣ ، ص ٩٢ .

(١) من كلام ابن البطريق فى كتاب محاضرات النصرانية ، لمحمد أبو زهرة ص ١٦١ .

(٢) هو جورج ادورد ابن الدكتور الفريد بوست ، طبيب وجراح من العلماء بالنبات ، أميركى الأصل ، مستعرب ، ولد فى نيويورك سنة ١٨٣٨م ، وتوفى سنة ١٩٠٩م ، استاذا للطب والجراحة والنبات فى مدرسة الأمريكية بيروت ، احدى وأربعين سنة . ومن كتبه : مبادىء علم النبات ، وعلم الحيوان ، وغير ذلك . الاعلام جـ ٢ ص ١٤٤ .

(٣) من كلام الدكتور بوست فى كتاب محاضرة النصرانية لمحمد أبوزهرة ص ١١٨ .

(٤) حصل على دكتوراه فى الأدب من جامعة باريس ، عضو المجمع الدولى لعلم

=

(وأخذت المذاهب المسيحية فى المرحلة الأولى تتلاشى شيئا فشيئا ويتضاءل عدد أتباعها ، حتى انقرضت كل الانقراض ، سواء فى ذلك مذاهب الفرق التى كانت محافظة على التوحيد ، أم مذاهب الفرق التى انحرفت عن التوحيد الى عقائد أخرى غير عقيدة التثليث ، ولكنهم جميعا مع ذلك يتسترون وراء كلمات التوحيد ......) (١) .

ثم أمر المجمع بتحريق جميع الكتب التى تخالف ذلك القرار ، وحرمت الكنيسة قراءة الكتب التى تناقض ذلك القرار ، وفرض أن لا يصل أى شىء منها الى الناس غير ما وافق رأى المجمع . (٢)

وعلى هذه العقيدة تتفق جميع كنائس النصارى ، كما يقول نوفل بن نعمة الله ابن جرجس النصرانى (٣) :

(ان عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس ، وهى أصل

= الاجتماع ، عميد كلية الآداب بجامعة أم درمان ، وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر ، ووكيل كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة سابقا . الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة ، لعلى عبد الواحد وافى . انظر غلاف الأول .

(١) على عبد الواحد وافى ، الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ، (القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١م) ص ١١٢ .

(٢) انظر كتاب محاضرات فى النصرانية ، لمحمد أبو زهرة ص ١٥١ و ١٥٣ .

(٣) أديب مترجم ، من أهل طرابلس الشام ، ولد سنة ١٨١٢م ، وتوفى سنة ١٨٨٧م ، وكان يحسن التركية والفرنسية ، ومن كتبه ، سوسنة سليمان فى =

الدستور الذى بينه المجمع النيقاوى ...)[١] أى اثبات ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام .

ولقد بذل كتّاب المسيحية جهودهم فى اثبات عقيدة التثليث بأدلة حاولوا استخراجها من كتبهم المقدسة ، حتى قال بعضهم (أما الآيات الالهية -أى فى كتبهم - التى تثبت لاهوت المسيح فهى كثيرة جدا ....)[٢] .

ومن أدلتهم :

ما ذكر فى العهد القديم من قول الله بلسان أشعياء النبى :

(ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل)[٣]. أى الله معنا .

وقوله (لأنه يُولد لنا ولد ونُعطى ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أباً أبَدِيّاً رئيس السلام)[٤] .

وفى انجيل متى حين تجلى المسيح وعمد شهد له الله من السماء قائلا :

(هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت)[٥] .

= أصول العقائد والأديان ، وحقوق الامم وغير ذلك . الاعلام جـ ٨ ص ٥٥ .

(١) من كلام نوفل بن نعمة الله فى كتابه محاضرات النصرانية ، لمحمد أبو زهرة ص ١١٧ .

(٢) من كلام صاحب كتاب الأصول والفروع فى كتاب محاضرات فى النصرانية ، ص ١٢٣ .

(٣) الكتاب المقدس(القاهرة ، دار الكتاب المقدس ، مطبعة دار علمى للطباعة ، ١٩٧٠) انظر العهد القديم ، أشعياء ٧ : ١٤ ، ص ١٠٠٠ .

(٤) المصدر نفسه ٩ : ٦ ، ص ١٠٠٢ .

(٥) انجيل متى ٣ : ١٧ .

ويشهد له يوحنا قائلا (فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . . . كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان) .(١)

وقوله : (والكلمة صار جسدا وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا ، كما للوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا) .(٢)

ويقول يوحنا ان المسيح نفسه قال (أنا والآب واحد) .(٣)

وغير ذلك من آيات كتابهم .

والقديس أغسطين(٤) لما عرض لمسألة الثالوث قال :

(ان للآب والابن شيئا غيره ، وان كان الأب ذاتا والابن شيئا آخر وروح القدس شيئا غيره ، وان كان الأب ذاتا والابن ذاتا وروح القدس ذاتا كذلك ، ومثل هذا الاتحاد كاتحاد النار ولهيبها وهو جوهر واحد) .(٥)

ونحو ذلك فى مثل هذا المعنى من أدلتهم .

ب ـ ابطال عقيدة التثليث :

سأقدم أدلة فى ابطال عقيدة التثليث المسيحية من الآيات القرآنية ،

---

(١) انجيل يوحنا ١ : ١ - ٣ .
(٢) انجيل يوحنا ١ : ١٤ .
(٣) انجيل يوحنا ١٠ : ٣٠ .
(٤) هو أغسطين عازار الحلبى ، المتوفى سنة ١٨٨٨م ، من قسوس حلب . ومن كتبه ، وحدة النفس البشرية ، وغيره . الاعلام جـ ١ ، ص ٣٣٥ .
(٥) ذكر هذا القول عباس محمود العقاد فى كتابه ، الله ، الطبعة السادسة (مصر ، دار المعارف) ص ١٧٠ .

ومن كتاب المسيحية المقدس .. ومن آراء علماء المسلمين ومن علماء المسيحيين أنفسهم ، مبينا أن هذه العقيدة مناقضة للتوحيد الصحيح .

وهذه هي الأدلـــة :

أولا : من القرآن الكريـم :

وقد عرض القرآن زيف عقيدة التثليث على أى نحو من أنحائها ، وأنكر دعوى ألوهية المسيح أو بنوته ، وبيّن موقف عيسى عليه السلام فى هذا المقام ، وأعلن مفهوم العبودية الصحيحة لله سبحانه وتعالى ، وأثبت أن المسيح عليه السلام بشر ، وأنه مؤيد بوحى من الله ، وانه جاء ونادى بعقيدة التوحيد .

فأوضح الله فى القرآن الكريم موقف عيسى عليه السلام ~~حين~~ عندما يسأله ربه فى الآخرة :

(واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفّيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد) (١) .

وحكى القرآن الكريم ما قاله عيسى عليه السلام عن نفسه :

(قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيّا . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيّا .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ١١٦ - ١١٧ .

والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّا . ذلك عيسى ابن مريم قـــول الحق الذى فيه يمترون) .(١)

وأثبت القرآن الكريم أن من اعتقد ألوهية المسيح وأن الله ثالث ثلاثـة فهو كافر تحرم عليه الجنة . قال الله تعالى :

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيـــح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربّى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليـه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم) .(٢)

وقال الله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قديـــــر) .(٣)

فهذه النصوص صريحة بأن عيسى عليه السلام لم يدع فى حياته الا الى التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى ، وأنه بشر مثل غيره من البشر الآخرين . وما كـــان الا رسولا من رب العالمين .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة مريم ، آية ٣٠ - ٣٤ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٧٢ - ٧٣ .
(٣) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ١٧ .

ثانيا : من أناجيل المسيحية :

وردت في أناجيل المسيحية عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح عليه الصلاة والسلام بشر ورسول من الله تعالى . وهذه العبارات منها :

١ - قول المسيح عليه الصلاة والسلام : (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) (١) .

ومعنى هذا القول : (فبين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وان عيسى عليه السلام رسوله ، وما قال ان الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي وأن عيسى انسان واله أو أن عيسى اله مجسم ...

واذا ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدها يكون موتا أبديا وضلالا بينا ألبته . والتوحيد الحقيقي ضد للتثليث الحقيقي ... ، وكون المسيح رسولا ضد لكونه الها ، لأن التغاير بين المرسِل والمرسَل ضروري) (٢)

٢ - يروي يوحنا في انجيله قول عيسى عليه السلام : (قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد الى أبي . ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي

---

(١) انجيل يوحنا ١٧ : ٣ .

(٢) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق ، (المطبعة العامرة ، ١٣٠٥ هـ) ، ج ٢ ، ص ٢ ، وانظر أيضا ص ٣٦ ، وخصوص ٢٢ - ٢٧ .

لهم انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم) .(١)

ويعلق ابن تيمية(٢) على هذا القول : (ان صحت هذه العبارة عن المسيح المعصوم عليه الصلاة والسلام فانه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه . والموجود فى كتبهم تسمية الرب أبا وتسمية عباده أبناء ،كما يذكرون أنه قال فى التوراة ليعقوب اسرائيل ،"أنت ابنى بكرى " .وفى الزبور : "أنت ابنى وحبيبى " وفى الانجيل فى غير موضع يقول المسيح" أبى وأبيكم . . . ."

فان كان هذا صحيحا ، فالمراد بذلك أنه الرب المربى الرحيم ، فان تربية الله لعباده أكمل من تربية الوالدة لولدها ، فيكون المراد بالأب الرب، والمراد بالابن عنده المسيح الذى رباه) .(٣)

وأضاف الأستاذ رحمة الله الهندى(٤) قائلا :

(فسوى بينه وبين الناس فى قوله " أبى وأبيكم والهى والهكم " لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا أنه اله أو ابن اله ، فكما أن تلاميذه عباد الله وليسوا

---

(١) انجيل يوحنا ٢٠ : ١٦ - ١٧ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٣) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ،الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، (مطابع المجد التجارية) ج ٢ ص ٩٧ .

(٤) هو رحمة الله بن خليل الله بن الحكيم ، نجيب الله . . . ، ولد سنة ١٢٣٣هـ فى مدينة كرانة فى الهند . وهو من أحد علماء الهند البارزين ، توفى فى مكة سنة ١٣٠٤هـ ومن مؤلفاته ، اظهار الحق ، وازالة الأوهام ، وأصح الحديث فى ابطال التثليث ، وغير ذلك . انظر مقدمة اظهار الحق تحقيق وتقديم وتعليق احمد حجازى السقا ، ص ٢٨ - ٣٠ .

بأبناء الله حقيقة بل بالمعنى المجازي . فكذلك هو عبد الله وليس بابن الله حقيقة . ولما كان هذا القول بعد ما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل العروج بقليل ثبت أنه كان يصرح " بأني عبد الله" الى زمان العروج . وهذا القول يطابق ما حكي الله عنه في القرآن المجيد (ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) (١) (٢)

٣ - ذكر مرقس في انجيله عن عيسى عليه الصلاة والسلام قوله :

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب) . (٣)

وهذا القول خصص المسيح عليه السلام صراحة علم القيامة بالله ونفاه عن نفسه ، وكذلك نفاه عن الآخرين من عباد الله ، وسوى بينه وبينهم فيه فهذا يدل على بطلان التثليث ، وان المسيح اله .

٤ - وروى متى ما يلي :

(واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أيّ صلاح أعمل لتكون لي الحيواة الأبدية . فقال له لماذا تدعوني صالحا ، ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله) . (٤)

وبين رحمة الله الهندي (٥) معنى هذا القول بقوله :

(فهذا القول يقلع أصل التثليث ، وما رضي تواضعا أن يطلق عليه لفظ الصالح

---

(١) القرآن الكريم سورة المائدة ، آية ١١٧ .

(٢) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٣) انجيل مرقس ١٣ : ٣٢ .

(٤) انجيل متى ١٩ : ١٦-١٧ .

(٥) انظر ترجمته ص ٣٤٣ من هذا البحث .

أيضا ، ولو كان الها لما كان لقوله معنى ولكان عليه أن يبين لا صالح الا الأب وأنا وروح القدس ، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة . واذا لم يرض أن يقال له الصالح فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلاتهم) .[1]

٥ - وفي انجيل متى أن المسيح عليه الصلاة والسلام صرح بأن الله واحد . قال المسيح : (ولا تدعو لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح) .[2]

وغير ذلك مما أثبت أن تثليث المسيحية باطل في العقل والشرع ، وأنه من البدع التي ابتدعوها . يقول ابن تيمية :[3]

(ان قولهم بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب ، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحواريين ، بل هي لفظة ابتدعوها) .[4]

ثالثا : من علماء المسلمين :

والناظر الى عقيدة التثليث يجد الآلهة الثلاثة ، أو الأقانيم الثلاثة منفصلة بعضها عن الآخر ، ولكن المسيحيين يقولون ان الآلهة واحد في ثلاثة ، وثلاثة في واحد . ولذلك صار الأمر معقدا لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم .

---

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق ، ج ٢ ، ص ٤ .

(٢) انجيل متى ٢٣ : ٩ - ١٠ .

(٣) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٤) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

يقول ابن تيمية (١) :

(وقولهم : فالاله واحد ، خالق واحد ، رب واحد ، هو حق فى نفسه ، لكن قد نقضوه بقولهم فى عقيدة ايمانهم " نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، مساو الأب فى الجوهر " . فأثبتوا هنا الهين ، ثم أثبتوا روح القدس الها ثالثا ، وقالوا انه مسجود لـه ، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ، ويقولون انما تثبت الها واحدا ، وهو تناقض ظاهر ، وجمع بين النقيضين ، بين الاثبات والنفى .

ولهذا قال طائفة من العقلاء : ان عامة مقالات الناس يمكن تصورها الا مقالة النصارى ، وذلك ان الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا ، بل تكلموا بجهل ، وجمعوا فى كلامهم بين النقيضين ....) (٢) .

والمسيحيون يرون أن التثليث لا يتنافى مع معتقدهم فى توحيد الاله فى جوهره وحدوث العالم بقدرته المفردة ، ويضربون لذلك مثلا بالشمس ونورها المنبثق عنها وغيره من الأمثلة لتقريب هذه العقيدة المتناقضة الى العقول .

يقول ابن القيم (٣) :

(ان دين الأمة الصليبية ، بعد أن بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم ، بل قبله بنحو ثلاثمائة سنة ، مبنى على معاندة العقول والشرائع وتنقص اله العالمين ورميه بالعظائم ، فكل نصرانى لا يأخذ بحظه من هذه البليّة فليس بنصرانى على الحقيقة .

---

(١) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الجواب الصحيح ، جـ ٢ ص ١٥٥ .

(٣) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

أفليس هو الدين الذى أسسه أصحاب المجامع المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ؟ .

فياعجبا ! كيف رضى العاقل أن يكون هذا مبلغ عقله ومنتهى علمه ؟ . أفترى لم يكن فى هذه الأمة مَنْ يرجع الى عقله وفطرته ، ويعلم أن هذا عين المحال ، وان ضربوا له الأمثال ، واستخرجوا له الأشباه . فلا يذكرون مثالا ولا شبها الا وفيه بيان خطئهم وضلالهم) (١) .

ويقول أحمد شلبى (٢) :

(الايمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة ، تلك هى محاولة التوفيق بين الوحدانية التى هى سمة الأديان السماوية والتى قالت بها التوراة بصراحة وبين القول بعبادة الثالوث ، وحينئذ جد جدهم ، وجندوا جنودهم وأعطوا عقولهم وقالوا كلاما يوفقون به بين الوحدانية والتثليث ، ولكنهم عندما قالوا ذلك لم يكونوا يقنعون به وصرحوا بعدم اقتناعهم أحيانا) (٣) .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) تلقى دراسته فى الأزهر وفى كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، وفى جامعة لندن وجامعة كمبردج ، اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة أستاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى ، والحضارة الاسلامية ، له عدة مؤلفات منها المسيحية ، موسوعة التاريخ الاسلامى وغير ذلك . انظر كتابه المسيحية .

(٣) احمد شلبى ، المسيحية ، الطبعة السادسة ، (القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م) ص ١٢٩ .

فعقيدة التثليث المسيحية لا يستسيغها العقل ، كما أن هذه العقيدة لا تعتمد على دليل عقلى يقول أبوزهرة (١) :

(ونرى أنهم - أى المسيحيين - لم يعتمدوا فى اثبات تلك العقيدة - أى التثليث - على أى دليل عقلى ، بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحملونه من أثقال المعانى ما تنوء به العبارات ، ولا تحتمله أبعد الاشارات ، وانهم اذا حاولوا أن يربطوا قضية التثليث بالعقل حاولوا جهد الطاقة أن يجعلوا العقل يستسيغها فى تصوره ، ويحسّون أن العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التصور) (٢) .

رابعا : من علماء المسيحيين :

سأورد بعض أقوال المسيحيين حول عقيدة التثليث التى تبين أن هذه العقيدة باطلة ، من تلك الأقوال :

١ - ما قاله أريوس (٣) حين سأله المجتمعون فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م عن شخصية المسيح عليه السلام :

(أقول ان الآب كان اذ لم يكن الابن ، ثم أحدث الابن ، فكان كلمة له ، الا أنه محدث مخلوق ، ثم فوض الأمر الى ذلك الابن المسمى كلمة ، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما ، كما قال فى انجيله ، اذ

---

(١) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه من أحد علماء الأزهر البارزين ، وله عدة مؤلفات منها كتاب محاضرات فى النصرانية ، الديانات القديمة ، وأصول الفقه ، وغير ذلك .

(٢) محمد أبو زهرة ، كتاب محاضرات فى النصرانية ، ص ١٢٥ .

(٣) لم أعثر على ترجمته ، الا أنه كان قسيسا بالاسكندرية ، وهو رئيس فرقة

=

يقول : وهب لى سلطانا على السماء والأرض ، فكان هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك . ثم ان تلك الكلمة بعدُ تجسّدت من مريم العذراء ومن روح القدس ، فصار ذلك مسيحا واحدا ، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد ، الا أنهما جميعا مخلوقان) . (١)

٢ - نقل احمد شلبى (٢) عن دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

(ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، وكان قانعا بنسبه العادى ابنا لمريم منسوبا من جهة الأب الى يوسف النجار) . (٣)

٣ - وذكر ان جريدة " التايمز " ١٥ يوليو سنة ١٩٦٦ ذكرت أن وثيقة دينية اكتشفت حديثا ، وقد جاء فيها ما ترجمته :

(تعتقد المسيحية أن عيسى ابن الله المقدس ، ولكن مؤرخى الكنيسة يسلمون بأن أكثر أتباع المسيح فى السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبى آخر لبنى اسرائيل) . (٤)

= المسيحيين الموحدين ، حضر مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، ونادى فيه بأن المسيح ليس باله ، راجع محمد أبوزهرة ، كتاب محاضرات فى النصرانية ص ١٧٩ وغيرها .

(١) من كلام أريوس فى اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن قيم الجوزية جـ ٢ ص ٢٧١ .

(٢) انظر ص ٢٤٧ من هذا البحث

(٣) نقلا عن المسيحية ، أحمد شلبى ، ص ١٥٠ .

(٤) نقلا عن المصدر نفسه .

٤ - (ان دعاة الاصلاح قد أعادوا البحث فيها خلال القرن السادس عشر فوقف الأكثرون منهم عند التعبيرات القديمة ، وخالفهم سوسينس فـــى مسألة الطبيعة الالهية . . . ، فنفى عن المسيح كل الهية ، وتفرع على مذهبه مذهب الموحدين الذى نشأ فى بولونية وقرر أن الاله لا يحل فى البشر وان السيد المسيح انسان كسائر الناس) . (١)

٥ - ونقل عن ميير (٢) قوله :

(ينبغى أن يلاحظ أن عيسى لم يدّع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية ولا من الناحية الفكرية العقلية ، وانما من الناحية العامة التى تضعكل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب فى التعلق بـــه والاعتماد عليه والحاجة اليه) . (٣)

وبهذا القدر أكتفى فى تقديم الأدلة على ابطال عقيدة التثليث عند المسيحيـــــة .

---

(١) عباس محمود العقاد ، الله ، ص ١٦٩ .

(٢) ذكره احمد شلبى ولم أعثر على ترجمته .

(٣) نقلاعن احمد شلبى ، المسيحية ، ص ١٤٨ .

الفصـــل الثالـــث

وحدة الوجود مناقضة للتوحيد وليست منـــه

١ - معنى وحدة الوجـــود :

من الصعب عليّ أن أحدد معنى وحدة الوجود بكل دقة ، ولكن من الممكن أن أجمع المعنى المشترك بين معتنقيه كما يقول محمد فريد وجدى . (١) :

(يصعب ايراد كل فلسفة وكل ديانة جعلت أساسها هذا المذهـــب - أى وحدة الوجود - كل على حدتها . وانما يكفى أن يعلم القارىء الأصل المشترك بين الجميع) . (٢)

ولهذا أود أن أورد هنا بعض أقوال وآراء العلماء فى هذا الصدد .

يقول ابن تيمية (٣) فى بيان معنى وحدة الوجود (ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ، ليس وجودها غيره ولا شىء سواه ألبتة) . (٤)

---

(١) هو محمد فريد بن مصطفى وجدى ، مؤلف دائرة المعارف . . . ولد بالاسكندرية سنة ١٢٩٥ هـ ، وأقام زمنا فى دمياط ، توفى بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ ، وتولى تحرير مجلة " الأزهر" نيفا وعشر سنين ، وله عـــدة مؤلفات منها : دائرة معارف القرن العشرين ، والاسلام فى عصر العلم وغير ذلك . الاعلام جـ ٦ ، ص ٣٢٩ .

(٢) محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن العشرين ، الطبعة الثالثة ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٧١م) ، جـ ١٠ ، ص ٦٧٤ .

(٣) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٤) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ، جـ ٤ ، ص ٤ .

ويقول ابن القيم (١) في بيان فكرة وحدة الوجود وهو أكثر تفصيلا :
(انه ما ثم وجود قديم خالق ووجود حادث مخلوق ، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله ، وهو حقيقة وجود هذا العالم . فليس عند القوم رب وعبد ، ولا مالك ومملوك ، ولا راحم ومرحوم ، ولا عابد ومعبود ، ولا مستعين ومستعان به ولا هادى ومهدى ، ولا منعم ومنعم عليه ، ولا غضبان ومغضوب عليه ، بل الرب هو نفس العبد وحقيقته ، والمالك هو عين المملوك والراحم هو عين المرحوم والعابد هو نفس المعبود . وانما التغاير أمر اعتبارى بحسب مظاهر الذات وتجلياتها فتظهر تارة فى صورة معبودة ، كما ظهر فى صورة فرعون ، وفى صورة عبد كما ظهرت فى صورة العبيد ، وفى صورة هاد كما فى صورة الأنبياء والرسل والعلماء ، والكل من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة ، فحقيقة العابد ووجوده ، أو انّيته : هى حقيقة المعبود ووجوده وانيته) (٢) .

فأصحاب وحدة الوجود يوحدون الله والعالم ، ويزعمون أن كل شىء هو الله ، كما يعتبرون الانسان - مثلا - فى هذا الكون من الموجودات التى لا حقيقة له فى نفس الأمر وليس له وجود مستقل بنفسه وانما اتخذها الله تعالى ذريعة لظهور وجوده . ولذلك اعتبر صاحب وحدة الوجود الموجودات كلها مظاهر خارجية لموجود واحد .

وتسمى وحدة الوجود بالاتحادية، أو مذهب أهل التجلى والمظاهر والحضرات ، كما تسمى بالوجودية .

---

(١) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .
(٢) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، جـ ١ ، ص ٦٠ .

يقول ابن تيمية :[1] (وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان :

الاول : لا يرضونه لأن الاتحاد على وزن الاقتران ، والاقتران يقتضي شيئين

اتحد أحدهما بالآخر وهم لا يقرون بوجودين أبدا .

والثاني : صحة ذلك بناء على أن الكثرة صارت وحدة) .[2]

ويقول ابن خلدون[3] : (ويسمى هذا المذهب - أي مذهب وحدة

الوجود - مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات) .[4]

والأستاذ المودودي[5] سمى أهل وحدة الوجود بالوجودية .[6]

وذكرت دائرة معارف القرن العشرين أن وحدة الوجود صار اسما

معروفا وأطلق على مذهب أو رأي خاص في أوروبا بعد القرن الثامن عشر

الميلادي . وأما قبله فلم تتلقب بها ، تقول :

(توجد فلسفات وديانات أساسها هذا المذهب - أي وحدة الوجود -

ولكن لا يوجد نظام مذهبي عام يصح أن يكون نموذجا لهذه الفلسفات والديانات

---

(١) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل جـ ٤ ، ص ٥ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون ، أبو زيد ، الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من اشبيلية ، ومولده بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، توفي في القاهرة سنة ٨٠٨ ، وله عدة كتب منها : المقدمة والعبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر .
الاعلام جـ ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٤) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، (مصر ، المكتبة التجارية الكبرى) ص ٤٧١

(٥) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٦) أبو الأعلى المودودي ، الاسلام والجاهلية ، ص ٢٤ .

فى أدوار التاريخ ، فقد وجدت أولا مذاهب أو ديانات خاصة قالت بوحدة الوجود ، ثم أطلق عليها هذا الاسم بعد ذلك . فلم تتلقب واحدة منها بهذا اللقب قبل القرن الثامن عشر ، ولم تقبله واحدة منها من ذلك الحين الا بتحفظ . وأول من أطلق هذا الاسم على هذا المذهب فى أوروبا الانجليزى " تولاند " سنة ١٧٠٥ م فى كتاب ألفه ، فطعن هذا المؤلف فى جميع الأديان وزعم أنها من وضع الكهان والملوك لاخضاع الشعوب ، ثم قال : وأما الدين الحق فهو دين الذين خلصوا من أسر الأوهام والعقائد الموروثة ، ورأوا أن الله روح العالم وقيومه ، وهو ليس بمنفصل عن العالم الا فى وهمنا فقط . وسمى هؤلاء الرجال بالموحدين للوجود (Pantheistes) . من هذا الحين أطلق القسوس والمؤلفون هذا الاسم على مذهب يرون فيه آثارا من هذه العقيدة) . (١)

٢ - أصل فكرة وحدة الوجود :

ونظرية وحدة الوجود ليست مما عرفه العرب قديما ولا أصحاب الأديان السماوية ، ولكنها فكرة وافدة . واختلف الباحثون فى تحديد أصل فكرة وحدة الوجود .

وعن أخلاق الهندى يروى أحمد شلبى (٢) (وفى فلسفة الهند الاخلاقية المسماة " ويدانت " وردت العبارة التالية : هذا الكون كله ليس الا ظهورا للوجود الحقيقى الأساسى ، وأن الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق ، وأن الحياة كلها

---

(١) محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن العشرين جـ ١٠ ، ص ٦٩٨ .

(٢) انظر ترجمته ص ٣٤٧ من هذا البحث .

أشكال ذلك القوة الوحيدة الأصيلة) .[١]

وثبت أيضا أن فكرة وحدة الوجود فى الفكر الانسانى القديم ليست مقتصرة على الهنود وحدهم ولكنها انتشرت فى الامم الأخرى كالصينيين[٢] ، والمصريين القدماء[٣] والرواقيين[٤] والايليين[٥] والافلاطونية الحديثة[٦] .

ومن الممكن القول بأن فكرة وحدة الوجود تخطر فى عقول الناس حين يحاولون أن يروا أو يدركوا ذات الله أو الخالق بحواسهم الظاهرية المشرية . يقول عبد المنعم خلاف[٧] :

(لقد غزا مذهب وحدة الوجود عقول بعض الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم ان طلبوا أن يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التى يدركون بها

---

(١) أحمد شلبى ، أديان الهند الكبرى ، الطبعة الرابعة ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٦م) ص ٦٨ .

(٢) انظر محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن العشرين ، ج ١٠ ص ٧٠٠ .

(٣) انظر المصدر نفسه ج ١٠ ، ص ٧٠٢ .

(٤) انظر محمد البهى ، الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ، الطبعة الخامسة ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م) ص ٢٦٥ ، ومحمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ، ص ٧٠٢ .

(٥) انظر المصدر السابق ج ١٠ ، ص ٢٥٤ .

(٦) انظر محمد البهى ، الجانب الالهى ص ١٢١ ، وجميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، (دار الكتاب المصرى ، ودار الكتاب اللبنانى ١٩٧٩م) ج ٢ ص ٥٦٩ .

(٧) لم أعثر على ترجمته .

الطبيعة والعقل البشرى المخلوق لإدراك النسب بين الكائنات الطبيعية وحدها أولا ، فلما عجزوا عن روءيته تعالى وادراكه كما هو المنتظر ذهبوا الى أنه لابد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر ...) [1] .

ثم ظهرت هذه الفكرة عند بعض فلاسفة أوروبا كما حدث عند اسبينوزا [2] وهيجل [3] . يقول جميل صليبا [4] (ولمذهب وحدة الوجود عدة صور جديدة كوحدة الوجود الاسبينوزية التى تقرر أن الله وحده هو الموجود الحق ، ووحدة الوجود المثالية (هيجل) [5] التى تقرر أن الله هو الروح الكلى الكامن فى الأرواح الجزئية) [6] .

---

(١) ذكره أنور الجندى ، الموءامرة على الاسلام ، (دار الاعتصام) ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) ولد سنة ١٦٣٤م وتوفى سنة ١٦٧٧م ، وهو من فلاسفة الأوربية الكبار ، كان يهوديا ولكن حرمه اليهود من الانتماء اليهم ، انتقلت أسرته من اسبانيا الى هولندا ، وموءلفه الرئيسى "الأخلاق" نشر بعد مماته ، انظر ، برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة محمد فتحى الشنيطى ، (القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م) جـ ٣ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) ولد سنة ١٧٧٠م ، وتوفى سنة ١٨٣١م ، كان قادة لفلاسفة الأكاديميين فى أمريكا وفى بريطانيا فى نهاية القرن التاسع عشر ، وأثرت فلسفته فى التاريخ تأثيرا عميقا فى النظرية السياسية . انظر المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٤) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، موءلف المعجم الفلسفى ، ولم أعثر على ترجمته .

(٥) تقدمت ترجمته ص ٣٥٦ من هذا البحث .

(٦) جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، جـ ٢ ، ص ٥٦٩ .

ويقرر الفيلسوف سبينوزا أنه : (لا شك فى أن الطبيعة هى اللـــه ، ولكن لا يجوز أن يفهم من لفظ الطبيعة الأشياء المحسوسة ، بل قواها العاملة فيهـــا) .(٢)

فهذه النصوص تتضمن فكرة وحدة الوجود عند فلاسفة أوربا ،

٣ ـ الرد القرآني لفكرة وحدة الوجود :

الآيات القرآنية صـــريحة فى أن الله شئ ، والعالم شئ آخر ، فلا يكون العالم هو الله ، ولا يكون الله هو العالم ، وان هذا الكون ليس مظاهر لله ولكنه من خلق الله تعالى ، وان كان هناك آيات تصرح أن الله تعالى مـــع عباده أينما كانوا ، لكن هذه المعية ليس معناها أن الله والمخلوق شئ واحد . ومن تلك الآيات :

قوله تعالى (أم خُلقوا من غير شئ أم هم الخالقون) .(٣)

وفى معنى هذه الآية يقول ابن تيمية :(٤) (يقول أخلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ولهذا قال جبير بن مطعم(٥) لما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية ، أحسست بفوءادى قد انصدع . فقد علموا أن الخالق لا يكون هو المخلوق بالبديهة ...)(٦) ولهذا فلابد أن هناك مخلوقا وخالقـــا ،

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٥٦ من هذا البحث .

(٢) ذكره محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧٠٥

(٣) القرآن الكريم ، سورة الطور ، آية ٣٥ .

(٤) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٥) أبو عدى ، صحابى ، كان من علماء قريش وسادتهم ، توفى بالمدينـــة سنة ٥٩ هـ ، له ٦٠ حديثا . الاعلام ج ٢ ، ص ١١٢ .

(٦) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٣٧ .

وهما وجودان اثنان متغايران ،فليسا شيئا واحدا .

وقوله تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .(١) فالكائنات آيات دالة على وجود الخالق وليست هى ذات الله تعالى . يقول ابن تيمية :(٢) (واذا كان عندهم -أى أهل وحدة الوجود -أن المرئى بالعين هو الله ، فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين) .(٣) فالموجودات آيات دالة على وجود الله تعالى مع ماله من صفاته الكمالية ، وليست الموجودات نفس ذات الله تعالى .

هناك آيات قرآنية تصرح بأن الله تعالى مع عباده أينما كانوا ، ولكن هذه المعية ليس معناها أن الله شىء واحد مع عباده ، بل هما غيران كما صرحت بذلك الآيات :

قوله تعالى (.... يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم ...) .(٤)

وقوله تعالى (.... ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ...) .(٥)

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ، آية ١٦٤ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ، ص٢٨ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الحديد ، آية ٤ .

(٥) القرآن الكريم، سورة المجادلة ، آية ٧ .

هذه الآيات تفيد أن الله تعالى مع عباده ، ومادام هو مع غيره فلا يكون غيره نفسه ولا بالعكس . يقول ابن تيمية : (١)

(فلو كان الخلق عموما وخصوصا ليسوا غيره ولا هم معه ، بل ما معه شيء آخر امتنع أن يكون هو مع نفسه وذاته ، فان المعية توجب شيئين وبطل قولهم - أي أهل وحدة الوجود - أنه - أي الله - عين المخلوقات) . (٢)

٤- ردود علماء المسلمين على فكرة وحدة الوجود :

وفي هذا المقام أورد آراء علماء المسلمين في وحدة الوجود وانكارهم لهـا وردودهم عليها ، حفاظا على عقيدة الاسلام أن يختلط بها ما ليس منها ، أو يداخلها شيء فيعيب عنها ، يقول الأصفهاني : (٣)

(والذي يدل على امتناعه - أي امتناع اتحاد الله تعالى بالمخلوقات - أنه لو اتحد الواجب بغيره فان بقيا بعد الاتحاد موجودين فهما بعد ان اثنان متميزان لا واحد وهذا ينافي الاتحاد وان لم يبقيا موجودين لم يتحدا ، لأنه ان عدم أحدهما بقي الآخر ، فان كان المعدوم هو الثاني والباقي هو الأول لم يتحقق الاتحاد أصلا ، وان كان المعدوم هو الأول والباقي هو الثاني فكذلك لم يتحقق الاتحاد أصلا) . (٤)

---

(١) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل ، ج ٤ ، ص ٩٦ .

(٣) هو محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد ، أبو الثناء ، شمس الدين الأصفهاني ، أو الأصبهاني ، مفسر ، كان عالما بالعقليات ، ولد في اصبهان سنة ٦٧٤ هـ وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٩ هـ . ومن كتبه ، مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار ، أنوار الحقائق الربانية وغير ذلك . الأعـلام ج ٧ ، ص ١٧٦ .

(٤) محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني ، مطالع الأنظار على طوالع الأنوار . شركت علمية درسعادت ، ١٣٠٥ هـ . ص ٣٢٩ .

وأثبت ابن تيمية[1] تناقض آراءهم بقوله : (من قال ان الله يحل فى المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال ، وهذا تثنية عندهم واثبات لموجودين (أحدهما) وجود الحال و (الثانى) وجود المخلوق المحل ، وهم لا يقرون باثبات وجودين البتة)[2] .

وابن القيم[3] ناقش فكرة وحدة الوجود ووصل الى أنها تتناقض مع العقل السليم ، يقول : (ان الربوبية المحضة تقتضى مباينة الرب للعالم بالذات ، كما باينهم بالربوبية ، وبالصفات والأفعال ، فمن لم يثبت ربا مباينا للعالم ، فما أثبت ربا ، فانه اذا نفى المباينة لزمه أحد أمرين ، لزوما لا انفكاك له عنه البتة .

اما أن يكون هو نفس هذا العالم ، وحينئذ يصح قوله : فان العالم لا يباين ذاته ونفسه ، ومن هنا دخل أهل الوحدة ، وكانوا معطلة أولا ، واتحادية ثانيا .

واما أن يقول : ما ثم رب يكون مباينا ولا محايثا ، ولا داخلا ولا خارجا كما قالته الدهرية المعطلة للصانع .

وأما هذا القول الثالث المشتمل على جمع النقيضين : اثبات رب مغاير للعالم مع نفى مباينته للعالم ، واثبات خالق قائم بنفسه ، لا فى العالم ولا خارج العالم ، ولا فوق العالم ولا تحته .... ، فقول له خبىء ، والعقول لا تتصوره حتى تصدق به ، فاذا استحال فى العقل تصوره ، فاستحالة التصديق به أظهر

---

(١) انظر ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٢) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ، ج ٤ ، ص ٤ .

(٣) انظر ترجمته ص ٨ من هذا البحث .

وأظهر ، وهو منطبق على العدم المحض ، والنفي الصرف ، وصدقه عليه - أي القائل به - أظهر عند العقول والفطر من صدقه على رب العالمين) .(١)

وروى أن العلماء والمشايخ من الحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الأولين والآخرين اتفقوا على تكفير أصحاب وحدة الوجود .(٢)

وأما بعض المسلمين الذين أخذوا بفكرة وحدة الوجود فيرى ابن تيمية(٣) أن السبب في ذلك هو البعد عن اتباع المنهج السلفي الصحيح وقلة العلم والايمان . يقول :

(وهؤلاء الاتحادية وأمثالهم انما أوتوا من قلة العلم والايمان بصفات الله التي يتميز بها عن المخلوقات ، وقلة اتباع السنة وطريقة السلف في ذلك بل قد يعتقدون من التجهم ما ينافي السنة ، تلقيا لذلك عن متفلسف أو متكلم فيكون ذلك الاعتقاد صادا لهم عن سبيل الله) .(٤)

٥- أثر فكرة وحدة الوجود في افساد الحياة والمجتمع :

مذهب وحدة الوجود ليس حربا طاحنة على العقيدة الاسلامية الصحيحة في الالهية وغيرها فقط ، ولكنه يؤدي الى تحطيم أسس المجتمع السليمة الصحيحة يقول المودودي(٥) :

---

(١) ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين جـ ١ ، ص ٦١ .

(٢) انظر احمد بن ابراهيم بن عيسى ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٥ من هذا البحث .

(٤) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، نقض المنطق ، ص ٤٩ .

(٥) انظر ترجمته ص ٢٩٧ من هذا البحث.

(والطريق الذى يختاره الانسان فى حياته متشعبا بهذه النظرية انه يصبح يشك فى وجوده نفسه ،فضلا أن يجدّ ويجتهد ويشق له طريقاعطيا فى مضمار الحياة . انه يحسب نفسه دمية مصنوعة من خشب لا تتحرك الا بتحريك صانعها أو بحركة الصانع الكامن فى صورتها . ويكاد يضل فى بيداء أخيلته وأحلامه ،ولا يعرف غاية للحياة يطمح اليها ببصره ومنهاجا للعمل ليسلكه فى حياته اليومية ،بل يخيل اليه أنه ليس بشىء فى هذا الكون الواسع ،وليس فيه عمل يمكنه أن يضطلع به ،وكذلك ما فى مكنته أن يقوم بشىء اذا أراد ويرى أن الوجود الكلى الذى يحيط بهذا الكون ويسرى وجوده فى وجوده وفى سائر الموجودات من لدن بدء الخليقة الى ما شاء أن يحيط به ويسرى فيه ،هو الذى يرجع اليه العمل كله وهو الذى يفعل ما يشاء ويقضى كل شىء ،فان كان متصفا بالكمال فلا شك فى كون وجودى أيضا كاملا ،فلماذا هذا الجد والكفاح ؟)(١)

والنتائج العملية لهذه النظرية أنهم يختارون طريق من آثروا نظرية الجاهلية المحضة ،لأن هذا الرأى يسلم زمام أمره للشهوات وتسير به الأهواء عن رضى ومن غير تحرج ،ظنا منه أن الذى يذهب ويسير هو الوجود الكلى والتبعة والمسئولية عليه ، لا على الوجود الجزئى الحقير .(٢)

ان فكرة وحدة الوجود خطر على الفرد والمجتمع لأنها تهدف الى جعل الأمر فوضى واباحية ،تنتقض كل شرعة وقانون ونظام ، وتشن حربا طاحنة على الاسلام .(٣)

---

(١) أبوالأعلى المودودى ،الاسلام والجاهلية ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٢٥ .

(٣) انظر عبد الرحمن الوكيل ،مصرع التصوف ،الطبعة الاولى ، (مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ) ص ١٠٥ ،حاشية رقم "١" .

الفصـــل الرابـــع

الحلول ينافى التوحيـد وليس منـه

لما بعد الناس عن مصدر النبوة ونورها الساطع ، وقل عدد الصحابة والتابعين الذين أخذوا من هذا النور بأوفر نصيب كان ذلك مسوغ لظهـور الخلاف والبدع .

فبعد اتساع الفتوح ودخول كثيرين فى الاسلام مما لهم ثقافات مختلفة ، دخلت الأفكار الأجنبية الى ساحته ، فاختلطت الأفكار الاسلامية الصافيـة بالأفكار الخارجة عنه كالحلول وغيره .

١ـ معنـى الحلـول :

قال البستانى (١) : (الحلول فى اصطلاح العلماء عبارة عن اتحـاد جسمين بحيث تكون الاشارة الى أحدهما اشارة الى الآخر ، كحلول ماء الورد فى الورد .

ومنه مذهب الحلول فى اصطلاح الفلاسفة الذين يعتقدون أن الله حال فى كل شىء وفى كل جزء من كل شىء متحدا به حتى صار يصح أن يطلق علـى كل شىء أنه الله وان الله كل شىء) (٢) .

---

(١) هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستانى ، صاحب " دائرة المعارف العربية . عالم واسع الاطلاع ، ولد ونشأ فى لبنان ، واستعان به المرسلون الأميركيون على ادارة الأعمال فى مطبعتهم وعلى ترجمة التوراة من العبرية الـى العربية . له مؤلفات منها : دائرة المعارف ، مسك الدفاتر ، وغير ذلك ، ولد سنة ١٨١٩م وتوفى سنة ١٨٨٣ . الاعلام جـ ٢ ، ص ٥٨ .

(٢) بطرس البستانى ، دائرة المعارف ، (بيروت ، دار المعرفة) جـ٧ ، ص ١٥٧ .

وذكر التهانوى [١] معان أخرى منها :

ان الحلول (هو اختصاص شئ بشئ بحيث تكون الاشارة الى أحدهما عين الاشارة الى الآخر) [٢] .

ومنها أن (الحلول هو الاختصاص الناعت أى التعلق الخاص الذى به يصير أحد المتعلقين نعتا للآخر والآخر منعوتا به . والأول أعنى الناعت يسمى حالا ، والثانى المنعوت يسمى محلا ، كالتعلق بين البياض والجسم) [٣] .

فأصحاب الحلول يعتقدون بأنه يجوز على الله أن يحل فى مخلوقاته حسب مايريده الله كحلوله فى انسان أوحيوان أو نبات أوغيرها ، فيتحد مع ذلك المخلوق .

٢ - نشأة فكرة الحلول فى الجماعة الاسلامية :

ومن الصعب التحديد والجزم متى دخلت فكرة الحلول الى الجماعة الاسلامية عن طريق اليونانيين أو البراهمة أو النصارى أوغيرها . [٤] وقد أخذ

---

(١) هو محمد بن على ابن القاضى محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى الحنفى التهانوى ، باحث هندى ، له كتاب " كشاف اصطلاحات الفنون " توفى سنة ١١٥٨ هـ . الاعلام ، جـ ٦ ، ص ٢٩٥ .

(٢) محمد التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق : لطفى عبد البديع ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م) جـ ٢ ، ص ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

(٤) أثبت البستانى أن اليونان اعتقدوا بفكرة الحلول . انظر دائرة المعارف جـ ٧ ص ١٥٨ . وذكر محمد أبوزهرة أن البرهمة فى الهند ، والمصريين القدماء اعتقدوا بفكرة الحلول ، أنظر محمد أبوزهرة ، الديانات القديمة ،

==

فكرة الحلول جماعة من المسلمين كما يقول الغزالي [١] (مال الى ذلك - أى الحلول - طائفة كبيرة من محققى الصوفية وجماعة من الفلاسفة) [٢] .

وأكد الأشعرى [٣] أن من الصوفية من يعتقدون بالحلول ، فقال (وفى النساك من الصوفية من يقول بالحلول وان البارىء يحل فى الأشخاص وأنه جائز أن يحلّ فى انسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص) [٤] .

ثم قال : (وأصحاب هذه المقالة اذا رأوا شيئا يستحسنونه قالوا : لا ندرى لعل الله حال فيه) [٥] .

وقد روى الايجى [٦] أنه عند غلاة الشيعة [٧] (لا يمتنع أن يظهر الله

= ص ٢٧ و ١٥ ، وثبت أن المسيحيين اعتقدوا بفكرة الحلول . انظر محمد أبو زهرة كتاب محاضرات فى النصرانية ، ص ١٥١ - ١٦٦ .

(١) تقدمت ترجمته ص ٧ من هذا البحث .

(٢) أبوحامد الغزالى ، فضائح الباطنية ، تحقيق : عبد الرحمن بدوى ، (الكويت ، مؤسسة دار الكتب الثقافية) ص ١٠٩ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٠ من هذا البحث .

(٤) أبوالحسن الأشعرى ، مقالات الاسلاميين ، جـ ١ ، ص ٨١ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٨٢ .

(٦) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار ، أبو الفضل ، عضد الدين الايجى ، عالم بالأصول والمعانى والعربية ، من أهل ايج بفارس ، وأنجب تلاميذا عظاما ، مات سنة ٧٥٦ هـ ، ومن تصانيفه المواقف ، والعقائد العضدية ، وغير ذلك ، الاعلام جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٧) خصوصا عند النصيرية والاسحاقية من الشيعة ، انظر المواقف ص ٢٧٥ .

تعالى فى صورة بعض الكاملين ، وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم وهو العترة الطاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم التام ، والقدرة التامة من الأئمة ولم يتحاشوا عن اطلاق الآلهة على أئمتهم) (١) .

ويقول البغدادى (٢) (الحلولية فى الجملة عشر فرق (٣) كلها كانت فى دولة الاسلام ، وغرض جميعها القصد الى افساد القول بتوحيد الصانع ، وتفصيل فرقها فى الأكثر يرجع الى غلاة الروافض) (٤) .

ويقول ابن حزم (٥) (من فرق الغالية ، الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل ، فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى (٦) لعنه الله أتوا

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد الايجى ، المواقف فى علم الكلام ، (القاهرة ، مكتبة المتنبى ، دمشق ، مكتبة سعد الدين ،) ص ٢٧٥ .

(٢) انظر ترجمته ص ١٩٨ من هذا البحث .

(٣) ذكر البغدادى هذه الفرق العشرة وهى : السبئية ، البيانية ، الجناحية الخطابية ، الشريعية والنميرية ، الرزامية ، المقنعية ، الحلمانية ، الحلاجية ، العذافرة . انظر عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٢٥٤ - ٢٦٤ .

(٤) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٤ .

(٥) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى ، أبو محمد ، عالم الأندلس فى عصره ، وأحد أئمة الاسلام ، كان فى الأندلس خلق كثير ينتسبون الى مذهبه . ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، وتوفى سنة ٤٥٦ هـ . وله تصانيف كثيرة منها : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، والمحلى ، وغير ذلك . الاعلام جـ ٤ ص ٢٥٤ .

(٦) أصله من اليمن ، كان يهوديا وأظهر الاسلام ، وهو رأس الطائفة السبئية

الى عليّ بن أبي طالب[١] فقالوا مشافهة : أنت هو ، فقال لهم ومن هو ؟ قالوا أنت الله . فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأججت وأحرقهم فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار الا الله) .[٢]

وزعمت غلاة الشيعة أن الله حل فى النبى صلى الله علي وسلم وفى عليّ وفى الحسن وفى الحسين وفاطمة[٣]، وبعضهم قالوا بجواز حلول الله فى أبناء فاطمة والأئمة .[٤]

والغرض من هذا كله افساد عقيدة التوحيد فى الأمة كما قال البغدادى[٥] (الحلولية فى الجملة عشر فرق كلها كانت فى دولة الاسلام ، وغرض جميعها القصد الى افساد القول بتوحيد الصانع)[٦] ولهذا فان فكرة الحلول خطر على الحياة الانسانية الاعتقادية والاجتماعية .

= التى تقول بألوهية عليّ ، وقد يقال له ابن السوداء ، ومن مذهبه رجعة النبى صلى الله عليه وسلم . الاعلام ج ٤ ، ص ٨٨ .

(١) انظر ترجمته ص ٢٤ من هذا البحث .

(٢) ابن حزم ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، (مكتبة المثنى ، بغداد) ج ٤ ص ١٨٦ .

(٣) راجع ص ٣٢١ من هذا البحث .

(٤) احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٥) انظر ترجمته ص ١٩٨ من هذا البحث .

(٦) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٤ .

٣ - من آثار فكرة الحلول فى الانسان :

ان فكرة الحلول بعد أن حطت أهلها الى محبة الذات والأجسام انتقلت الى عبادة تلك الذوات المحبوبة والخضوع لها سواء من الحيوانات الذليلة أوغيرها ، فيسلب كرامة الانسان وأفضليته . يقول محمد أبو زهرة (١) :

(ومهما يكن من شئ فالمصريون كانوا يعبدون الحيوان ، ولا يمكن أن يكون سبب منطقى قد دفعهم الى ذلك بل لابد أن يكون الدافع وهما باطلا وخيالا فاسدا ، لأن ذلك الاعتقاد باطل ، فلا يمكن أن يوصل اليه الا نظر منحرف وفكر غير قويم ، ومقدمات لا تمت الى المنطق) . (٢)

كما أن فكرة الحلول تؤدى الى اعتقاد تناسخ الأرواح ، وجعل وجود الله وجودا متنقلا ، وهو لا يليق بجلال الله تعالى وقدسيته . يقول أنور الجندى (٣) (ويرى المسلمون أن فكرة الحلول تنقض رسالة الاسلام فى وحدة الله وتنزيهه عن الخلق ، وهى لكونها تستتبع فكرة التناسخ تجعل من الله موجودا متنقلا ، وذلك يتنافى مع بعض صفاته تعالى كالبقاء والقيام بالنفس . . .) . (٤)

ويرى البستانى (٥) أن فكرة الحلول تؤدى الى عدم الاعتراف بالشر والألم ،

---

(١) انظر ص ٣٤٨ من هذا البحث .

(٢) محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، (دار الفكر العربى) ص ١٦ .

(٣) انظر ص ٣٥٦ من هذا البحث .

(٤) انور الجندى ، الاسلام والعالم المعاصر ، الطبعة الاولى (بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) ، ص ٢٥٤ .

(٥) انظر ترجمته ص ٣٦٣ من هذا البحث .

فيقول (ان الحلوليين لا يعترفون بأن الألم شر ، لأنهم يعتبرون كل الجزئيات رموزا وظواهر خارجية ، فيكون ما يترتب عليها من العلاقات والفروض أضغاث أحلام)[1] وهذا طبعا خطأ وضاد لنظام الهيئة الاجتماعية ، لأنهم لا يعترفون بحقيقة الشيء ولا قوانينه ولا نظمه .

(١) بطرس البستانى ، دائرة المعارف ، ج ٧ ، ص ١٥٧ .

الخاتمـــــــــــة

تتضمن هذه الخاتمة القاء نظرة عاجلة عما تضمنته هذه الرسالة ، ليقف القارئ على مضمون محتوياتها ، ويتلخص ذلك فى أمور :

(١) بيان معنى التوحيد والمراد الحقيقى به فى الاسلام الذى لا يختلف فيه العلماء ، ثم اظهار معنى التوحيد الباطل الذى يعنيه بعض الناس كالفلاسفة والمعتزلة وأصحاب وحدة الوجود وغيرهم ، موضحا بطلان تلك المعانى .

(٢) شرح ما تضمنه توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الأسماء والصفات مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة وآراء العلماء والأدلة العقلية .

(٣) بيان أن القرآن الكريم تحدث عن قضية وحدانية الله تعالى أكثر من غيرها من القضايا والمسائل العقائدية الأخرى . فقد هاجم القرآن الكريم المشركين ، وجادلهم وناقشهم لأجل التوحيد .

(٤) ان التوحيد أساس الدين وأعظم أركانه ، وأنه أول دعوة كل رسول من الذين أرسلهم الله من أولهم الى آخرهم ، فمن لم يوحد الله تعالى فلا يكون مسلما ولا مؤمنا ، بل ولا ينبغى له أن يستقر فى أرض الله .

(٥) أن التوحيد أساس المجتمع السليم ، وأصل سعادة الانسانية فى حياتهم الدنيوية ، قال الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . . .) (١) .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، آية ٩٦ .

كما أن مصير الانسان بعد موته متعلق بتوحيده لله تعالى فى حياته الدنيوية . فان كان مشركا فقد توعده الله بأن مصيره الى النار ، وأنه محروم من الجنة ، قال الله تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) .(١)

(٦) ان الشرك بكل أنواعه مناف ومضر وخطر على التوحيد . فان العمل الذى لا يخلص لوجهه سبحانه وتعالى كالهباء المنثور لا يستفيد منه صاحبه ، وقد يجره الى النار .

(٧) ان هناك من يدعى أنهم موحدون حقيقيون كأصحاب وحدة الوجود والمسيحيين ومن على شاكلتهم ، ولكنهم فى الحقيقة يهدمون التوحيد ويفسدونه ، وليسوا من أهله .

(٨) ان المسلمين الأول كانوا يطبقون مضمون كلمة التوحيد " لا اله الا الله " فى شئون حياتهم ، ومن أجل ذلك صاروا خير أمة أخرجت للناس .

(٩) ان طريق السلف هو الطريق الأسلم فى البحث عن ذات الله وأسمائه وصفاته .

(١٠) ان التوحيد يقتضى طاعة الله وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فى جميع أوامرهما ونواهيهما خالصا لوجه الله .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٧٢ .

فهـــرس المراجـــــع

(أ) القــرآن الكريــم

(ب) كتــب التفاسيــر

١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى . أبو سعيـد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى .بيروت : مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .

٢ - تفسير القرآن العظيم . أبوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى . تصحيح نخبة من العلماء . مصر : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣ - التفسير الكبير . فخرالدين أبوعبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الرازى (ت : ٦٠٦ هـ) . الطبعة الثانية . طهران : نشـر دار الكتب العلمية .

٤ - تفسير النسفى . أبوالبركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى . بيروت نشر دار الكتاب العربى .

٥ - التفسير القيم للامام ابن القيم . جمعه محمد أويس الندوى . تحقيق محمد حامد الفقى . دارالكتب العلمية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٦ - الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فــرح الانصارى القرطبى . القاهرة : نشر دار الكاتب العربى للطباعـة والنشر ،المكتبة العربية ١٣٨٧ هـ -١٩٦٧م .

٧ - جامع البيان فى تفسير القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت : ٣١٠هـ) .بيروت : دارالفكر ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
وتحقيق محمود شاكر . مصر : دار المعارف .

٨ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى (ت : ١٢٧٠هـ) . بيروت دار احياء التراث العربى .

٩ - فتح القدير . محمد بن على بن محمد الشوكانى .بيروت : دارالمعرفة للطباعة والنشر .

١٠- فى ظلال القرآن . سيد قطب . الطبعة الشرعية الثامنة .بيروت : دار الشروق ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م .

(ج) كتب الاحاديث

١١- الاذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار . محى الدين أبى زكريا يحيى ابن شرف النووى الدمشقى الشافعى (ت : ٦٧٦) . بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

١٢- تحفة الذاكرين . محمد بن على بن محمد الشوكانى اليمانى الصنعانى . بيروت : دار الكتب العلمية .

١٣- حاشية السندى على سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى .بيروت : دار احياء التراث العربى . مطابع الشركة العامة .

١٤- سنن الدارمى . الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى (ت : ٢٥٥هـ) . نشر دار احياء السنة النبوية .

١٥- سنن النسائى . الحافظ أبوعبدالرحمن بن شعيب النسائى (ت: ٣٠٣ هـ)
بيروت : داراحياء التراث العربى ، مطابع الشركة العامة .
ومعه شرح جلال السيوطى وحاشية السندى .

١٦- سنن ابن ماجه . الحافظ أبوعبدالله محمدبن يزيد القزوينى ابن ماجه
(ت : ٢٧٥ هـ) . تحقيق وترقيم وتبويب وتعليق محمد فؤاد
عبدالباقى . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٧٢م .

١٧- سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح . الحافظ أبوعيسى محمدبن عيسى
بن سورة الترمذى (ت : ٢٧٩ هـ) . الطبعة الثانية . تحقيق
وتصحيح عبدالوهاب عبداللطيف . دار الفكر ، ١٣٩٤ هـ -
١٩٧٤م .

١٨- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الأحكام . محمدبن اسماعيل
الصنعانى (ت : ١١٨٢ هـ) . مراجعة محمدخليل هراس .
نشر مكتبة الجمهورية العربية . مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما .

١٩- شرح جلال الدين السيوطى على سنن النسائى . بيروت : داراحياء
التراث العربى . مطابع الشركة العامة .

٢٠- صحيح البخارى . الحافظ أبوعبدالله محمدبن اسماعيل البخارى (ت :
٢٥٦ هـ) . بيروت : داراحياء التراث العربى . طبعة شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده . القاهرة : ١٣٧٨ هـ
١٩٥٨م .

٢١- صحيح مسلم . الحافظ أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت : ٢٦١ هـ) بشرح النووى . الطبعة الاولى . بيروت : دار احياء التراث العربى ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .

٢٢- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى . الحافظ محمد بن عبد الله ابن العربى المالكى . بيروت : مكتبة المعارف ، دار العلم للجميع .

٢٣- فتح البارى بشرح صحيح الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الامام ابن حجر العسقلانى (ت : ٨٥٢ هـ) . قرأ أصلـــه تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلة نسخة المطبوعة والمخطوطـــة عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقى أشرف على طبعه محب الدين الخطيب . المملكة العربية السعودية نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعـــوة والارشاد .

٢٤- متن الأربعين النووية . محى الدين أبو زكريا يحى بن شرف النـــووى . مصر : مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٥٠ هـ .

٢٥- موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان . نورالدين على بن أبى بكر الهيثمى تحقيق محمد عبد الرزاق حمزه . المطبعة السلفية .

٢٦- المسند . الامام أحمد بن محمد ابن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) . بيروت : المكتب الاسلامى ، دار صادر . وشرح احمد محمد شاكر . مصـــر : دار المعارف ، ١٣٧٧ - ١٩٥٧ .

٢٧- المستدرك على الصحيحين فى الحديث . أبو عبد الله محمد الحاكـــم النيسابورى . الرياض : نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، ١٩٦٨ .

(د) كتب العقائد والفرق والأديان

٢٨- الايمان . لأبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى الدمشقى (ت : ٧٢٨ هـ) . تصحيح وتعليق محمد خليل هراس . القاهرة : دار الطباعة المحمدية .

٢٩- اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) . تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقى . بيروت : دار المعرفة .

٣٠- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به . أبوبكر بن الطيب المعروف بالباقلانى . (ت : ٤٠٣ هـ) . الطبعة الرابعة . القاهرة : دار الكاتب العربى ١٩٦٧م .

٣١- أصول الدين . أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى . (ت : ٤٢٩ هـ) . الطبعة الثانية . بيروت : دار الكتب العلمية توزيع دار الباز مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٣٢- ايثار الحق على الخلق . أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليمانى ، المعروف بابن الوزير (ت : ٨٤٠ هـ) . بيروت : دار الكتب العلمية .

٣٣- احياء علوم الدين . أبو حامد محمد بن أحمد الغزالى (ت : ٥٠٥ هـ) . مصر : دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣٤- الاسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . عبد العزيز المحمد السلمان . الطبعة العاشرة . الرياض : مطابع النصر الحديث ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٣٥- الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام . الدكتور على عبد الواحد وافى . القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧١ .

٣٦- اظهار الحق . رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى . المطبعة العامرة ١٣٠٥هـ .

٣٧- أديان الهند الكبرى . الدكتور احمد شلبى . الطبعة الرابعة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٦ .

٣٨- البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد . الطبعة الثانية . أصدرته رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية . مكة : مطابع دار الثقافة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٣٩- تلبيس ابليس . جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى . (ت : ٥٦٧ هـ) . نشر وتصحيح وتعليق ادارة الطباعة المنيرية . بيروت : دار الكتب العلمية .

٤٠- التذكرة فى احوال الموتى وأمور الآخرة . شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الانصارى القرطبى (ت : ٦٧١ هـ) تحقيق الدكتور احمد حجازى السقا . المكتبة العلمية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٤١- تجريد التوحيد . تقى الدين احمد بن على المقريزى (ت : ٨٤٥) . مكتبة السلام العالمية .

٤٢- تفسير أسماء الله الحسنى . أبو اسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج (ت : ٣١١هـ) . تحقيق ونشر أحمد يوسف الدقاق . دمشق مطبعة محمد هاشم الكتبى ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .

٤٣- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الامام ابن القيم . احمد بن ابراهيم بن عيسى . الطبعة الثمانية . بيروت : المكتب الاسلامى ، ١٣٩٢هـ .

٤٤- تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد . سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . الطبعة الرابعة . بيروت : المكتب الاسلامى ، ١٤٠٠هـ .

٤٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن عبد الحليم ابن تيمية . مطابع المجد التجارية .

٤٦- حجة الله البالغة . ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

٤٧- درء تعارض العقل والنقل . لشيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تحقيق محمد رشاد سالم . مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١م .

٤٨- دلائل النبوة . احمد بن عبد الله الأصبهانى (ت : ٤٣٠ هـ) . بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر .

٤٩- الدرر السنية فى الأجوبة النجدية . عبد الرحمن بن قاسم النجدى . الطبعة الثالثة . بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٥٠- الديانات القديمة . محمد أبو زهرة . القاهرة . دار الفكر العربي .

٥١- رسالة التوحيد . محمد عبده . الطبعة الثالثة . بيروت : دار احياء العلوم ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

٥٢- الرسالة التدمرية . أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الطبعة الثانية . تحقيق زهير الشاويش . بيروت : المكتب الاسلامي ١٣٩١ هـ .

٥٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقضاء والقدر والحكمة والتعليل . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ) . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٥٤- الشامل في أصول الدين . امام الحرمين عبد الملك بن أبي عبد الله الجويني (ت : ٤٧٨هـ) تحقيق وتقديم علي سامي النشار ، فيصل بديرعون ، سهير محمد مختار . الاسكندرية : مطبعة شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ١٩٩٦ م .

٥٥- شرح العقيدة الطحاوية . علي بن محمد بن أبي العز (ت : ٧٩٢ هـ) . الطبعة الخامسة . تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء . تخريج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني . بيروت : المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ .

٥٦- شرح العقيدة الأصفهانية . أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تقديم وتعريف حسنين محمد مخلوف . دار الكتب الحديثة .

٥٧- شرح العقائد النسفية . مسعود بن عمر بن سعد الدين التفتازاني (ت : ٧٩٢ هـ) . بغداد . مكتبة المثنى .

٥٨- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية . تصحيح وتعليق اسماعيل الأنصاري . مراجعة عبد الرزاق عفيفي .

٥٩- شرح الأصول الخمسة . القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (ت : ٤١٥ هـ) . الطبعة الاولى . تحقيق وتقديم عبد الكريم عثمان . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م .

٦٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية . تحقيق ومراجعة عبد الله بن ابراهيم الأنصاري . قطر : مطابع الدوحة الحديثة .

٦١- عقيدة الفرقة الناجية . اعداد وتقديم عبد الله حجاج . القاهرة : دار الوحي ، ١٤٠٠هـ .

٦٢- عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي . اعداد د . علي سامي النشار ، عمار جمعي الطالبي . الاسكندرية منشأة المعارف ، ١٩٧١ .

٦٣- العقائد . حسن البنا . القاهرة : دار الشهاب ، ١٩٧٨ .

٦٤- غاية المرام في علم الكلام . سيف الدين علي بن محمد الآمدي ت : (٦٣١ هـ) . تحقيق حسن محمود عبد اللطيف . القاهرة : مطابع الأهرام التجارية ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٦٥- الفوائد . أبوعبدالله محمد بن أبى بكر الجوزية . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٦٦- الفرق بين الفرق . أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى (ت: ٤٢٩ هـ) تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . القاهرة : مطبعة المدنى . نشر مكتبة محمد على صبيح وأولاده .

٦٧- الفصل فى الملل والأهواء والنحل . على بن أحمد ابن حزم الظاهرى . بغداد : مكتبة المثنى .

٦٨- فضائح الباطنية . أبوحامد الغزالى . تحقيق عبد الرحمن بدوى . الكويت مؤسسة دار الكتب الثقافية .

٦٩- كتاب هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى . أبوعبدالله محمد ابن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية . القاهرة : نشر المكتبة القيمة ، ١٣٩٨ .

٧٠- كتاب الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى . أبوعبدالله محمد ابن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية . بيروت : دار الكتب العلمية .

٧١- كتاب الأسماء والصفات . أبو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى (ت : ٤٥٨ هـ) . ومعه كتاب فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان . تصحيح محمد زاهد الكوثرى الحنفى . بيروت : دار احياء التراث العربى .

٧٢- كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل . محمد بن اسحاق ابن خزيمة . مراجعة وتعليق محمد خليل هراس . القاهرة : نشر مكتبة الكليات الأزهرية . دار الشرق للطباعة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

٧٣- كتاب الكبائر . شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي . (ت : ٧٤٨هـ) . بيروت : دار الفكر .

٧٤- كتاب التوحيد . محمد بن عبد الوهاب . الرياض : نشر مكتبة المعارف . مطبعة دار النصر للطباعة الاسلامية ، القاهرة .

٧٥- الكتاب المقدس . (العهد القديم والعهد الجديد) . القاهرة : دار الكتاب المقدس .

٧٦- لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد . عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقديسي (ت : ٦٢٠هـ) . الطبعة الثانية . القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٩٧هـ .

٧٧- مجموعة الرسائل والمسائل . شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . تخريج وتعليق محمد رشيد رضا . أصدره لجنة التراث العربي .

٧٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية . بيروت : دار الكتب العلمية توزيع دار الباز مكة المكرمة .

٧٩- مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين . أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية . بيروت : نشر دار الكتاب العربي .

٨٠- المواقف فى علم الكلام . عبدالرحمن بن أحمد الايجى . بيروت : عالم الكتب . توزيع مكتبة المتبنى ، القاهرة . مكتبة سعد الدين ، دمشق .

٨١- مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى وابنه محمد . تصوير الطبعة الاولى . بيروت : مطابع دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٨ هـ .

٨٢- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى . أبوحامد الغزالى . مصر المكتبة العلامية .

٨٣- الملل والنحل . محمد بن عبدالكريم الشهرستانى . تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل . القاهرة : نشر موسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ - ١٩٦٨ .

٨٤- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . أبوالحسن على بن اسماعيل الأشعرى (ت : ٣٣٠ هـ) . الطبعة الثانية . تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

٨٥- مطالع الأنظار على طوالع الأنوار . شمس الدين محمود بن عبدالرحمن الأصفهانى (ت : ٧٤٩ هـ) . شركت علمية درسعادت ، ١٣٠٥ هـ .

٨٦- مصرع التصوف أو تنبيه الغبى الى تكفير ابن العربى . برهان الدين البقاعى (ت : ٨٨٥ هـ) . تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٨٧- المسيحية . د . احمد شلبى . الطبعة السادسة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . مطبعة المعرفة ، ١٩٧٨ .

٨٨- نهاية الاقدام فى علم الكلام . محمد بن عبد الكريم الشهرستانى . حرره وصححه الفرد جيوم .

٨٩- نقض المنطق . شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . الطبعة الاولى . حقق الأصل المخطوط وصححه محمد بن عبد الرزاق حمزه ، سليمان بن عبد الرحمن الصنيع . تصحيح محمد حامد الفقى . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

٩٠- الواسطة بين الحق والخلق . شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية . الطبعة الرابعة . بيروت : المكتب الاسلامى ١٣٩٩ .

(هـ) الكتب المصرية

٩١- الايمان . الدكتور حسن الترابى . الطبعة الاولى . بيروت : دار القلم ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٩٢- الأسماء الحسنى . الدكتور حسن عزالدين الجمل . القاهرة : مطبعة الشعب .

٩٣- الله يتجلى فى عصر العلم . ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان . مراجعة وتعليق محمد جمال الدين الفندى . الطبعة الثالثة . القاهرة : نشر مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨ .

٩٤- الله بين الفطرة والدليل . الشيخ محمد حسن آل ياسين . الطبعة الثالثة . بيروت : المكتب العالمي للطباعة والنشر ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٩٥- أين الله . أحمد زين . الطبعة الثالثة . القاهرة : المختار الاسلامي ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٩٦- الايمان . الدكتور محمد نعيم ياسين . الطبعة الاولى . عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٩٧- الاسلام والجاهلية . أبوالأعلى المودودي . بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٩٨- أسماء الله الحسنى . حسنين محمد مخلوف . مصر : دار المعارف ، ١٩٧٦ .

٩٩- الله أو المادة . محمد الفروى . الطبعة الثانية . بيروت . دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٠٠- الله . عباس محمود العقاد . الطبعة السادسة . مصر : دار المعارف .

١٠١- الاسلام والعالم المعاصر . أنور الجندي . الطبعة الاولى . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

١٠٢- البراهين العلمية على وجود الخالق . محمد فؤاد البرازي . الطبعة الثانية . دمشق - بيروت : دار القلم ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

١٠٣- الجانب الالهي من التفكير الاسلامي . د . محمد البهي . الطبعة الخامسة . بيروت : دار الفكر ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

١٠٤ - حقيقة التوحيد . الدكتور يوسف القرضاوى . الطبعة الاولى . القاهرة : مطبعة دار التراث العربى ، نشر مكتبة وهبة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

١٠٥ - خصائص التصور الاسلامى ومقوماته . سيد قطب . الطبعة الشرعية السادسة . بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

١٠٦ - الدين . د . محمد عبدالله دراز . الطبعة الثانية . الكويت : دار القلم ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

١٠٧ - دعوة التوحيد . محمد خليل هراس . الطبعة الثانية . مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما .

١٠٨ - الدين فى مواجهة العلم . وحيدالدين خان . ترجمة ظفر الاسلام خان . الطبعة الثالثة . القاهرة : المختار الاسلامى ١٩٧٤ .

١٠٩ - الشهادة أول ركن من اركان الاسلام . عبدالرزاق نوفل . القاهرة : مطبعة الشعب .

١١٠ - صحوة الاسلام بين الجحود والتطرف . د . يوسف القرضاوى . الطبعة الاولى . سلسلة كتاب "الأمة" . قطر : مطابع الدوحة الحديثة ، شوال ١٤٠٢هـ .

١١١ - عقيدة المسلم . محمد الغزالى . القاهرة : دار الكتب الحديثة . مطبعة حسان .

١١٢ - العبادة فى الاسلام . د . يوسف القرضاوى . الطبعة السادسة . بيروت : موسسة الرسالة : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

١١٣- العلم يدعو للايمان . أ . كريسى موريسون . ترجمة محمود صالح الفلكى . الطبعة الخامسة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ .

١١٤- العقيدة فى الله . عمر سليمان الاشقر . الطبعة الثانية . الكويت : نشر مكتبة الفلاح ، ١٩٧٩ .

١١٥- قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن . نديم الجسر . الطبعة الثالثة . بيروت : توزيع دار العربية . مطابع المكتب الاسلامى ، ١٣٨٩ - ١٩٦٩ .

١١٦- قواعد المنهج السلفى . د . مصطفى حلمى . الطبعة الاولى . اسكندرية : دار الأنصار ، ١٣٩٦هـ .

١١٧- كتاب محاضرات فى النصرانية . محمد أبو زهرة . الطبعة الخامسة . القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .

١١٨- للكون اله . عبد العزيز كامل الشهابى . الطبعة الرابعة . دار الاعتصام ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .

١١٩- معالم فى الطريق . سيد قطب . الطبعة الشرعية السادسة . بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .

١٢٠ - المؤامرة على الاسلام . أنور الجندى . الطبعة الثانية . القاهرة : دار الاعتصام ، دار العلوم للطباعة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

١٢١- مع الله فى صفاته وأسمائه الحسنى . حسن أيوب . الطبعة الرابعة . الكويت : دار القلم ١٣٩٤ - ١٩٧٤ .

١٢٢- المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها . د . عبد الرحمن عميرة .
(بدون ذكر سنة الطبع ومطبعة) .

١٢٣- منهاج المسلم . أبو بكر جابر الجزائرى . الطبعة الثانية . دار الفكر
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

١٢٤- المصطلحات الأربعة فى القرآن . أبوالأعلى المودودى . الطبعة
السادسة . كويت : دار القلم ١٣٩٧ - ١٩٧٧ .

١٢٥- مبادئ الاسلام . أبوالأعلى المودودى . دمشق ، بيروت : دار القلم
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

١٢٦- نشأة الدين . د . على سامى النشار . الاسكندرية : نشر دار نشر
الثقافة بالاسكندرية . مطابع عابدين ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م .

١٢٧ - نظام الاسلام . محمد المبارك . الطبعة الثانية . بيروت : دار الفكر .
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م .

١٢٨- النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن . أبوالحسن على الحسينى الندوى .
الطبعة الخامسة . بيروت : دار القلم ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

١٢٩ - الوجود الحق . د . حسن هويدى . بيروت : المكتب الاسلامى ،
١٣٩٨ - ١٩٧٨ .

١٣٠- وجود الله . د . يوسف القرضاوى . القاهرة : نشر مكتبة وهبة .
مطبعة دار التراث العربى ، ١٩٧٩ .

(و) كتب التاريخ والتراجم والمعاجم والقواميس

١٣١- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . يوسف بن عبد الله بن عبد البر المعروف بابن عبد البر . تحقيق على محمد البجاوى . مصر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .

١٣٢- الأعلام . خيرالدين الزركلى . الطبعة الخامسة . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ .

١٣٣- البداية والنهاية . أبوالفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى (ت: ٧٧٤ هـ) الطبعة الاولى . بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ .

١٣٤- تهذيب التهذيب . شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت : ٨٥٢ هـ) . بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ .

١٣٥- تاريخ الفلسفة الغربية . برتراند رسل . ترجمة د . محمد فتحى الشنيطى . مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

١٣٦ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . الطاهر احمد الزاوى . بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

١٣٧- دائرة معارف القرن العشرين . محمد فريد وجدى . الطبعة الثالثة . بيروت : دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٧١ .

١٣٨- دائرة المعارف . المعلم بطرس البستانى . بيروت : دار المعرفة .

١٣٩- السيرة النبوية . عبدالملك بن هشام . الطبعة الثانية . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبدالحفيظ شلبى . مصر : مطبعة البابى الحلبى ، ١٣٧٥ .

١٤٠- كتاب التعريفات . على بن محمد الشريف الجرجانى . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٨ .

١٤١- كتاب الاصنام . أبوالمنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى . تحقيق احمد زكى . القاهرة : نشرالدار القومية للطباعة والنشر .

١٤٢- كشاف اصطلاحات الفنون . محمد على الفاروقى التهانوى . ترجمة عبدالمنعم محمد حسنين . مراجعة أمين الخولى . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م .

١٤٣- لسان العرب . محمد بن مكرم ابن منظور . بيروت : دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٧٤م .

١٤٤- مقدمة . أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ) مصر : المكتبة التجارية الكبرى .

١٤٥- معجم مقاييس اللغة . احمد بن فارس بن زكريا . الطبعة الثانية . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ .

١٤٦- المصباح المنير . احمد بن محمد بن على الفيومى (ت : ٧٧٠هـ) . تحقيق عبدالعظيم الشناوى . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧م .

١٤٧- المعجم الفلسفى . د . جميل صليبا . بيروت : دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٨م .

١٤٨- الموسوعة الحركية . الطبعة الاولى . اعداد وجمع وتحقيق فتحى يكن . بيروت : موسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

١٤٩- المستشرقون . نجيب العقيقى . الطبعة الثالثة . القاهرة : دارالمعارف ١٩٦٥ .

١٥٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فواد عبدالباقى . بيروت : دار احياء التراث العربى . توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة .

١٥١- مفتاح كنوز السنة . وضعه باللغة الانكليزية الدكتور ا .ى . فنسنك ونقله الى اللغة العربية محمد فواد عبدالباقى . ناشرسهيل أكيديمى - لاهور ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	الصفحة
	١٥١	٧٥
	١١٤	٩٣
	١١٩	١٠٦
	١٤٧	١٣٨
	١٦٢	٣٤
	١٦٤	٨٥
الأعراف	٥٤	٣٩ - ٤١
	٦٣	٦٩
	٧٣	٦٩
	٨٥	٧٠
	٩٦	٢٤٠
	٨٧	١٣٩
	٨٩	١٤٨
	١٥١	١٣٨
	١٥٥	١٣٩
	١٥٨	٢٣٣
	١٧٢ - ١٧٣	٢٢٧- ٢٢٠
		٨١
	١٨٠	١١٧ - ١٢٢
		١٩٧ - ٢٠٤
	١٨٥	٥١
	١٩١	٥٦٢
	١٩١-١٩٢	٢٢٣
الأنفال	٤٠	١٤١-١٤٤
	٥٢	١٤٢
التوبة	٢٤	٨٩
	٢٨	٣٢٩
	٣٠	٢٣١ - ٣٢١
	٣١	٩٨ - ٩٩ ،
	٦٧	٢٠١
	٧٢	٣١٥
	٧٨	١٤٠
	١٢٢	٤٢
يونس	٢٢	٥٢ - ٢٦٠
	٣١	٢٢٠
	٣١ - ٣٢	٢١٣
	٣٤	٣٩
	١٠١	٢٥٧
هود	٤٥	١٣٩
	٥٧	١٤١
	٦١	١٤٣

فهرس الأحاديث النبوية

فهـــــرس الأعـــــلام

(حرف الغين)